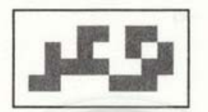


الأعمال الشعرية
POETRY COLLECTION

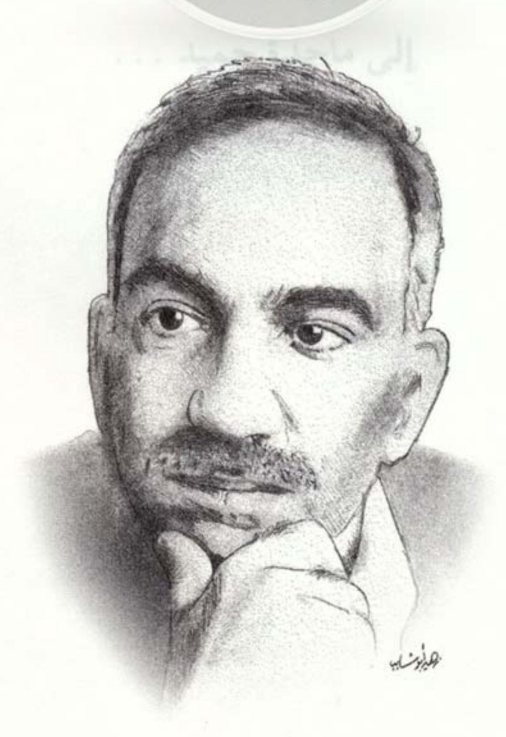
عدنان الصائغ





الأعمال الشّعرية
POETRY COLLECTION

عدنان الصائغ







الأعمال الشعريّة

عدنان الصائغ

الأعمال الشعريّة / شعر عربيّ معاصر
عدنان الصائغ / مؤلّف من العراق
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب :٩١٥٧ ، هاتف : ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali @ nets. com. jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
سمير ®
لوحة الغلاف :
زهير أبو شايب / الأردنّ
الصفّ الضوئيّ :
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
التنفيذالطباعيّ :
المطبعة العربيّة / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-595-4

إلى ماجدة حميد . . .

تأبط منفى

نص

نسيتُ نفسي على طاولةِ مكتبتي
ومضيتُ
وحين فتحتُ خطوتي في الطريق
اكتشفتُ أنني لا شيء غير ظلٍّ لنصٍ
أراهُ يمشي أمامِي بمشقة
ويصافحُ الناس كأنه أناً

مالمو ٢٠٠٠/٢/٢

تأويل

يـملونني سطوراً
ويبوبونني فصولاً
ثم يفهرسونني
ويطبعونني كاملاً
ويوزعونني على المكتباتِ
ويشتمونني في الجرائدِ
وأنا
لمْ
أفتحْ
فمي
بعد

٢/٣/١٩٩٦ دمشق

هواجس

أقلّ قرعة باب
أخفي قصائديَ - مرتبكاً - في الأدراج
لكن كثيراً ما يكون القرع
صدىً لدوريات الشرطة التي تدورُ في شوارعِ رأسي
ورغم هذا فأنا أَعرفُ بالتَأكيد
انهم سيقرعون البابَ ذات يوم
وستمتدُ أصابعهم المدربةُ كالكلابِ البوليسيةِ إلى جواريرِ قلبي
لينتزعوا أوراقي
و . . . . .
حياتي
ثم يرحلون بهدوء

١٩٩٦/١٠/١ بيروت

في وطني
يجمعني الخوفُ ويقسمني :
رجلاً يكتبُ
والآخرَ - خلفَ ستائرِ نافذتي -
يرقبني

١٩٨٧/١/١٠ بغداد

أبواب

أطرقُ باباً
أفتحهُ
لا أبصر إلا نفسي باباً
أفتحهُ
أدخلُ
لا شيء سوى بابٍ آخر
يا ربي
كمْ باباً يفصلني عني

١٩٩٨/١٢/١ مالمو

لي بظلٍّ النخيلِ بلادٌ مسوّرةٌ بالبنادق
كيف الوصولُ إلَيها
وقد بعد الدربُ ما بينِنا والعتابْ
وكيف أرى الصحبَ
مَنْ غُيّبوا في الزنازين
أو كرّشوا في الموازين
أو سُلّموا للترابْ
انها محنةٌ - بعد عشرين -
أنْ تبصرَ الجسرَ غيرَ الذي قد عبرتَ
السماواتِ غيرَ السماوات
والناسَ مسَكونةً بالغيابْ

١٩٩٨/١٢/٣ بودن - جنوب القطب

العراقْ

العراقُ الذي يبتعدْ
كلما اتسعتْ في المنافي خطاهْ
والعراقُ الذي يتئدْ
كلما انفتحتْ نصفُ نافذةٍ . .
قلتُ : آهْ
والعراقُ الذي يرتعدْ
كلما مرَّ ظلٌّ
تخيلّتُ فوّهةً تترصدني ،
أو متاهْ
والعراقُ الذي نفتقدْ
نصفُ تاريخه أغانٍ وكحلٌ . .
ونصفُ طغاهْ

حزيران ١٩٩٧ روتردام

ثلاثة مقاطع للحيرة

(1)

قال أبي :
لا تقصصْ رؤياكَ على أحدٍ
فالشارعُ ملغومٌ بالآذانْ
كلُّ أذن
يربطها سًلكٌ سرّيٌ بالأخرى
حتى تصلَ السلطانْ

١٩٩٦/٣/١٠ دمشق

*

(2)

بعد أن يسقطَ الجنرالُ من المشنقة
بعد أن يرسمَ الطيرُ دورتَهُ
فيِ الهواء الطليقْ
بعد أن تتخضّب راياتُنا بالدماءِ . . . .
ما الذي نفعلُ؟

١٩٩٦/٧/١٩ بيروت

*

(3)

جالساً بظلِّ التماثيلِ
أقلّمُ أظافري الوسخةَ
وأفكّرُ بأمجادهم الباذخة
هؤلاء المنتصبون في الساَحات
يطلقون قهقهاتهم العاليةَ
على شعب يطحنُ أسنانَهُ من الجوعِ
ويبني لهم أنصاباً من الذهبِ والأدعية

١٩٩٧/٢/٢ لوليو

ارتبكَ الملكُ
وهو يرى جنودَهُ محاصرين
من كلِّ الجهات
والمدافعَ الثقيلةَ تَدكُّ قلاعَ القصرِ
صرخ :
أين أفراسي؟
- فطستْ يا مولاي
- أين وزيرُ الدولة
- فرَّ مع زوجتكَ يا سيدي في أولِ المعركةِ
تنحنح الملكُ مُعدّلاً تاجهُ الذهبي
وعلى شفتيه ابتسامةٌ دبقةٌ :
ولكن أين شعبي الطيب؟
لمْ أعدْ اسمعه منذ سنين
فأنفجرَ الواقفون على جانبي الرقعة بالضحكِ
- لقد تأخرتَ يا سيدي في تذكّرنَا
ولم يبقَ لنا سوى أن نصفّقَ للمنتصرِ الجديد

تموز ١٩٩٧ باحة قصر هاملت - الدنمارك

شهداء الانتفاضة

هؤلاء الذين
تساقطوا أكداساً
أمامَ دبابات الحرس
هؤلاء الذينَ حلموا كثيراً بالأرضِ
قبل أن يحلّقوا بأجنحتهم البيضاءَ
هؤلاء الذين نما علي شواهد قبورهم صبّيرُ النسيان
هؤلاء الذين تآكلتْ أخبارُهَم
شيئاً ، فشيئاً . .
في زحمة المدينة
إنّهم يتطلعون بعيون مشدوهة
إلى قدرتنا على نسيانهم بهذهِ السرعة

١٩٩٢ بغداد

قادة

ستعرفينهم من الأحذيةِ التي تركوها
.. قبل أن ينهزموا
ستعرفينهم بالتأكيد
هؤلاء الذين ملأوا منابرَ المدينة
بطبول بطولاتهم
ترى أَين نجدهم الآن
لنعرف كيفَ سمعوا قبلنا
بأولى الاطلاقات
نحن الذين كنّا مَجرّدَ آذان

١٩٩١ الكوفة

إتهام

الذين صُفّوا
في ساحةِ الإعدام
حملقوا بعيون مرتجفة
إلى الفوهاتِ السود
المصوبة إلى رؤوسهم الحليقة
لكنهم لم يروا عيونَ القتلة
كانتْ محجوبةً خلفَ صفِ البنادقِ الطويلِ
لهذا ظلّتْ نظراتهم
مسمّرةً نحونا
.. إلى الأبد

لوليو ١٩٩٧/١/٢

الحلاج

أصعدني الحلاجُ إلى أعلى تلٍّ
في بغداد
وأراني كلَّ مآذنها
ومعابدها
وكنائسها ذات الأجراسْ
وأشار إلي :
- أحص
كم دعواتَ حرّى تتصاعد يومياً من أنفاسِ الناسْ
لكن لا أحداً
حاولَ أن يصعدَ
في معناهُ إلى رؤياهُ
كي يوقظَهُ
ويريه . .
ما عَاثَ طغاةُ الأرضِ
وما اشتطَّ الفقهاءُ
وما فعلَ الحراسْ

١٩٩٦/٨/١٠ بيروت

درس في التاريخ (١)

أطرقَ مدرسُ التاريخِ العجوزُ ماسحاً غبارَ المعاركِ والطباشير عن نظارتيه
ثم أبتسمَ لتلاميذه الصغارِ بمرارةٍ :
ما أجحدَ قلبَ التاريخ
أكلّ هذا العمر الجميلَ الذي سفحتُهُ على أوراقهِ المصفرةِ
وسوف لا يذكرني بسطرٍ واحدٍ

١٩٩٦ صور

درس في التاريخ (٢)

جالساً بين دفتي دمعتي
أفكرُ بالمصائرِ المجهولة
لملايين العيونَ المتحجَرةِ
التي نسيها المؤَرخون
بين الفوارز والنقاط
على هوامشِ الفتوحَاتِ

١٩٩٦ بعلبك

درس في التاريخ (٣)

نحن المنحنين إلى الأبد
كجسور الأرياف الخشبيةَ
تمرُّ علينَا الجواميسُ
والأحزابُ
والجنرالاتُ
والمركباتُ السريعةُ
والأحلامُ المتثائبةُ
ونحن نتأملُ خريرَ مياهِ التاريخِ
ونبتسمُ بعمق
لأمواجِه التي ستتكسرُ عما قليلٍ
أمامَ صخورنِا

١٩٩٧/٧/٣٠ مقهى على ساحل كوبنهاكن

(!! ...)

هؤلاء الطغاة
أصحيحٌ يا ربي
انهم مروا من بين أناملِكَ الشفيفةِ
وتحملتهم!؟

مالمو ١٩٩٩

شَعَرَ تمثالُ السيد الرئيس بالضجر
فنـزل من قاعدته الذهبية
تاركاً الوفودَ والزهورَ وأناشيدَ الأطفال ،
وراح يتمشى بين الناس الذين اندفعوا يصفقون له :
«بالروحِ بالدم . . نفديك يا . . . . . .»
انتعش التمثالُ .
وحين علمتْ تماثيلُهُ الأخرى بالأمر
نزلتْ إلى الساحات
وراحتْ تتقاتلُ فيما بينها .
والناس يتفرجون
لا يدرون
أيهم السيدُ الرئيس . . . .؟!!

مالمو ١٩٩٩



إلى القاص حميد المختار

فمه الذي اعتادَ أن يقولَ لا
مرغوهُ بالترابِ
فنمتْ أشجارٌ كثيرةٌ على امتداد البلاد
يسمعُ الإمبراطورُ حفيفَها وهي تَعبرُ نوافذَ قصرهِ
أجراساً من اللاءات

٢٥/١٠/١٩٩٩مالمو

أشباح

دائماً كنتُ أسمعُ أصواتهم الغريبة
وهي ترطنُ باسمي
ثم أقدامهم الحديدية وهي تصعدُ السلالمَ
ثم قبضاتهم على الباب
ثم فوهاتهم في صدغيٍ
ثم جثتي وهي تتدحرج
خلف هدير محركات سياراتهم
ثم صخب المتحلقين حولي وهم يتساءلون :
- من أين أتوا؟
لكنهم لم يأتوا
تركوا لي المشهدَ مفتوحاً
على اتساعِ الطلقةِ المؤجلة

٢٦/١٢/١٩٩٥ الخرطوم

أحزاب

لافتاتٌ تتقدمُ
بغابة من الشعاراتِ
اختلفوا
مَنْ يتقدمُ الأولَ؟
ثم تشابكوا بالأيدي
ثم بالهراوات
ثم . .
سقطت اللافتات
ولم نرَ نَحن المحتشدين على جانبي الطريق
سوى غابة من البنادق
تتقدمُ مشتبكةً
باتجاهنا . . .

لوليو ١٩٩٧/١/١٤

باب

أراهم . .
يدفعونني ويدخلون
يدفعونني ويخرجون
وأنا أصطفقُ بأضلاعي
وراءهم
لا أحد يلتفتُ
ليرى
كم هي مضنية
وصفيقة ،
مهنة الباب

براغ - فندق كوسيا ١٩٩٩/٧/٣

على رصيفِ شارعِ الحمراء
يعبرُ رجلُ الدَين بمسبحته الطويلة
يعبرُ الصعلوكُ بأحلامه الحافية
يعبرُ السياسي مفخّخاً برأسِ المَال
يعبرُ المثقف ضائعاً
بين ساهو وحي السلّم
الكلُ يمرُّ مسرعاً ولا يلتفتُ
للمتسول الأعمى
وحدهُ المطَرُ ينقّطُ على راحتهِ الممدودةِ
باتجاهِ الله

١٩٩٦ مقهى الكوفي دو باري - بيروت



لحظةَ الانعتاق الخاطفةِ
بماذا يفكرُ السَهَمُ
بالفريسةِ
أمْ . . .
بالحرية

١٩٩٦ بيروت

خطوط

أنتَ تمضي أيهِا المستقيم
دون أن تلتفتَ
لجمال التعرجات على الورقِ
أنتَ تمَلكُ الوصولَ
وأنا أملكُ السعة

مالمو ١٩٩٨

شكوى

نَظَرَ الأعرجُ إلى السماء
وهتفَ بغضبٍ :
أيها الربُّ
إذا لمْ يكنْ لديكَ طينٌ كافٍ
فعلامَ تعجّلتَ في تكويني

١٩٩٤ عمان

علو

كلما نبحَ الكلبُ
خلف سحابةْ
عبرتهُ
ولمْ تنتبهْ
للدعابةْ

١٩٩٦/١٢/٢٥ لوليو

خيوط

وحيدة تجلسُ أمامَ النافذةِ
تحوكُ الصوفَ
رجلٌ عابرٌ وحيدٌ
يسحبُ الخيطَ
يسحبُ النافذةَ
يسحبُ المرأةَ
يدخلُ سنارتَهُ فيها
ويظلُّ يحوكُ
هكذا ينسجان أحلامهما
كلَّ يوم
وبينهما خيطٌ مهموسٌ . . .
لا يصل

١٦/٣/١٩٩٦ مقهى المودكا- بيروت

خيبات

انتظرتُ الأغصانَ الجرداءَ حتى أزهرتْ
والرايات المنكّسةَ حتى انتصبتْ
لكنْ ما أن تكوّرَ الوردُ حتى قطفَهُ غيري
وما أن سارتْ الراياتُ حتى تركتني على الرصيف
ومضتْ تشقُ طريقَها وسطَ الهدير . . إلى باحة القَصر
وانتظرتُ السفنَ المبحرةَ حتى عادتْ
لكن ما أن نزلَ البحارةُ والمسافرون
لم أجدْ من يعرفِني
وقرعتُ الزنازينَ حتى فُتحتْ
لكن ما أن خرجَ السجناءُ
فاتحين أذرعَهم ورئاتهم للحرية
حتى جروني من ذراعي ورمونَي فيها

دمشق ١٩٩٦/٣/٣

لوِ

لو مرةً
تعودُ الهراواتُ
والسياطُ
إلى الحقول
وتروي تأوهَاتِ الأجسادِ التي تمزقتْ
تحت لسعها
لوأدت الأشجارُ أطرافَها
وأضربَتِ الغاباتُ عن الطعامِ
فلمْ تعدْ هناكَ بلابل
أو غصون

١٦/١٠/١٩٩٦ أمام سجن فردان- بيروت

حصار

نلوبُ بزعانفنا في طياتِ الماء
الهواءُ يختنقُ بنا
والجالسون أمامَ زجاجِ حوضنا الأنيق
ينظرون بلذة لشهقاتنا الملونةَ وهي تخَبطُ السديمَ
بحثاً عن بقأيا الهواءَ
نحن الأسماك المحاصرة في حوضِ الوطن

مالمو ١٩٩٨

بياض

الرقيبُ الذي في الكتابْ
ظلَّ يلتِهمُ الكلماتِ
السطورَ
الحروفَ
الفوارزَ
حتى تكرّشَ من كثرة الصفحات
وغابْ
إلهي . . . . . .
ما الذي سوف أفعلهُ
ببياض كهذا
البياضُ حجابْ

١٩٩٧/٤/٢ مكتبة لوليو

وجبة

الجوعُ يمدُّ مخالبَهَ في بطني
فألتهمُ أوراقي
وأمشي . .
واضعاً يدي على بطني
خشيةَ أن يسمعَ أحدٌ طحينَ الكلمات

خريف ١٩٩٥ الساحة الهاشمية - عمان

معادلة

أنزلْ أو فاصعدْ
- لا فرق -
أيان تجوبْ . .؟
القمة . .
بئرٌ مقلوبْ

١٩٩٩/١٢/٤ فستروس

الإسكافي الكهل

جالساً
علىِ الرصيفِ
أمامَ صندوقهِ
يرنو
لأيامه التي
ينتعلَهَا الناس

١٩٩٦ دمشق

حساب

أيها الربُّ
افرشْ دفاترك
وسأفرش أمعائي
وتعال نتحاسب

بيروت ١٩٩٦

هندسة

تربّعَ المربعُ
متنهداً
على أريكة الصفحة :
كان يمكنني أن أمضي معكَ إلى الأبدِ
أيها المستقيمُ
لولا انهم أغلقوا عليّ أضلاعي

مالمو ١٩٩٧

هبوب

صافناً أمامَ رِحيلك
كنسر يخفقُ في مواجهة العاصفةِ
بينما ريشُهُ يتناثرُ في السَهوبِ

مالمو ١٩٩٨

عمرٌ . .
أو عشرةُ أعمارْ
لا تكفي
يا ربي
كي أشبعَ من صحنِ أنوثتها
فامنحني اياها
بدلاً منْ حورك
والأنهارْ
أو ليستْ لي حرية أن أختارْ

١٩٩٦ بيروت

النهاراتُ التي ترحلُ
هل تلتفتُ
لترانا ماذا نفعلُ
في غيابها

١٩٩٨/٧/١٨ بيروت

حبل

الحبل الذي مدوهُ حولَ عنقهِ
استطالَ بالصراخِ
ثم
انقطعَ
مَنْ سقطَ قبل الآخر

١٩٩٦ بيروت

شاعر

إلى الشاعر الشهيد علي الرماحي

في عصر الطغيانْ
كان الشعراءُ الخصيانْ
- كالفئرانْ -
ينكمشون بـجحرِ السلطانْ
ويغنون
بأمجادِ جلالتهِ
وبنعمتَه
وتظلُّ حَروفك
- في كلٍّ زمانٍ ومكانْ -
تمشي ....
وعلى كتفيها الصلبانْ

١٩٩٦/٣/٨ مقهى الروضة .دمشق

إليهم فقط...

كمْ أضاعوا من وقت وورق وأرصفة
أولئك الذين شتموني في المهرجاناتِ
والمراحيضِ
والصحفَ
أولئك الذين لاحقوني بتَقاريرهم السريةِ
من حانة إلى قصيدة
ومن وطنٍ إلى منًفى
أولئك
كمْ أرثي لهم الآن
حياتَهم الخاويةَ
إلى حدٍّ أنهم لمْ يتركوا منها شيئاً
سواي

حزيران ١٩٩٧ هولندا- مهرجان الشعر العالمي

عقدة

الفاشيون
والشعراء المخصيون
يقفون . .
على طرفي حبلٍ ،
معقود
في عنقي
و . . .
يشدون

١٩٩٦/٩/٢ بيروت

عابر

لمْ يفتحْ نافذةً في بيتْ
أو يزرعِ ورداً في راحةِ ليتْ
أو يطربهُ نايٌ أو بيتْ
مرَّ بهذي الدنيا ظلاً
لا تعرفه حياً أو ميْتْ

مالمو ١٩٩٩

أفكار زائدة

أدخلُ دورةَ المياه
مفكراً بدورة الحَياة
أسحبُ سيفَونها
فتنجرفُ الأفكارُ الفاسدةُ
وأخرجُ طليقاً
كأنَّ رؤوسنا هي أيضاً
بحاجةٍ إلى دورةِ مياهْ

١٩٩٦ لوليو

ساعي بريد

لنْ يطرقَ بابَكَ ثانيةً
فإلامَ ستجلسُ منتظراً
في الدارْ
توهمكَ
الصدفةُ
بالتكرارْ

بيروت ١٩٩٦

ألفة

منكباً في ورشته
يصنعُ هذا النجّارُ الكهلُ
توابيتاً للناسْ
ينسى التفكيرَ بموته
الألفةُ تفقدهُ الإحساسْ

١٩٩٥/١٢/٣١ أم درمان . الخرطوم

بعدَ قليلٍ ....
أمرُّ
أدفعُ الحياةَ أمامي كعربةٍ فارغةٍ
وأهتفُ : أيها العابرون
احذروا
أن تصطدموا بأحلامي

عمان ١٩٩٥

سيرة

من امرأة إلى امرأة
ومن رصيفٍ إلى آخر
أمشي
قاطعاً حياتي
سيراً على الأحلام

١٩٩٦ بيروت

حنو

أنحني كالقوسِ على نفسي
ولا أنطلقُ
أشياءً مريرةٌ تشدني إلى الأرض

مالمو ١٩٩٧

وإلامَ
تظلُّ تدورْ
وتدور
يا عبدَ الله المغمورْ
كحصان النَاعورْ
تسقي أَرضاً
لمْ تنبتْ لكَ غيرَ البورْ

١٩٨٨ الكوفة

حرية

بينَ القفصِ المملوءِ حبوباً
والأفقِ الأجرَدْ
يصفقَ طيرُ الشعرِ جناحيه
. . . بعيداً
. . . . في الريحِ
ولنْ يترددْ

١٩٩٨ مطار كوبنهاكن

قنينة

جالساً قبالتي يعبُّ الكؤوس . .
واحدةً تلو الأخرى
حتىِ طفحتْ أعماقُهُ وسالَ
فهرِعَ الندلُ يمسحونهُ بتذمر
عن الطاولة والممراتِ والجالًسين . . .
هل كان رجَلاً
أم قنينة خمر؟

بيروت ١٩٩٦/٥/١٥

بوصلة

الربانُ المترددْ
بين السطحِ وبين القاعْ
يحسبُ كلَّ رياحِ العالمِ
غيرَ مواتيةٍ للإقلاعْ

مثل شعبي

عشرةُ أشخاصٍ
في الدار
يفسّونْ
فلمنْ أنتَ تبخّرُ
يا مجنونْ

غبار

بلا أجنحة
يطيرُ الغبارُ ساخراً
من آلافِ الأشياءِ التي تركها على الأرض
*
مهما أثاروكَ أيها الغبارُ
ستهبطُ إلى القاعِ ،
حتماً . . . .
بأسرعِ مما علوتَ
*
ما انشدادهُ للأرض
هل للغبارِ وطن !!؟

أيلول ١٩٩٩ يونشوبينغ- السويد

تكوينات

(1)
لا تقطفِ الوردةَ
انظرْ . . .
كمْ هي مزهوة بحياتها القصيرة

(2)
في بالِ النمرِ
فرائسِ كثيرةَ
خارجِ قضبان قفصه
يقتنصها بلعابِهِ

(3)
في الروحِ المذبوحِ
رقصٌ كثير
غيرَ أنَّ مدارَ الجسدِ لا يتسع
(4)
ما الذي يعنيني الآن
أيها الرماد
انكَ كنت جمراً

(5)
كمْ نلعنكِ

أيتها الأخطاء
عندما لمْ تَعُدْ لكِ من ضرورةٍ

(6)

كلما ارتفعتْ منائرهم
خَفَتَ صوتُ الجائع

(7)

الجزرُ
عثراتُ البحرِ
راكضاً باتجاهَ الشواطيء
هكذا تلمعُ خساراته من بعيد

(8)

باستثناء شفتيكَ
لا أعرفُ
كيفَ أقطفُ الوردةَ

(9)

أصلُ أو لا أصلُ
ما الفرق
حين لا أجدكِ

(10)

تمارسُ المضاجعةَ

كما لو أنها تحفظها عن ظهرِ قلبٍ

(11)

لمْ تعدْ في يدي
أصابع للتلويحِ
لكثرةِ ما عضضتها من الندم

(12)

هل تتذكرنا المرايا
حين نغيبُ عنها

(13)

سأقطفُ الوردةَ
سأقطفها
لكنْ لمنْ سأهديها
في هذا الغسقِ
من وحدتي

(14)

لا أحد ينظرُ إلى أحد
الكلُّ ينظرون إلى بعضهم

(15)

لولمِ يكنْ لجمالكِ مشجب
أين

نعلّقُ أخطاءَنا . .؟

(16)

جمالها الذي عاشتهُ بإفراط
انفرطَ من بين أناملها
دون أن تتمكن
من الانحناء
لالتقاطِ ما تبقّى من حياتها

(17)

إنها لعنة الجسدْ
أنَّ ينامَ وحيداً على الجمرِ
مكتفياً بأصابعه
عن نساء يراودَنَ أحلامَهُ
لا يخلّفنً غيرَ الزبدْ

(18)

وأنت تمرينَ بخدك المشمشي
كمْ مَن الشفاه تلمَظتْ بكِ
في الطريقِ إليَ

(19)

بإبرته المائية
يخيطُ المطرُ
قميصَ الحقول

(20)

ماذا تفعلُ ظلالنا

في حضرةِ الضوء

(21)

هكذا نجلسُ

متقابلين

أصابعنا متشابكة

وقلوبنا تهيئ حقائبها للسفر

تنويعات

(1)

لا وطنِ للشمعةِ
خارجَ ظلامِها

(2)

الأسماكُ كثيرةٌ
وشباكي ممزقةٌ
يا للؤم البحر

(3)

يرتبكُ
أمامَ تدويرة ردفيها
ولا يرتبكُ أمامَ تدويرةِ الكون؟

(4)

في اتساعِ الكلامِ
.... تلاشيه

(5)

أقدامُنا ....
أرصفةٌ متحركةٌ

(6)

الأقدامُ . . . . .

التي تسيرُ في كلِّ اتجاهٍ . .

لا تصل

(7)

في الفحمِ

نارٌ حبيس . . .

(8)

يسألُ الحائطُ

عن جدوى النافذة

(9)

الظلُّ

شيخوخةُ الزمان

(10)

دورانُ العجلة

تكرارُ المكانَ

(11)

الكلامُ

ركضٌ داخليٌّ

١٩٩٦ صخرة طونيوس - بيروت

نصوص رأس السنة

(1)
يسقطُ الثلجُ
على قلبي
في شوارعِ رأسِ السنةِ
وأنا وحديَ
محاط بكلِّ الذين غابوا

(2)
كلَّ عامٍ
الأذرعُ تتعانقُ
وأنا أحدِّقُ
عبرَ نافذة المنفى
إلى وطنيَ
كعصفورٍ يرمي نظرتَهُ الشريدةَ
إلى الربيعِ
من وراءِ قضبانِ قفصِهِ

(3)
كلَّ عامٍ
يقفُ بابا نوئيل
على بابِ الوطنِ
ويدقُّ

يدقُّ
لا أحد
الآباءُ بكّروا إلىِ مساطرِ الحرب
الأمهاتُ هرمنَ في القدَورِ الفارغةِ
الجنرالاتُ ذهبوا إلى الإذاَعةِ
يلقون الخطبَ والتهنئات
والأطفالُ يئسوا
فناموا قرب براميلِ القمامةِ
يحلمون بهدايا
تليقُ بطفولاتهم المؤجلة

بيادق

بيدقني السلطانْ
جندياً في حرب لا أفقهها
لأدافعَ عن رقعة شطرنجٍ - لا أدري -
أم وطن أمْ حلبةْ
ولهذا أعلنتُ العصيانْ
لكنَّ الجندَ الخصيانْ
قادوني معصوبَ العينين إلى الخشبةْ
وأداروا نحوي فوهاتِ بنادقهم
فصرختُ : قفوا
ستُجرّونَ على هذي الرقعة ،
كبشاً كبشاً
كي تعلو - فوق سلالمِ أشلائكمُ - التيجانْ

الذي كان لي صاحباً قبل أن نفترقْ
في شجون القصيدةْ
والذي ظلَّ في الظلِّ منكمشاً
خوف ضوء النهارِ ونأي الطرقْ
ومضيتُ إلى الشَمسِ
ما همّني أحترقْ
أو أهيم بسْحبِ الأماني البعيدةْ
الذي كان لي صَاحباً . .
لم يعدْ همُّهُ
غير أن يتعقبني في الدروب كظلِّي
ويشتمني في الجريدةْ

(1)

لماذا يلمعني هذا السيد الأنيق
كل صباح
وهو يمضي إلى مهمته الغامضة

(2)

وراءَ زجاجِ احدى المكتبات
ظلَّ صاحبي يختلسُ النظراتِ إلى وجهِ رجلٍ
كان يقلّبُ كتاباً
حين وقعتْ عيناهُ – على مؤخرةِ بنطلونِ صاحبي – ارتبكَ
هل خافني الرجلُ؟
سألتُ صاحبي ، فلكزني بحذرٍ
أن أسكتَ
لكنِ الرجلَ الذي التفتَ فجأةً إلي ورآني
اصفرَّ وجههُ
تركَ الكتابَ
وانسلَّ مسرعاً بين الزحامِ
تاركاً صاحبي
يبحثُ عنه بغضبٍ

(3)

كيف يعرف – سيدي – يا تُرى

ضحيته
وسط هذا الحشد من الأعناق

(4)

ذات مساء
وبينما كان المطرُ ينهمرُ
في شوارعِ المدينة
أخرجني من دفءِ جيبه
حركني ببرود أعصاب
ووجهني إلى ظهر رجلٍ
كان منحنياً لالتقاط شيءٍ لمْ أرهُ
إذ تكوّمَ الرجلُ فوقهَ فجأةً
بينما اتسعتْ خطواتُ صاحبي

(5)

بعد سنوات من عملي
أصبتُ بمرضٍ عضال
فأخذني صاحبي إلى دكانِ رجلٍ ملطخٍ بالزيتِ
نظرَ لي طويلاً
ثم قطّبَ شفتيه بأسف
متمتماً بأنني لم أعدْ أصلحُ لشيء
تركني صاحبي بلا رفة قلب أو مبالاة
دون أن يدري أنهم سيرمونه مثلي ذاتَ يومٍ

(6)

بين كومة من عظام وأشلاء حديدية
التفتُ بحذَر
رأيتُ حولي عشرات من زملاء المهنة
بهيئات وحشرجات مختلفة
تبادلنا أطرافَ الأحاديثِ قبلَ أنْ ننامَ
عن جولاتنا الليلية
عن العيونَ التي أطَفأنا فيها البصيصَ
عن الأعناقِ التي كنا نراها مزهوةً
ونعجبُ
كيف ترتجفُ أمامنا فجأةً
وتتلوى كسنابل في الريحِ ،
بينما كنا نضحكُ
عن تلك الحياة الشاسعة التي . . . . .
لم تكن تعني لنا سوى ضغطةِ زناد

هالتهُ كثرةُ الشكاوى التي ضَجرَ الملائكةُ من إيصالها
والدموع التي لا تصلُ صندوقَ بريده إلا ذابلةً أو متسخةً
والشتائم التي تُكال له يومياً بسببٍ أَو دونه
أرادَ أن يعرف ما يجري في بلادنا
فتنكَّرَ بملابسِ قرويٍّ
ونزلَ من سمائه البهية
متجولاً في شوارعِ المدينة
وبينما هو ينظرُ مشدوهاً
إلى صورِ السيد الرئيسِ تملأُ الحيطانَ والهواءَ وشاشاتِ التلفزيونِ .
مرقَ موكبُهُ المهيبُ ، مجلجلاً
- بين جوقة المصفقين واللافتات والحرس-
فتعالى الهتافُ من فمِ الرصيف المندلق
ورقصت البناياتُ والشجرُ والناسُ والغيومُ
فلكزَهُ أَحدهم هامساً بذعر :
صفّقْ أيها المغفّل ،
وإلا جرجركَ حراسُهُ الغلاظ

مالمو ١٩٩٧/٧/١٥

أنا وهولاكو

قادني الحراسُ إلى هولاكو
كان متربعاً على عرشه الضخم
وبين يديه حشدٌ من الوزراءِ والشعراءِ والجواري
سألني لماذا لمْ تمدحني
ارتجفتُ مرتبكاً هلعاً : يا سيدي أنا شاعرُ قصيدةِ نثر
أبتسمَ واثقاً مهيباً :
لا يهمكَ ذلك . .
ثم أشارَ لسيافه الأسود ضاحكاً :
علمْهُ إذاً كيفَ يكتبُ شعراً عمودياً بشطرِ رأسهِ
إلى شطر وعجز
وإياكَ أن تخلَّ بالوزن
وإياكَ من الزحاف والعلل
امسكني السيافُ من ياقتي المرتجفةِ ،
وهوى بسيفهِ الضخمِ
على عنقي
فتدحرجَ رأسي ،
واصطدم بالنافذة التي انفتحتْ من هول الصدمة .
فاستيقظتُ هلعَاً يابس الحلق ، لأرى عنقي مبللاً بالعرق ، وكتابَ الطبري ما زالَ جاثماً على صدري ، وقد اندعكت أوراقه تحت سنابك خيول هولاكو التي كانت تنهب الممالك والقلاع ، وأمامي وشيشُ التلفزيونَ الذي انتهى بثُّهُ بنهايةِ خطابِ الرئيسِ الطويلِ
قفزتُ مرعوباً

رأيت فراشي ملطخاً بدمِ الكتبِ التي جرفها نهرُ دجلة ، ممتزجاً
بالطمي والجهشات
حاولتُ أن أجمعَ شطري رأسي اللذَين التصقا بجانبي التلفزيون
وأصبحا أشبه بسماعتين يبثّانِ الوشيشَ نفسَهُ .
في الصباحِ ....
على غيرِ العادة لم اقرأ نعيِي في الجريدة ،
ولمْ تقفْ سيارةُ الحرسِ أمامَ البيتِ وعليهاَ جنازتي
ولمْ أعرفْ تفاصيلَ ما حدث
ذلك لأنَّ هولاكو ضجرَ منِ الوشيشِ
فقامَ بنفسه وأطفأَ التلفزيونَ
وعادَ إلى كَتاب الطبريِّ ثانيةً ،
مبتسماً واثقاً مهَيباً ،
بعد أن رفسني بخصيتي
لأنني نمتُ
قبل أن أكملَ بقيةَ سيرتهِ

مالمو ١٩٩٨/١١/١

الظلُّ الثاني

وقفتُ أمام البنايةِ
مرتبكاً
يتعقبني ظلُّه من وراء الجريدةِ
لفَّ معي الطرقات
وقاسمنِي مطعماً في ضواحي المدينةِ
والباص
والمكتباتِ اللصيقةَ
حتى انتهينا إلى دورة للمياه
وقاسمتهُ هلعي في القَصيدةَ ، منكمشاً
أتحسسُ طياتها من خلالِ التَصاقِ القميصِ بنبضي الذي يتسارعُ
والعجلات التي تتسارعُ
والقبلاتِ التي تتسارعِ خلف الغصون
تحسسَ - حينَ استدارَ - انتفاخَ مؤخرةِ البنطلونِ
فأبصرتُ فوهةً تترصدني . . . . . .
. . . .
ولم نفترقْ
قاطعتنا الشوارعُ
لم نفترقْ
قاطعتنا أغاني المقاهي التي سيحطُّ الذبابُ على لحنها ويطيرُ إلى الشاي ، سيدةٌ بالثياب القصيرة تهبطُ من سلّمِ الباصِ تقرصها النظراتُ المريبةُ من فخذيَها . . فتجَفلُ ، موجُ الزحامِ الذي يتلاطمُ فوق ضفافِ المحلاتِ منحسراً أخرَ الشهرِ نحو البيوتِ التي ستجففُ أيامَها

فوق حبلِ غسيلِ الديون ، المذيعُ الذي سوف يلثغُ باللامِ حين يمرُّ باسمِ
وزير الثقافة ، عاملةُ البارَ تشكو النعاس ،
النوافيرُ . . .
ساحةُ بيروت . . .
لمْ نفترقْ . . .

. . . .

دلفتُ إلى البارِ
كان ورائي
يمد مخالبه في ظلالي وكانَ الوطنْ
على بعد منفى وكوب من الشاي
يقرأُ في صحف اليوم آخرَ أخبارِه
نافثاً في الزجاجِ المضبّب دخانَ سيجارة اللفِّ
يبصق . . .]حين أصافحهُ ، سيمدُّ يداً بترتها الشظايا ، يشيرُ . . .
(لصورةِ جلاده ساخراً تتربعُ أعلى الجريدة مزدانةً بالنياشين ـ كمْ
نفختهُ الجرائدُ ـ يتبعهُ الدبقُ ، الحشدُ والكامراتُ) . . أشيرُ إلى المطرِ
المتساقط من غيمِ أجفانه وهو يرنو لجوعِ شوارعه والعمارات- أورامه
يتحسسها خلسةً عن عيونِ الحكومةِ ، تعلو . . . وتعلو وتعلو . . .
تمصُّ دماه وتعلو . . .]
. . يرى الحافلات التي تتدافعُ
والخطوات التي تتـ . . . .
. . إلى أين يلهثُ هذا القطيعُ ؟
احتسيتُ ـ على قلقٍ ـ نصف كوبي
فبادلني النظراتِ
التفتُّ
رأيت الذي كان يرقبني

قابعاً خلف نظارتيه وظهري
يقرّبُ أذنيه من طرَف الطاولةْ
نحنُ لمْ نتبَادلْ سوى جمل نصف مبتورة
فماذا يسجّلُ فأرُ الحكومة فيَّ أذن صاحبهً
ويُهيّيءُ- خلفَ التقاريرِ والمعطفِ الجلدِ - طلقتَهَ القاتلةْ

نهاية ١٩٩٢ مقهى حسن عجمي . بغداد

أسرّحُ طرفي
السماءُ التي أثلجتْ
لوّحتْ لي ، وغامتْ وراءَ الصنوبرِ
مالي وهذا الصنوبرُ مُدّثرٌ بالعصافيرِ والقبلاتِ السريعةِ
مالي وتلك البناتُ يدخّنَ أسرارَهنَ وراءَ النوافذ
مالي وهذي البلادُ التي لمْ يعكرْ فضاءاتها مدفعٌ منذ قرنين
مالي
وهذي السماءُ التي أثلجتْ
أو ستصحو . . .
. . . .
. . . .
مالي
ولا أرض لي
غير هذي الخطى
لكأنَّ الحنينَ يقصّرها أو يسارعها
وأنا أتشاغلُ بالواجهات المضيئة
عمَا يشاغلَني
. . . .
أقول لقلبي إلى أين؟
هم خربوا وطني
وتباكوا علي
المفارز عند الحدودِ البعيدةِ

ترنو لوجهي المشطّب بالسرفات
تدقُّ منذ الصباحِ باَسمي وتقذَفني
لكأن بلادي ممهورةٍ بالدموع التي تتساقط سهواً
لكأن المخافر تفترُّ بي
لكأني وحيد بزنزانتي آخرَ البار
أكرعُ ما ظلَّ لي جرعةً واحدة
وأغيبُ . . .
رويداً ، رويداً
. . . .
. . . .
ليس لي غير هذي الثلوج تظلّلُ نافذتي والشجرْ
كلما سألتني الفتاةُ اللصيقةُ عن وجهتي
اشتبكَ الغيمُ فوق مدامعنا وأنهمرْ

١٩٩٧/٤/٦ حانة في جنوب القطب

على جسر مالمو
رأيتُ الفراتَ يمدُّ يديهِ
ويأخذني
قلتُ أين
ولمْ أكملِ الحلمَ
حتى رأيتُ جيوشَ أمية
من كلِ صوبٍ تطوقني

وداعاً لنافذة في بلاد الخراب
وداعاً لسعفً تجردُهُ الطائراتُ من الخضرةِ الداكنةْ
وداعاً لتنور أمّي
وداعاً لتاريخنا المتآكلِ فوق الروازين
وداعاً لما سوفَ نتركهُ في اليدين
وداعاً
نغادرهُ الوطنَ المرَّ،
لكنْ إلى أين؟
كلُّ المنافي أمرّ ...
....
النخيلُ الذي ظلّلتني طوالعُهُ
لمْ يعدْ منه غير بقايا تصاوير شاحبةٍ
ومصاطب فارغة
وجذوع مشانق تَرنو لأعناقنا الحالمةْ

والفراتُ الذي عمدتني مواجعُهُ
لمْ يزلْ سادراً بأنينِ القرى الهائمةْ
آه . . يوليس
ليتكَ لمْ تصلِ الآنَ
ليتَ الطريق إلَى Malmo كانَ أبعدَ
أبعدَ
أبعدَ
أبعد
. . . .
. . . .
أيهذا الغريبُ الذي لمْ يجدْ لحظةً مبهجهْ
كيف تغدو المنافي سجوناً بلا أسيجةْ

مالمو ١٩٩٧/٨/١٨

أنينُ القطارِ يثيرُ شجنَ الأنفاقْ
هادراً علي سكة الذكرياتِ الطويلة
وأنا مسمّرٌ إلى النافذة
بنصف قلب
تاركاً نصفَهُ الآخرَ على الطاولة
يلعبُ البوكرَ مع فتاة حسيرةِ الفخذين
تسألني بألمٍ وذهولٍ
لماذا أصابعي متهرئة
كخشب التوابيت المستهلكة
وعجولة كأنها تخشى ألاّ تمسك شيئاً
فأحدّثها عن الوطن
والّلافتات
والاستعمار
وأمجاد الأمة
والمضاجعاتِ الأولى في المراحيض
فتميلُ بشعرِها النثيث على دموعي ولا تفهم
وفي الركنِ الآخرِ
ينثرُ موزارتَ توقيعاته على السهوبِ
المغطّاة بالثلج . . .
وطني حزينٌ أكثر مما يجب
وأغنياتي جامحةٌ وشرسة وخجولة
سأتمددُ على أولِ رصيفٍ أراه في أوربا

رافعاً ساقيَّ أمام المارة
لأريهم فلقات المدارس والمعتقلات
التي أوصلتني إلى هنا
ليس ما أحمله في جيوبي جواز سفر
وإنما تأريخ قهر
حيث خمسون عاماً ونحن نجترُّ العلفَ
والخطابات . . . .
. . وسجائر اللفٍّ
حيث نقف أمام المشانق
نتطلعُ إلى جثثنا الملوحة
ونصفقُ للحكّام
. . خوفاً على ملفات أهلنا المحفوظةِ في أقبية الأمن
حيث الوطن
يبدأ من خطاب الرئيس
. . وينتهي بخطاب الرئيس
مروراً بشوارع الرئيس ، وأغاني الرئيس ، ومتاحف الرئيس ، ومكارم الرئيس ، وأشجار الرئيس ، ومعامل الرئيس ، وصحف الرئيس ، وإسطبل الرئيس ، وغيوم الرئيس ، ومعسكرات الرئيس ، وتماثيل الرئيس ، وأفران الرئيس ، وأنواط الرئيس ، ومحظيات الرئيس ، ومدارس الرئيس ، ومزارع الرئيس ، وطقس الرئيس ، وتوجيهات الرئيس . . . .
ستحدّق طويلاً
في عينيّ المبتلتين بالمطر والبصاق
وتسألني من أي بلادٍ أنا . . .

أوراق من سيرة تأبط منفى

(1)

أتسكعُ تحتَ أضواءِ المصابيحِ
وفي جيوبي عناوينَ مبللةٌ
حانةٌ تطردني إلى حانة
وامرأةٌ تشهيني بأخرى
أعضُّ النهودَ الطازجةَ
أعضُّ الكتبَ
أعضُّ الشوارعَ
هذا الفمُ لا بدَّ أن يلتهمَ شيئاً
هذه الشفاه لا بدَّ أن تنطبقَ على كأسٍ
أو ثغر
أوْ حجر
لمْ يجوعني الله ولا الحقولُ
بل جوعتني الشعاراتُ
والمناجلُ التي سبقتني إلى السنابلِ
أخرجُ من ضوضائي إلى ضوضاءِ الأرصفةِ
أنا ضجرٌ بما يكفي لأن أرمي حياتي
لأية عابرة سبيل
وأمضي طَليقاً
ضجراً من الذكرياتِ والأصدقاءِ والكآبةِ
ضجراً أو يائساً

كباخرة مثقوبة علىٍ الجرف
لا تستطِيعُ الإقّلاعَ أو الغرقَ

تشرين ثاني ١٩٩٣ عدن

(2)
كتبي تحتَ رأسي
ويدي على مقبضِ الحقيبةِ
السهول التي حلمنَا بها لمْ تمنحنا سوى الوحول
والكتب التي سطرناها لمْ تمنحنا سوى الفاقة والَسياطِ
أقدامي امحتْ منِ التسكعِ على أرصفةِ الورقِ
وأغنياتي تكسّرتْ مع أقداحِ البارات
ودموعي معلّقةٌ كالفوانيسِ على نوافَذ السجونِ الضيقةِ
أفردُ خيوطَ الحبرِ المتشابكةَ من كرةِ صَوفِ رأسَي
وأنثرها فيِ الشوارِعِ
سطراً سطراً ،
حتى تنتهي أوراقي
وأنام

آذار ١٩٩٦ دمشق

(3)
سأحزمُ حقائبي
وموعي
وقصائدي

وأرحلُ عنِ هذه البلادَ
ولو زحفتُ بأسناني
لا تطلقوا الدموعَ ورائي ولا الزغاريدَ
أريد أن أذهبَ
دون أن أرى من نوافذِ السفنِ والقطاراتِ
مناديلكم الملوحةَ .
أستروحُ الهواءَ في الأنفاق
منكسراً أمامَ مرايا المحلاتَ
كبطاقاتِ البريدِ التي لا تذهبُ لأحدٍ

لنحمل قبورنَا وأطفالنَا
لنحمل تأوهاتنا وأحلامنَا وغضي
قبل أن يسرقَوَها
ويبيعوها لنا في الوطنِ : حقولاً من لافتاتٍ
وفي المنافي : وطناً بالتَقسيط

هذه الأرضُ
لمْ تعدْ تصلحُ لشيءٍ
هذه الأرض
كلما طفحتْ فيها مجاري الدمِ والنفطِ
طفحَ الانتهازيون
أرضنا التي نتقيأُها في الحانات
ونتركها كاللذات الخاسرة
علىَ أسرة القَحابِ
أرضنا التي ينتزعونها مَنا

كالجلودِ والاعترافات
في غرفَ التحقيقِ
ويلصقونها علىِ اكفنَا ، لتصفقَ
أمامَ نوافذِ الحكامِ
أيةُ بلاد هذه
ومع ذلكً
ما أن نرحلَ عنها بضعَ خطواتٍ
حتى نتكسرَ من الحنين
على أولِ رصيف منفى يصادفنا
ونهرعُ إلَى صناديَقِ البريدِ
نحضنها ونبكي

كانون ثاني ١٩٩٦ الخرطوم

(4)

حياتنا التي تشبه الضراط المتقطع في مرحاض عام
حياتنا التي لمْ يؤرخها أحد
حياتنا ناياتنا المبحوحةُ في الريحِ
أو نشيجنا في العلب
حياتنا المستهلكةُ فيَ الأضابير
والمشرورةُ فوق حبال غسيلِ الحروبِ
ترى أين أوَّلي بها الآن
حين تستيقظُ فجأةً
في آخرةِ الليلِ

وتظلُّ تعوي في شوارعِ العالم

١٩٩٩/٧/١٥ ليلاً – قناة دوفر Dover بحر المانش

(5)

أضعُ يدي على خريطة العالمِ
وأحلمُ بالشوارعِ التي سَأجوبها بقدمي الحافيتين
والخصورِ التي سأطوقها بذراعي في الحدائق العامة
والمكتباتِ التي سأستعيرُ منها الكتبَ ولن أعيدها
والمخبرين الَذين سأراوغهم من شارعٍ إلى شارعٍ
منتشياً بالمطرِ والكركراتِ
حتى أراهم فَجأةً أمامي
فأرفع إصبعي عن الخارطة خائفاً
وأنامُ ممتلئاً بالقهر

١٩٩٩/٧/١٦ حديقة الهايدبارك – لندن

(6)

سأقذفُ جواربي إلى السماء
تضامناً مع مَنْ لا يملكون الأَحذيةَ
وأمشي حافياً
ألامسُ وحولَ الشوارعِ بباطنِ قدمي
محدقاً في وجوهِ المتخمين وراءَ زجاجِ مكاتبهم
آه . .
لو كانتِ الأمعاءُ البشريةُ من زجاجٍ

لرأينا كمْ سرقوا من رغيفنا
أيها الربُّ
إذا لمْ تستطعْ أن تملأَ هذه المعدةَ الجرباءَ
التي تصفرُ فيها الريحُ والديدانُ
فلماذا خلقتَ لي هذه الأضراسَ النهمة
وإذا لمْ تبرعمْ على سريري جسداً املوداً
فلماذا خلقت لي ذراعينِ من كبريت
وإذا لمْ تمنحني وطناً آمناً
فلماذا خلقتَ لي هذه الأقدامَ الجوّابةَ
وإذا كنتَ ضجراً من شكواي
فلماذا خلقتَ لي هذا الفمَ المندلقَ بالصراخِ
ليلَ نهار

آب ١٩٩٩ براغ

(7)
أين يداكَ؟
نسيتهما يلوحان للقطاراتِ الراحلةِ
أين امرأتكَ؟
اختلفنا في أولِ متجرٍ دخلناهُ
أين وطنك؟
ابتلعتهُ المجنـزرات
أين سماؤكَ؟
لا أراها لكثرة الدخانِ واللافتاتِ
أين حريتكَ؟

أنني لا أستطيعُ النطقَ بها من كثرةِ الارتجاف

١٩٩٦ مقهى الفينيق - عمان

(8)

دموعي سوداء
من فرطِ ما شربتْ عيوني
من المحابرِ والزنازين
خطواتي قصيرة
من طولِ ما تعثرتْ بين السطورِ بأسلاكِ الرقيب
أمدُّ برأسَي من الكتاب
وأتطلعُ إلى ما خلفتُ ورائي
من شوارع مزدحمة
ونهود متأوهةً
ورًغبات مًورقة في الأسرّةِ
وأعجبُ كيف مرّتً السنًوات
وأنا مشدَودٌ بخيوطِ الكلماتِ إلى ورقة

تموز ١٩٩٣ مهرجان جرش- عمان

(9)

لا شمعة في يدي ولا حنين
فكيف أرسمِ قلبي
لا سنبلة أمامَ فمي فكيفَ أصفُ رائحةَ الشبعِ

لا عطور في سريري فكيف أستدلُّ على جسد المرأة
لنستمع إلى غناء الملاحين
قبل أن يقلعوا بأحَلامهم إلى عرضِ البحرِ وينسونا
لنستمع إلى حِوارِ الأجساد
قبل أن ينطفِئَ لهَاثها علىَ الأرائك
أنا القيثارةُ مَنْ يعزفني
أنا الدموعُ مَنْ يبكيني
أنا الكلماتُ منْ .. يرددني
أنا الثورةُ مَنْ يشعلني

تشرين ثاني ١٩٩٣ صنعاء

(10)

أكتبُ ويديِ على النافذة
تمسحُ الدموعَ عن وجنة السماء
أكتبُ وقلبي في الحقيبَة يصغي لصفيرِ القطارات
أكتبُ وأصابعي مشتتة عَلى مناضد المقَاهي ورفوفِ المكتبات
أكتبُ وعنقي مشدودٌ منذ بدءِ التاريَخِ
إلى حبلِ مشنقة
أكتبُ وأنَا أحملُ محاتي دائماً
لأقلٍّ طرقة باب
وأضحكُ عَلى نفَّسي بمرارةٍ
حين لا أجد أحداً
سوى الريح

١٩٩١ بغداد

(11)

كيف لي
أن أتخلّصَ من مخاوفي
رباه
وعيوني مسمرةٌ إلى بساطيلِ الشرطةِ
لا إلى السماء
وبطاقتي الشخَصية معي
وأنا في سريرِ النومِ
خشيةَ أنْ يوقَفني مخبرٌ في الأحلام

امستردام ١٩٩٩/٧/٢٤

(12)

تحتَ سلالمِ أيامي المتآكلة
أجلسُ أمامَ دواتي اليابسةَ
أخططُ لمجرى قصيدتي أو حَياتي
ثم أديرُ وجهي باتجاهِ الشوارع
ناسياً كلَّ شيء
أريدُ أن أهرعَ لأوّل عمود أعانقهُ وأبكي
أريدُ أن أتسكعَ تحَتَ السحّب العابرة
حتى تغسلَ آثارَ دموعي
أريد أن أغفو على أيٍّ حجرٍ أو مصطبةٍ أو كتاب
دونَ أن يدقق في وجهي مخّبرٌ
أو متطفلةٌ عابرةٌ

أعطوني شيئاً من الحريةِ
لأغمس أصابعي فيها
وألحسها كطفلٍ جائعٍ
أنا شاعرٌ جوّابٌ
يدي في جيوبي
ووسادتي الأرصفة
وطني القصيدة
ودموعي تفهرسُ التأريخَ
أشيخُ السنوات والطرقاتِ
بعجالة مَنْ أضَاعَ نصفَ عَمره
في خنادق الحروبِ الخاسرة والزنازين
مَنْ يغطيني من البَردِ واللهاثِ ولسعَات العيون
وحيداً ، أبتلعُ الضجرَ والوشلَ من الكؤوسِ المنسيّة على الطاولاتِ
وأحتكُّ بأرداف الفتياتِ الممتلئةِ في مواقفِ الباصَاتِ
لي المقاعدُ الفارَغةُ
والسفنُ التي لا ينتظرها أحد
لا خبز لي ولا وطن ولا مزاج
وفي الليل
أخلعُ أصابعِي
وأدفنها تحتَ وسادتي
خشيةَ أن أقطعها بأسناني
واحدةً بعدَ واحدة
من الجوعِ
أو الندمِ

تشرين أول ١٩٩٦ بيروت

(13)

أيها القلبُ الضال

يا مَنْ خرجتَ حافياً ذاتَ يوم

مع المطرِ والسياطِ وأوراقِ الخريفِ

ولمْ تعدْ لي

أبحثُ عنكَ

في حقائبِ الفتيات اللامعة والمواخيرِ ومحطاتِ القطاراتِ

حافياً أمرُّ فَي طرقاتَ طفولتي

وعلى فمي تتراكمُ دَموعُ الكتب والغبار

أجمعُ بقايا الصحف والغيوم الحزينة وصور الممثلات العارية

وأدلقُ وشلَ القناني الفارغة في جوفي

أجمعُ أعقابَ السجائر المطلَية بالأحمر

وأظلُّ أحلمُ بما تركتهُ الشفاهُ الأنيقةُ من زفراتٍ

القصائدُ تتعفنُ في جيوبي

ولا أجد مَنْ ينشرها

الدموعُ تتيبسُ على شفتي

ولا أجد مَنْ يمسحها

راكلاً حياتي بقدمي من شارعٍ إلى شارعٍ

مثلما يركلُ الطفلُ كرتَهُ الصغيرةَ ضجراً منها

وأنا . . .

أتأملُ وجهي في المرايا المتعاكسة

وأعجبُ

كيف هرمتُ

بهذه العجالة

أوسلو ٢٠٠٠/١/٢

(14)

سأجلسُ على بابِ الوطنِ محدودبَ الظهرِ
كأغنيةٍ حزينةٍ تنبعثُ من حقلٍ فارغٍ
يغطيني الثلجُ وأوراقُ الشجرِ اليابسة
أنظرُ إلى أسرابِ العائدينَ من منافيهم كالطيورِ المتعبةِ
أمسحُ عن أجفانهم الثلوجَ والغربةَ
إنهم يعودون . . .
لكن مَنْ يعيد لهم ما ضيعوهُ
من رملٍ وأحلامٍ وسنوات

أقلعتُ في أولِ قطارٍ إلى المنفى
وأنا أفكرُ بالعودَة
شاختْ سكةُ الحديد
وتهرأت العجلاتُ
وامحتْ ثيابي من الغسيلِ
وأنا ما زلتُ مسافراً في الريحِ
أتطايرُ بحنيني في قارات العالم
مثل أوراق الرسائلِ الممزقَة
دموعي مكسّرةٌ في الباراتَ
وأصابعي ضائعةٌ على مناضدِ المقاهي
تكتبُ رسائلَ الحنين
لأصدقائي الذين لا أملكُ عناوينهم

أنامُ على سطوحِ الشاحنات
وعيوني المغرورقةُ باتجاهِ الوطَنِ البعيد

كطائرٍ لا يدري على أيٍّ غصن يحطُّ
لكنني دون أن أتطلع من نافذةِ القطارِ العابرِ سهوب وطني
أعرف ما يمرُّ بي
من أنهارٍ
وزنازين
ونخيل
وقرى . أحفظها عن ظهرِ قلب

سأرتمي ، في أحضان أول كومة عشب تلوحُ لي من حقولِ بلادي
وأمرّغُ فمي بأوحالهاَ وتوتها وشعاراتها الكاذبةِ
لكنني
لن أطرقَ البابَ يا أمي
إنهم وراء الجدران ينتظرونني بنصالهم اللامعة
لا تنتظري رسائلي
إنهم يفتشون بين الفوارز والنقاطِ عن كلِّ كلمةٍ أو نأمةٍ
فاجلسي أمامَ النافذة
واصغي في الليلِ إلى الريح
ستسمعين نجوى روحي

مالمو ١٩٩٨

(15)

خطوطُ يدي امحت من التشبّثِ بالريحِ والأسلاك
ومن العادات السرّيةَ
مع نساء لا أعرفهنَ

التقطتهنَّ بسنّارة أحلامي من الشارع
وهذه الشروخ ، الَتي ترينها ليستْ سطوراً
بل آثار المساطر التي انهالتْ على كفي
وهذه الندوب ، عضات أصابعي
من الندم والغضب والارتجاف
فلا تبحثي عن طالعي في راحتي
- ياسيدتي العرافة -
ما دمتُ مرهوناً بهذا الشرق
فمستقبلي في راحات الحكَام

۱۹۹۰/۳/۲۰ كورنيش النيل- القاهرة

(16)

لا أعرفُ متى سأسقطُ على رصيفِ قصائدي
مكوّماً بطلقة
أو مثقوباً من ً الجوعِ
أو بطعنة صديق
يمرُّ الحكامُ والأحزابُ والعاهراتُ
ولا يد تعتُّ بباقتي وتنهضني من الركامِ
لا عنق يستديرُ نحوي
ليرى كيفَ يشخبُ دمي كساقية على الرصيفِ
لا مشيعين يحملونني متأففين إلَى المقبرة
الأقدامُ تدوسني أو تعبرني
وتمضي
الفتياتُ يشحنَ بأنظارهن

وهن يمضغن سندويشاتهن ونكاتهن المدرسية البذيئة
ومئذنةُ الجامعِ الكبير
تصاعدُ تسابيحها - ليلَ نهار -
دون أن تلتفت لجعيري

. . . .

لا أعرفُ على أيِّ رصيفِ منفى
ستسّاقطُ أقدامي ورموشيَ من الانتظار
لا أعرفُ أيَّ أظافرِ نتنةٍ ستمتدُ إلى جيوبي
وتسلبني قصائديَ
ومحبرتي وأحلامي
في وضحِ النهار
لا أعرفَ على أيِّ سريرِ فندقٍ أو مستشفى
سأستيقظ
لأجد وسادتيٍ خاليةً . . .
ودموعي باردة
ووطني بعيد
لا أعرفُ في أيِّ منعطف جملة أو وردة
سيسدد أحدهم طعنتَهُ المَرتبكةَ العميقةً
إلى ظهري
من أجلِ قصيدة كتبتها ذاتَ يومٍ
أشتمُ فيها الطغاةَ والطراطير
ومعٍ ذلك سأواصلُ طوافي وقهقهاتي وشتائمي
عابراً وليس لي غير الأرصفة والسعالِ الطويلِ
ليس لي غِير الحبرِ والسلالمِ والأمطارِ
سائراً مثل جندي وحيدٍ

يجرُّ بينَ الأنقاضِ حياتَهُ الجريحةَ
لا أريدُ أوسمةً ولاَ طبولاً ولاِ جرائدَ
أريدُ أن أضعَ جبيني الساخنَ
على طينِ أنهار بلادي
وأموت حَالماً كاَلأشجار

برلين ٢٠٠٠/١١/١١

مستلقياً على ظهري
أحدّقُ في السماء الزرقاء
وأحصي كمْ عددَ الزفراتِ التي تصعدُ إلى الله كلَّ يومٍ
وكم عددَ حبات المطر التيَ تتساقطُ من جفنيهِ
أديرُ قرصَ الهاتفِ
وأطلبهُ
تردُّ سكرتيرتهُ الجميلةُ
إنه مشغولٌ هذه الأيام
إلى أذنيه
بتقليبِ عَرائضكم التي تهرأتْ من طولِ تململها في المخازن
يا سيدَتي أريدُ رؤيتَهُ ولو لدقيقةٍ واحدةٍ
ما منْ مرة
طلبتهُ
وردَّ علي
أريدُ أن أسألَهُ قبلَ أنْ أودّعَ حياتي البائسة
وقبل أنْ يضعَ فواتيرَهُ الطويلةَ أمامي :
يا الهي العادل
أمن أجلِ تفاحة واحدة
خسرتُ جنانَكَ الواسعةَ
أمن أجلِ أن يسجدَ لي ملاكٌ واحدٌ
لم يبقَ شيءٌ في التاريخ إلا وركعتُ أمامه
. . . .

يا أبانا . . .
يا أبانا الرحيم
أعرف أنكَ لن تضحكَ على ذقوننا مثلهم
لكني مهانٌ ويائس
أريدُ شبراً من هذه الأرضِ الواسعة أضعُ عليه رأسي ونعالي وأنام
أريد رغيفاً واحداً من ملايين السَنابل التي تتمايس أمامي كخصورِ الراقصات

. . . .

. . . .

أجلسُ أمامَ بابِ مسجد الكوفة
أجلسُ أمامَ كنيسَة لوندَ
أجلسُ أمامَ حائط المبكى
أجلسُ أمامَ معبدَ بوذا
ضاغطاً راحتي علَى ركبتي
وأحصي كمْ يصعدون ، ظهورَنا المحدودبةَ كالسلالم
وكم ينـزلون
ومع هذا
لا أحد يلتفتُ إلى دموعنا المنسابةِ كالمزاريب
أريدُ أن أصعدَ يوماً إلى ملكوته
لأرى . .
إلى أين تذهبُ غيومُ حشرجاتنا
وهذه الأرض التي تدور
بمعاركنا وطبولنا وشتائمنا واستغاثاتنا
منذ ملايين السنين
ألمْ توقظْهُ من قيلولتهِ الكونيةِ

ليطلَّ من شرفتهِ
وينظر لنا
مَنْ يدرِي
ربما سئِمَ من شكوانا
فأشاحَ بوجهه الكريم
ونسينا إلى الأبد .

أحلمُ أن أركلَ الكرةَ الأرضيةَ بحذائي المثقوب
ولا أدعها تسقطُ
حتى أعيدها إليه
كي يجيبني
بعيداً عنِ جمهرة المفسرينِ والدراويش والوعّاظ :
إذا كنتَ وحدكَ مَالكَ الغيب . .
ولمْ تفش أسرارَكَ لأحدٍ
فكيف علَمَ أبليس
بأني سأعيثُ في الأرضِ فساداً
. . . .
وإذ كنتَ حرمتني
من دمِ العنقود
فلماذاَ أبحتهُ لَغيري
. . . .
وإذا كان الأشرارُ لمْ يصعدوا إلى سفينةِ نوح
وغرقوا في البحرِ
فكيفَ امتلأتِ الأرضُ بهم ثانيةً
. . . .

و «إذا السماء انشقّتْ ، وأذِنتْ لربها وحُقّتْ ، وإذا الأرضُ مُدّتْ ، وألقتْ ما فيها وتخلّتْ» . .
فأين ستذهب لوحات فان كوخ ،
وقصائد المتنبي ،
ومسرحيات شكسبير ،
ونهج البلاغة ،
وسمفونيات موزارت
وما الذي سنجده في متاحفِ الجنة . .
. . . .
وإذا كنتُ سأجدُ في فراديسك الواسعة
حبراً
وخمراً
وصفصافاً
فهلِ أستطيعُ نشرَ قصائدي
دونَ أن تمرَّ على رقيبٍ
. . . .
وإذا أنكحتني
عشرةَ آلاف حورية عين . . . .
فماذا ستتركَ لحبيبتي
و . . . . .
و . . . .
. . . .

٣/٤/١٩٩٨ لوليو- جنوب القطب الشمالي

عبد الوهاب البياتي

اكتشاف

إلى الشاعر عدنان الصائغ

أكتشفُ الأنفاقَ الحجريةَ في روحي
والمنفيِ والنارْ
ومقابر بغداد .
أكتشفُ اللوحَ المحفوظْ
والمقبوسَ المسماريَّ النابضَ في جدل الروحْ .
أكتشفُ ، الآنَ ، لماذا كانتْ
أصوات الموتى ، تصعدُ من بئرِ شقائي
ولماذا كنتُ أخافْ
من بعضِ الأصوات الغامضة التعبى
تثقبُ صمتَ الأنفاقْ .
أكتشفُ ، الآنَ ، البعدَ الخامسَ في مرآة الأشياء
وفتوحاتِ الأسلاف الشعرية في نار الكلماتْ
لكني
وأنا أتماهى
في داخل روحي
أحترقُ الآنْ

آب ١٩٩٠

* من ديوانه «كتاب المراثي» المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت ١٩٩٥

د. عبد العزيز المقالح

بطاقة للقرن الجديد

إلى عدنان الصائغ ، الصديق والشاعر ، في منفاه المؤقت

صباحٌ جديدٌ
وأغنيةٌ تتسكع خلف الشبابيك
تبحثُ عن غيمةٍ أو سحابهْ

صباحٌ جديدٌ
وأمنيةٌ تتحدرُ عبر سماءٍ من الحلم
تغسلُ أرواحنا
وتذيبُ ثلوجَ الكآبةْ

صباحٌ جديدٌ
وشمسٌ من الحبِ دافئةٌ
كالنبيذ المعتق في صدرِ خابيةٍ
تشتكيَ للزمانَ شبابهْ .

صباحٌ جديدٌ
و «سوناتةٌ» عذبةُ الكلماتِ
وطازجةٌ ،
تترقرقُ مثل الندى
فوق صنعاء

حاملةً دهشةَ الشعراء
وكاشفةً عن جنونِ الغرابةْ

صباحٌ جديدٌ
وقرنٌ من الضوء
يحملُ أطفالنا وَقصائدنا
لزمان تخلتْ عن الحقد أيامهُ
وتخلتْ شوارعهُ عن معَاني الرتابةْ

٢٠٠٠ صنعاء

(*) نُشرت في مجلة تموز ع ١٣-٢٠٠٠ السويد/ ومجلة الحياة الثقافية ع ١١٨ تونس

علي الدميني

هكذا

إلى عدنان الصائغ

قدحاً من رخام العذارى صنعت ،
وأوقدت مسك المعابد للداخلينْ ،
حلّني في سِهوب العشيقات
من دونما جزَعٍ أو مواجيد ،
في سنة رخوةٍ يتخبّط في بهوها الخلق
حتى يساوي القطيع
الرعاةْ ،
والمساء الغداةْ
ولنذقْ في تفاصيلهن الكثير من المقت ،
إني وجدت كتابي
يخطّط فتواه في هامش مُغفل ويدثّره بالحلال
هكذا أرتدي ورق الشكّ في لغتي ،
من فصولك ،
إن شطّ بي القلب في لغوهِ ،
أو أتاه اليقين

(*) من ديوانه «بأجنحتها تدق أجراس النافذة» دار الكنوز الأدبية - بيروت ١٩٩٩ .

عبد الرزاق الربيعي

إلى تأبط منفى عدنان الصائغ

لكَ العتبى
قالَ إذ استلقى تحت الشجرِ يراقبُ
ظلمات تزحفُ
تعقبها ظلمات
حطَّ الطيرُ على غصنِ الشمسِ
وراحَ يصيحُ :
لكَ العتبى
لكَ ظلٌّ ماتَ
ولي ظلمات تمشي في النورِ
ونور يمشي في الظلماتِ
لذلك عذتُ بوجهكَ
من حجرٍ شجَّ جبينَ الضوءِ
ببادية الضوءِ
ومن وَطن تأكلهُ الحسراتُ
ظلمات باردة الدم
ومن فوق الظلمات
أرى ظلمات
ظلمات تصفرُ ليلاً
بسماء ملأى بنجومٍ أكسدها
قمرٌ زنخٌ في التيه
لذلك عذتُ بوجَهكَ
من أفقٍ ضاقَ بسبعِ سماواتٍ

من ظلمات
فضيقنا الواسع من حدق البلوى
سرنا بمناكبها
نتلمسُ زفرات الموتى المحفوظة
في طيات حموضة أكياس الخبز
نعلّقُ خيطاً من ظلمات متكلسة
تغمرها ظلمات
أخرجْ منها
فخرجتُ
تأبطْ منفى
فتأبطتُ ببادية (الطائف) وجهَ الله
تعقبني جندٌ ذات ضياع في صحراء الربع الخالي العينين
وذات شتات
ظلمات يابسة
خانقة الظلمات
لكَ العتبى

(*) صحيفة الزمان - لندن ع ١٠ - ١٩٩٨/٢/١٩

Maria Lindberg الشاعرة السويدية ماريا ليندبيرغ

ثلاث قصائد

إلى الشاعر عدنان الصائغ

(1)

خُزِّنتْ الكلمات لوقت طويل من أجل أن تبقى ساكنةً
كي تبدو بين الناس متَّزنةً
حلوةً ومريحةً
ذات جرس بديع وتناغم أجمل
لقد انتظرن طويلاً من أجل ذلك .
كنَّ مُهدّدات إذا ما ظهرن
لهذا أُنكرَ وجودهن
ورغم هذا عندما جئنَ
جئن مسرعات
مقشرات ، طازجات ، منفعلات
مرتبكاتٍ من هول الرَّعب والصراَخ
منطلقات من الصدر
نابعات من القلب
اندفعن أماماً
كالشرار المتناثر في الهواء

(2)

حتى لو التوت الأصابع ،

اكتبْ بصلابة
حتى لو تورم اللسان من الكلام ،
اطلقْ صرختك عالياً
الكلمات تصعد ، تصعد بك الى الأعلى
ارفضْ الصمتَ . .
ارفضْ أن تظلَّ ساكناً

(3)

الحقيقةُ فارزةٌ لا علاقة لها بالجملة
إذ تُقارن مع تاريخٍ
رهيب ، غنيٍّ ، لاذعٍ ورائعٍ
الأكاذيبُ تُعمي الأبصارَ بضوئها المرفرف
الحقيقةُ مجردةٌ
وشفافةٌ
بجانب الوجنة الحمراء النحيلة

ترجمة : ملاك مظلوم

(*) ألقيت في صالة Kafe Romantico في مالمو - شتاء ٢٠٠٠ .

تكوينات

مفتتح

أتصفّحُ كتبَ التاريخ
فتتلوّثُ أصابعي . . .
. . . بالدم
كلما قلبتُ فصلاً لطاغية
قادني حرّاسُهُ
إلى الفهرست
فأرتجف هلعاً
أيها الجنرالات
ماذا صنعتم بأحلامنا؟
أكلُّ هذه الجزمات السودِ
التي تسلّقتْ أعناقَنا
وما زلنا نلوّحُ للشمس!؟

١٩٩٣/١١/١٠ عدن

فرّغتكَ الحروبُ
من الحبِّ
ها هو قلبُكَ طبلٌ
يرُّ ـ على جلده المتقرّن ـ نقرُ الأناشيد
تحملهُ جوقةُ العَازفين إلى ساحة الاحتفالات
حيثُ الجموعُ التي تتلاطمُ من حوله
ثم ترتدُّ ـ محفوفةً بالبنادقِ ـ لمْ تقترَبْ ساحله!
تردّدُ محمومةً :
.. عاشَ حامي البلاد
فتسمعُ جوفَكَ يصرخُ :
ـ عا ... ث ...
فيلكزُكَ المنشدون :
.. انتبهْ
الحروفُ نميمةُ ريحْ
والطبولُ لحاءٌ تساقطَ من مقصلةْ
....
.....
يدفعونَكَ للقبو ..
تنبحُ خلفَ دماكَ التقاريرُ والمقلُ القاحلةْ
فيصرخُ فيكَ المحققُ ،
مرتعباً :
ـ كيف بدّلتَ شينَ الرئيسْ

بثاء تعيسْ . .
سلّلتّهُ إليكَ المناشيرُ في لحظةٍ غافلةْ ؟!

ـ سيدي
إنَّهُ محضُ طبل
تشقّقَ من كثرة ًالضرب
فاختلطتْ في تَجاويفهِ الَأحرفُ القاتلةْ

. . . .

عندما أخرجوهُ
من الكوّة المقفلةْ
بعد عشرَينِ عاماً
لمْ يجدْ غيرَ كنسِ الشوارعِ مما تخلّفهُ المرحلةْ
هكذا ظلَّ يحلمُ . . .
بالثورة المقبلةْ
غَير أنَّ السياطَ
التي ملّحتْ جلدَهُ فوق طاولةِ الأسئلةْ
لمْ تعدْ تسمعُ النقرَ . . يصعدُ
. . يصعدُ
في روحه الصاهلةْ
فرموهُ إلى المزبلةْ

١٩٩٢/٣/١٥ بغداد

ثورة

ترى . .
ماذا كانَ يفكّرُ خدمُ القصر؟
وهم يمسحون بذيولهم الطاووسية
ذرات الزمنِ العالقةَ بلحيته الضوَئية!
ترى ماذا كانتْ تحَلمُ الغانياتُ؟
وهنَّ يمسّدنَ بحريرِ أصابعهنَّ ، قلاعَهُ الميتة!
ترى ماذا كان يدبّجُ شاعرُ البلاط؟
حين انطبقتْ
- على ثنية معطفه الطويل -
بابُ المرحَاض الرئاسيِّ!
ترى بماذا كانت تسرحِ حلاّبةُ أبَقار الإمبراطور؟
وهي تنثرُ علفَ أيامها في زوايا الإسطبل!
ترى على أيةِ بقعة
من تضاريسِ وجههَ؟
انزلَقتْ
نظراتُ الوزراءِ الزئبقيةُ!
لحظةَ . . .
أنْ تناهى لأسماعهم جميعاً
صوتُ أول الاطلاقاتِ ، التي هشّمتْ كريستال القصر!!
وشقّتْ الطريقَ
- في الممرات المطعّمة بالحرس والفسيفساءِ -
أمام هديرِ الهتافاتِ المَتلاطمةَ!!!

الخرطوم ١٩٩٥/١٢/٣٠

غياب

رسمَ بلاداً
على شرشف الطاولة
وملأها بالبيوتِ المضيئةِ والجسورِ والأشجارِ والقطط
قطعَ تذكرةً
وسافرَ إليها
محمّلاً بحقائبه وأطفاله
لكنَّ رجالَ الكماركَ
أيقظوهُ عند الحدودِ
فرأى نادلَ البارِ
يهزُّهُ بعنف :
إلى أين تهرَبُ بأحلامكَ
ولمْ تدفعْ فاتورةَ الحسابْ

١٩/٣/١٩٩٠ القاهرة

زهرة

أتمشى أنا وشيخوختي
في رواق الجامعة
حيثُ الأَزهارُ تتفتحُ عن شوارع ليستْ لي
والأزرارُ تتفتّقُ عن ربيعٍ ليس لي
أنا وشيخوختي . . .
نتسكعُ بلا صديقة
ولا ذكرياتٍ
نتلصّصُ للسيقان ألبضّة
..والمواعيدَ المختَلسةِ مَن وراءِ ظهرِ سيبويه
ونبتسمُ بصمتٍ
ياه . . .
منذ متى لمْ أضعْ كفي عليه
فأتذكّرُ أنَّ لي شيئاً ينبضُ هناك
في هذه الزاويةِ المهجورةِ من صدري

١٩٩٠/١٢/١٢ بغداد

اقترحي وطناً لحنيني
ورداً لذبول أصابعنا
ومصادفةً عَابرةً في باص عابر
أو كرسيين نديين على البّحر
اقترحي سبباً آخرَ للحب
أو سبباً آخر للهجر
ما في قلبي يكفيني
ما عدتُ أرى أبعد من شفتيكِ ، بلاداً
تطردني أو تُؤويني
فأنا ربانٌ منسيٌ
ضيّعتُ البحر
وضيّعني
فإلى أين أقود سفيني؟

١٩٩٠/٣/٢٠ القاهرة

تشكيل

أرسمُ دبابةً وأوجهها إلى شرفة الجنرال
أرسم غيمةً وأقولُ : تلك بلاديَ
أرسم لغماً وأضعهُ في خزانة اللغة
أرسم عنكبوتاً وأحنّطهُ على بَابِ الأحزان
أرسم أبي وأقولُ له : لماذا تركتنيَ وحيداً أمام اللئام
أرسم مائدةً وأدعو إليها طفولتي
أرسم ناياً وأنسلُ من ثقوبه إلى القرى البعيدة
أرسم شارعاً وأتسكعُ فيه مَع أحلامي
أرسم قلبي . . .
. . . واسأله : أين أنتِ!؟

١٩٩٥/١٢/٢٧

قبلة

وهما يتكأن على سياجِ الياسمينِ النمّام
يهمُّ بتقبيلها
فتفلتُ القبلةُ من فمه
وتسقطُ على العشبِ
محدثةً رنيناً أخضرَ
ينحني ليلتقطها
فتضحك . . .
ذلك أنَّ القبلَ الساقطةَ
كقطرات المطر
سرعانَ مَا تجفُّ

٢٨/١٢/١٩٩٥ الخرطوم - جزيرة توتي

مرايا متعاكسة

أحياناً
. . . يوقفنيِ وجهي في المرآةْ
أنتَ تغيّرت . . . .
. . . . . تغيّرتَ كثيراً
أتطلّعُ مذعوراً
لا أبصرُ فيِ عينيّ سوى شيخٍ
يتأبّطُ عكّازَ قصائده
. . . متجهاً نحو البَحر
يتمرآى في صفحته الزَرقاءْ
فيرى في أعماق المَوَجِ
ولداً في العشرينَ
يتطلّعُ مبهوراً
في وجه المرآة . . .
لا يدريَ الآنْ
أيّهما كانْ!؟

١٨/٧/١٩٩٠ بغداد

إلى مخبر قديم

صباحَ البنفسجِ ، يا صاحبي
أنتَ تبصرُ أن الحديقةَ لم تنتشِ
والحقيقةَ لمِ ترتشِ
كيفَ أقبلت . . .
أيُّ الطريقِ إلى عنقي كان أسهلَ
أيُّ التقاريرَ أعددتَ هذا الصباحَ المكّبلَ
أيُّ الحمائمِ قد أفزعتها البنادقُ
طارتْ تحلّقُ بين الفضاءِ
وبينَ قميصيِ المبلّلِ
ألمْ تبصرِ اللوزَ أزهرَ؟
والأفقِ أدنى منِ امرأة
ستشرِ الغروبَ على حَبلِ قلبي ، لترحلَ
مالكَ مرتبكاً
خلفَ سورِ الحديقةَ
ترقبُ نافذَتي
وتمايز ما بين عنقي ، وهذي الأزاهيرِ
دانية القطفَ
ترنو إَليكَ
فتجفلُ . . .
. . . .
. . . .
قلتُ : صباحاً جميلاً

سأفتحُ نافذتي
وأسددُ قلبي إلى الطلقةِ القاتلة

عمان ١٩٩٤/٣/٢٣

مناضل

(1)

بينما كانتْ بلادهُ تحترق . . .
كانت شفتاه تحترقان
على جسدِ الأرملةِ الفاتنة
التي كان زَوجها يَحترق . . .
على سواترِ الحربِ
. . . دفاعاً عن شرَفِ الأرض

(2)

بينما كانتْ بلادهُ
تنفّضُ رمادها
كان ينفضُ سيجارهَ الأجنبيَّ في صحنِ أحلامه
ويدخّنُ بتلذذ
راسماً في دوائرِ الدخانِ المعطّر
- قبلِ أن يتبدّدَ -
عناقيدَ الكريستالِ في صالة قصرهِ
والشعارات التي سَيعلّقها
على جدرانِ بيوتِ الطين

٢٠/١٢/١٩٩٠ بغداد

شرخ في مرآة الحلاقة

(1)

أصعدُ إلى ذقني
لأحلقَهُ
تسقطُ شظيّةٌ
في رغوةِ الصابون
وتنطفيء . . . .
ألهذا لم أمتْ بعدُ
ولمْ احلقْ ذقني هذا الصباحْ

(2)

أتطلع إلى وجهي
في امرآة
شائخاً محني الظهر
أتركهُ في غرفتي ، يصبُّ لي كوباً من القهوةِ المرّةِ
وأتجهُ إلى الشوارعِ راكضاً
بلحية كثّة لمْ تشذْبها الطائرات
ألهذا كان الأطفالُ يختبئون في أدغالها من الذعرِ
والشوارعُ تهربُ إلى الملاجيء
تاركةً الجثثَ معلّقةً في الفراغ

(3)

عندما بدأتْ صافراتُ الإنذار

تطلقُ طيورَها الميّتة
في فضاء المدينة
هربَ الجَميعُ إلىَ العلب
لحظةَ أن وجدتُ نفسي
ملتصقاً في مرآَة الحلاقة
أتلاشى في قعرَها رويداً ، رويداً
حين مرت الطائراتُ
سالَ الزئبقَ
فتشظّيتُ . . . .

١٩٩٢/١/٥ بغداد

رقيب داخلي

منذُ الصباحِ
وهو يجلس أمامَ طاولته
فكّرَ أنْ يكتبَ عن ياسَمين الحدائق
فتذكّرَ أعوادَ المشانق
فكّرَ أنْ يكتبَ عن موسيقى النهر
فتذكّرَ أشجارَ الفقراء التي أيبسها الحرمان
فكّرَ أنْ يكتبَ عن قرنفلِ المرأة العابق في دمه
فتذكّرَ صفيرَ القطارات التي رحَلتْ بأصدقائه إلى المنافي
فكّرَ أنْ يكتبَ عن ذكرَياته المتسكّعة تحت نثَيث المطر
فتذكّرَ صريرَ الجنـزرات التي كانتْ تمشطُ شوارعَ طفولته
فكّرَ أنْ يكتبَ عن الهزَائم
فتذكّرَ نياشينَ العقداء اللامعةَ على شاشاتِ الوطن
فكّرَ أنْ يكتبَ عن الانتصارات
فتصاعدَ في رأسه نحيبُ الأرامل
ممتزجاً برفاتِ الجنوِد المنسيين هناك
. . . .

. . . .

في آخرة الليل
وجدَ سلَةَ مهملاته مملوءةً
وورقتَهُ فارغةً بيضاءَ

عمان ١٩٩٣/٩/٣٠

تكوينات (٥)

كمْ صخرة
تحتاجُ الأرضِ
لتكتمِ صراخَ شهدائها
حين يمرُّ على أديمها القتلة

*

تحلّق الطيورُ في أقفاصها
لكن أين أحلّق؟
هكذا قفزتْ أحلامهُ داخل زنزانته
فارتطمَ رأسُهُ ببسطالِ الشرطي

*

حينَ طردوهُ من الحانة
بعد منتصف الليل
عادَ إلى بيتهِ
أغلقَ البابَ
لكنه نسي نفسَهَ في الخارج

*

النصلُ الذي يلمعُ
في العتمة
أضاءَ لي وَجهَ قاتلي

١٩٩٤/٣/٤ عمان

أقودُ الكلامَ مِن يديهِ كضريرٍ
وأعبرُ به زحامَ المعنى
خشيةَ أن يدهسَهُ أحدٌ
في طريقهِ إلى النص

*

العزلة كتابٌ
لا نقرأهُ إلا تحت مصابيح الآخرين

*

أرادَ الحبُّ
أن يتسلّلَ إلى قلبها
فوجدهُ مكتظاً بالشيكات
لذا ظلَّ يعملُ
في مطبخها
غسّالَ صحونِ اللذة

*

أعرفُ الحياةَ
من قفاها
لكثرة ما أدارتْ لي وجهها

عمان ١٩٩٤

الإمبراطور
الذي بنى عرشَهُ على رؤوسِ الحرابِ
ماجتْ بثقلهِ الأكفُّ
فسقطَ
على نصالها المدبّبة

*

لا أحتاجُ إلى حبرٍ
لكتابةِ تاريخي
بل إلىَ دموع

*

يتدفّأ قلبُه بالذكريات
بينما أطرافُهُ . . .
ترتجفُ من البرد

*

بماذا
تفكّرُ
الأفكارُ
التي
لا
نفكّرها

*

تكوينات (٦)

أراد أن يقلّدَ هديرَ البحر
فغرقَ في ضحضاحِ المحاكاة

*
كلُّ نصٍّ فضيحةٌ
فكيف أقولكِ

*
ظلُّك
غيرةٌ
نائمة

*
لكثرةِ ما جابَ منافي العالم
كان يمرُّ منحنياً
كمَنْ يتأبطُ وطناً

*
أمطارهُ على سريرها
لا تكفي
لهذا تخونهُ مع البحر

*
كلما كتبَ أسمَ الجنرالِ
صرخت الورقةُ
أنت توجَعني أيها الشاعر

*
السحبُ

جسدُ امرأة
يتمطى علىً سريرِ الريح

*

كلما اشتكى المنجلُ
من طول عنقِ السنبلة
تحسستُ عنقِي

*

الشجرةُ
لن تسألَ العصفورَ المتأرجحَ على غصنها
كمْ ستمكثُ هنا ، مستمتعاً بالغناء
وحده القناصُ . .
يحصي الوقت

*

منِ يخيطُ للإبرةِ
ثوبها المفتوق

*

الشمعةُ التي تركوها مشتعلةً
قامتْ وأسدلت الظلامَ
- على نفسهَا -
ونامتْ

*

كلما وضعتُ النساءَ في كيسِ أحلامي
وسحبتُ ورقةً
طلعتِ أنتِ

١٩٩٥ - عمان

تكوينات (٧)

العصفورُ يصدحُ
داخل قفصه
أنا أرنو إليه
وكذلك قطةُ البيت
كلانا يفترسُ أيامه

*

حصانُ الناعور
الذي ظلَّ يدور
ظنَّ أنه قطعَ عشراتِ الأميال
حين فتحوا عينيه
رأى أنه لمْ يبرحْ مكانَهُ
مَنْ سرقَ المسافاتِ من قدميهِ!؟

*

الطبالُ
الذي أرادَ
أن يحتفلَ بعرسه
وجدَّ طبلَهُ مثقوباً

*

كرشُهُ المتدلي
عربة يدفعها أمامه
مثقلةً بأطعمةِ الآخرين

*

هذه النوارسُ
أمواجٌ هاربةٌ من البحرِ
سرقتْ من الزبدِ ريشَها
وحلّقتْ بعيداً . . . .

*

الريحُ التي سمعتني أهمسُ : أحبكِ
ركضتْ إلى الأشجار وعانقتها
فتضرجتْ خدودُ الثمار

*

أجلسُ أمام النافذة
أخيطُ شارعاً بشارع
وأقولُ متى أصلكِ؟

*

كم عيناً فقأتَ
أيها المدفعيُّ؟
لتضيءَ على كتفيكَ كلُّ هذه النجوم

عمان ١٩٩٦

تباعد

أصيحُ : بلادي
فأجفلُ
هل تتذكَّرُ أختامهم في الجواز
الصبي الذي نامَ في السجنِ حتى استفاقَ
على الصافراتِ تجرُّ المدينةَ من إبطها للملاجيء
كان بين وميضِ سجائرهم ، وتنمّلِ جلدكَ فوق البلاطِ
مسافةُ ظلٍّ الجدارِ الذي يفصلُ البحرَ عنَ شفتيك
الخطى تتباعدُ . . . .
هل يتباعدُ ما بين مقصلتي ، والقصيدةِ
هذا المدى . . . .
شهوةٌ في التقدمِ
أم طعنةٌ في التقادمِ
أفتحُ نافذتي
فأرى الأفقَ أكثرَ من وطن
يتشكّلُ غيماً ، أعلّق حزنيَ فيه . . . وأرحلُ
كان الفراتُ على بُعد كاس بمقهاك
كانتْ منائرُ بغداد تمشي قبيلَ الغروبِ إلى الجسرِ
كي تتوضأ في ماءِ دجلة
منْ سوّرَ النهر؟
مَنْ أبعدَ النخلَ عن ليلِ نافذتي؟
. . . .
. . . .

أحملُ القلبَ خبزاً يتيماً
أوزّعهُ بينِ أهلي وبينِ المنافي
على قدٍّ ما شردتنا الدروبُ
الدموعِ التي سوف تتركها النادباتُ
على قبرنا . . . .
ثم يعبرنَ في الحلك المرِّ
خشيةَ أن يستدلَّ نباحُ الرصاصِ على جرحنا
أقولُ لصحبي : ألا تبصرون دميَ يابساً في الغصون؟
كلما نصبوا حاكماً
نصبوا ألفَ مشنقة
وانقسمنا على الموتِ
بينَ الحروبِ
وبين السَجون

أصيحُ : بلادي
واشهقُ . . .
أحتاجِ حبراً بمقدارِ ما يشهقُ الدمعُ في فمنا
لأكتبَ أحزانَ تاريخنا
وأنسلُّ من مدن كالصفيحِ إلى صدرِ أمي
ألملمُ هذا الحنينَ الموزّعَ بينَ الحقائبِ
. . . . والوطنِ المتَباعدِ
خلف زجاجِ المطاراتِ
يأخذني للشتاتِ
ويتركني للفُتاتِ

كلما عبرتْ غيمةٌ

اتكأتُ على صخرةٍ
قابضاً جمرتي
وألوِّحُ : تلك بلادي
. . . .
. . . .
. . . .
أرسمُ درباً وأمحوهُ
أرسمُ خطواً ويمحوهُ غيري
فمن أين ابدأ . . . .؟

عمان ١٩٩٤/٩/٢١

تحت سماء غريبة

أفق

تفتحُ البنتُ شباكها
أفتح
سرقاطةَ الأفقِ
ترنو إليّ الفتاةُ
وأرنو إلى البحرِ
تطلقُ من صدرِها المشمشيِّ
الحمامَ
يحلّقُ بينَ الغروب . . وبيني
أطلقُ هذا الزفيرَ - بلاداً
تغيمُ هناك
وتعتمُ شيئاً فشيئاً
بذاكرةِ الخمر
لكنها في الصباح
تتقيؤني :
صحفاً للشتات
شوارعَ محشورةً في فمِ المدفعيِّ
وسلالَم تصعدني . .
. . . . . .
. . . .
. . . .
تغلقُ البنتُ
شباكَها

غير أني سأتركُ روحيَ زرقاءَ . .
مشرعةً
علَّ نجماً وحيداً
- بآخرة الليلِ -
يعلقُ بالَنافذةَ

١٩٩٣/٩/٢٤ عمان

تعبرُ البنتُ
يصفرُ شرطي المرورِ
إلى النحلِ
أن يعبرَ الآنَ
تصفرُ فينا بيوتُ التذكّرِ ، ضيقةَ البابِ
تصفرُ ريحُ المدافعِ
. . . .
. . . .
يصفرُ شرطيٍ المرور
إلى دمنا المرِّ
أن يتوقفَ
كي يمرقَ الباصُ
محتشداً بالمدينة
أشيرُ إليه . . .
(الأصابَع من مطر ذابل
تتساقطُ فوقَ الرصّيف)
فيعبرني صاخباً
بين ساقي فتاة العصيرِ المثلّجِ
أنحني كي ألمَّ بقايَاي
من صحف اليومِ
يدفعني العاَبرونَ . .
. . . . . .

. . . .

. . . .

أشيرُ إلى البحرِ

مَنْ سيظلّلُ أحلامَنا في المنافي

وننسى

على كلِ مرسى

مناديلَ بنلوبَ ينسجها أهلنا

للذين سيأتونِ . .

ما بيننا البحرُ

والمخبرون

وهذي البلادُ على بعد آه

من الياسمين اليتيمِ بقُمصاننا

. . . .

. . . .

المنافي تضيقُ بنا

والفيافي تحيقُ بنا

. . . .

. . . .

. . . .

تعبرُ البنتُ

يعبرُ قلبي

وأنسى

١٩٩٣/٨/١٦ عمان - مقهى العاصمة

صورة جانبية

آخرُ الأمرِ . . .
كان الرَصاصُ
. . يلعلعُ . .
في الساحة الجانبية
والعائدون من البَارِ
منهمكون بشتَمِ النساء البدينات
والقطُّ يلحسُ ذيلَ الرصيفِ
ويقعي أمام المحطة
حيث صفيرُ القطارِ
يقودُ قطيعَ الوداعِ . .
. . الى مرجِ أحداقنا
. . . .
. . . .
. . . .
آخر الليلِ
كان يكشُّ الذبابَ المشاكسَ
عن صحنِ أحلامه
وهو يراقبُ جثته . . ، هادئاً
- خلفَ واجهة البار -
يسحلها الحارسُ الجَهمُ
..نحو القمامة
فيقومُ . .

ليدفعَ فاتورةَ القيء
لا شيء . . .
في جيبه
غير تذكرَة لقطار مضى . .
منذ عشرين عاماً

٢٨/٨/١٩٩٣ عمان

كان يلزمني لاجتراحِ القصيدة :
طاولةٌ خارج اللغةِ - البيتَ (معنى يشكّلهُ الطفلُ ،
قبلَ الفراشات ،
في رعشة اَلبرعمِ الغضّ)
قلبٌ يدلُّ الغيومَ إلى زهرة الجلّنارِ (الأصَابع تنسلُّ سهواً
إلى مرمرِ الصدر ، تجفلُ ،
تسألني بعدها :
كيف مررّتَ سهوكَ ثانيةً ، تحتَ قوسِ القميص)
سيدةٌ لا تكرّر أحلامَها في نعاسِ الحداثةِ (أَسمعُ من شَرفةِ النصِ :
وقعَ ارتطامِ خطاكَ على البحر)
كان يلزمني للرحيلِ
انطفاءُ الحنينِ
وقبّرتان
وذلُّ التسوّلِ في الزمنِ - الثلجِ
ظلُّ التجمّلَ في الوطنَ - القمعِ
انكفأتُ علَى ما لديَ : الحقائبُ تنشرني في الرصيف عراءً طويلاً ستطويه ريحُ المخاوف في درجِ الضابط الفظِّ وهو يوزّعنيَ في البصاقِ على أوجه النائمينَ وقوفاً بأرضية المخفَر الرطب ، منسرباً في الدروبَ التي هرّبتْ حزنَها في قناني الكَحولَ إلى غرَف النومِ والثكنات . . أنفّضُ ما قد تساقطَ من ورق الدمعِ فوَق مصاطَب عمري ، وأمضَيِ وحيداً بظلِّ الحقائب (فارغةً) تَتعثرُ أَو تتردَّدُ فيِ عتباَت الفنادق ، تغمزُ لي - في ممرِّ الخصورِ إلى صالةِ الرقصِ - سيدةٌ تتصابىَ وراء مساحيقِ

أحلامها والزجاجِ المضبّب ، أنسلُّ من طقم أسنانها نحو لوركا ، يطاردني الجازُ والبقٌّ . ضوءُ المصابيحِ يرشحُ من معطف الحارسِ الرثّ نحو سريري ، فأفرشهُ وأنامُ على شَعرها حالماً بالينابيعِ ، يوقفني المخبرون بباب المطارات منقسماً بين داري وسيقان مَنْ يعبرنَّ دمي في ثيابِ الأغاني القصيرة . لي وطنٌ في الحقيبة كيف أهربّهُ عن عيون المفتشِ وهو يجوبُ مسامات نبضي ، رصيفاً ، رصيفاً . فيربكني نايهُ في الجنوب البعيد : أنين قرآنا التي مشطتها المفارزُ والطلقاتُ . . . أمدُّ يدي بالبطاقة (ممسوحةً) يتفحصها حذراً . كيف لمْ أنتبهْ للصراصيرِ تقفزُ من عينه . يسقطُ القلبُ منكسراً فوق أرضية البهوِ . أحني دمي كي ألمَّ الرنينَ ـ الحنينَ ، فينهرني الواقفون الأنيقونَ (تحني منظّفةُ البهو قامتها كي تلمَّ سماءَ الوداعِ المشظّاةَ ، يقرصها رجلٌ ثملٌ ، فيفزُّ الحمامُ بدمعتها في ظلال السرير الوحيد) أمرُّ أمامَ الطوابير ، تدفعني موجةٌ نحو كشك صغيرَ ، أرى في الجريدة صورتهُ تتبسمُ للعابرين ، يطنُّ الذبابُ على أنفه ويطيرُ لمبنى الإذاعة حيث المذيعةُ تنفخُ في علكها كرةً يتقاذفها الجنرالاتُ (ينفخُ في بطنها مخرجٌ ثم آخر) يعبرني الباصُ . أعبرُ جسرَ البكاء إلى صدرِ أمي . أرى مدناً نخرتها الجنودُ ، وأخرى رمتني ككلبٍ طريدٍ وراء الحدودِ ، وأخرى تعلّقُ – في الحربِ – سروالها رايةً .

– أين نسيتَ القصيدةَ

– لمْ أنسها

كان محضُ جنوحٍ إلى عزلة الروحِ

تلزمني غابةٌ للصراخِ ومحبرةٌ من دمٍ

كي أتمَّ القصيدة . .

بغداد ۱۹۹۲/۱۲/۲۱

وطنٌ هاربٌ
في دمي
هل يُخبئني . .
أم أخبِّئه
خلفَ سبورةِ الدرسِ
خارطة نصفها مَطرٌ
...ومناف
ونصفٌ شعارْ
والمدارُ الذي لفني
كسؤال يتيم
على رحلةِ الطفلِ
يكبرُ . . .
وهو يواجهُ عيني معلمه
دامعتين وراء الإطارْ
سوف يسأله ضابطُ السجنِ
محتدماً
- كيف سرّبتَ بين خطوط الطباشيرِ
هذا الحنينَ . .؟
ويطفئهُ في الجدارْ

١٦/٣/١٩٩٣ بغداد - تشرين ثاني ١٩٩٣ عمان

ثقب

طلقةٌ عابِرةْ
ثقبتْ نومَهُ
فتدفقَ
- فوق وسادتهِ -
لزجاً
دمُ أحلامهِ الخاسرةْ

١٩٩٣/١/١ بغداد

ثمالة

انطفأتْ أضواءُ الحانة
وانطفأ العالمْ
لكنَّ الرجلَ المخمورْ
ظلَّ يدورْ
بحثاً عن سبب واحدْ
يوصلهُ . . . للبيتْ

١٩٩٣/١/٣١ بغداد

. . . قلتُ :

- إني أحبك حتى الـ . . . . .

فقاطعني الشَرطيُّ

على حافة الوردة التالية

تأمّلتُ ثغركِ يحمرُّ من خَجلٍ

ويذوبُ عَلى شفتيَّ :

- أحبكَ حتى الـ . . . . .

. . . . . .

رأيتُ الغيومَ البعيدةَ تهبطُ

حتى تلامسَ أهدابَ عينيكِ

تنهمرانِ . . .

فيورقُ صمتُ المدينة :

أشجارها

والبيوتُ التي استيقظتْ - في الصباحِ -

على جرسِ الحرب

كنت أرى من بعيد

صعودَ الكروشِ مع اللافتاتِ

تصفّقُ : يحيا الـ . . . .

صحتُ : يحيا الوطنْ

ولكنهم قطعوا حلمنا بالهتافاتِ

. . . . والطلقات . . . . . .

. . . .

. . . .

وقفتُ بناصية الشارعِ المتلاطمِ

منخذلاً . . .

أرقبُ اللافتاتِ تسدُّ الشوارعَ

كنتُ أرىِ وطنيَ

خلفَ قاماتهم ، وظلالِ العماراتِ ،

والخوذ الأجنبية

مرتبكاً ، يتلفّتُ نحويَ . . .

فيدفعهُ الشرطيُّ ، إلى آخرِ الصفِ

يعثرُ . . . . . .

تعلو الهتافاتُ

يسقطُ

تعلو المدافعُ

تعلو . . .

وتعلو . . .

وتعلو . . .

بغداد ١٩٩٠

النـدى . . .
فوق سلك السياجِ الصدئ
قطرةً . . .
قطرةً
يتساقطُ من دمه
النوارسُ تعبرُ جثَتَهُ - لامباليةً -
تعبرُ السرفاتُ
المفارزُ
صحفُ الصباحِ
المدافعُ
ساعي البريد
رياحُ السهولَ الخفيضةِ
وهو مسجّى - على العشبِ -
تفصلهُ طلقةٌ في الجبينْ
سلكٌ عالقٌ بملابسهِ العسكريةِ
وهو يهمُ ليعبرَ . . . . . .
. . . .
. . . .
لا أحدٌ يعلمُ
ما كان يحلمُ
لحظةَ داهمهُ الموتُ

لا أحدٌ يعرفُ الآن
من أين هذا القتيلْ؟

١٩/١٢/١٩٩٢ بغداد

وليمة شرف على جوع أمل دنقل

إلى أحمد الدوسري ، . . قبل المحنة وما بعدها بسنوات مرّة

هو لمْ يدّعِ غيرَ أحلامهِ
الجنوبي :
في مدخلِ الحفلِ يسألهُ حارسُ البابِ عن أسمهِ
فيلوذُ بمعطفهِ والجنوب
غريبيَن :
بيَن الأغاني السريعةِ
والضحكةِ الماجنةْ
من رأى دنقلاً
ناحلاً - في القصيدة -
منكمشاً - كالقميص البليلِ -
على حبلِ أوَجاعهِ المزمنةْ
من رأى أحمداً
يلفُّ المطارات
يبحثُ عن وطنَ
فيفاجئهُ الشرطةُّ الواقفون
على الحدِّ
بين الندى المرِّ . . .
والسوسنةْ
ـ قفْ . .!
أيهذا المشرّدُ
لا وطناً
غير ما تركَ الجندُ

ـ فوق الرصيف ـ
من البقعِ الداكَنةْ

٢٥/٥/١٩٩٠ بغداد - ٨/٣/١٩٩٣ بغداد

مرثية مبكرة

أيهذا الفتى ..
يا أميرَ الصعاليك
لهفي عليك ..
ملأتَ الشوارعَ بالياسمينِ المشاكسِ
آخيتَ بينَ الينابيعِ ، والمخفَرِ الرطبِ
بين الرمال ، وحباتِ عمركَ ، منفرطاً
فوق صحنِ الكَلامْ
فكيف انزويتَ . . .
وراءَ ستائرِ غرفتكَ الآمنةْ
تراقبُ نهرَ المَشيبِ
يشقُّ المروجَ . . إلى مفرقيك
فتبلعُ كبسولةَ القرحةِ المزمنةْ
هكذا . . .
بانتظامْ
وتنامْ

بغداد ١٩٩٣/١/١

خسارات

هكذا نفترقْ
الشوارعُ ملكي
الحدائقُ . .
والخمرُ
والبحرُ . .
والياسمينْ
. . وهذا الأفقْ
فما تملكينْ؟
والنجومُ نثارُ دموعي
على صفحاتِ الأرقْ
فأين إذن . . .
تسهرين؟
والنوافذُ لي
فما تحلمين؟
ما الذي أخسرُ – الآن –
لو . . .
ترحلين

٢/١/١٩٩٣ بغداد

ارتباك

الفتى هائمٌ
خلفَ طاولة ، من ندىً وفضولْ
تفصلُ البحرَ عن دمهِ
والصبيّةُ
خلفَ المجلة ، ساهمةً
صدرها منَ مرايا ولوز
تفتّح تحتَ قميصِ الحُقولْ
ارتبكا . . .
حينِ حطَّ على النافذةْ
ظلُّ طيرين . . . يعتنقان
نهضتْ أمها
تسدلُ السترَ ، في حرجِ . .
فاسترابا
وطارا بعيدين . .
لكنِ ظلّهما . . .
ظلَّ مترسماً
في فضاءِ الذهولْ

١٩٩٣/١/٣١بغداد

- طابَ مساء القرنفل
- طابَ المساء إلى بعد منتصف الكأسِ في شفتيكِ . .
- طابَ شهيق المرايا ، أمامَ زفيرِ الفساتينَ
يَحسرها الرقصُ . .

. . . . .

طابتْ مساءاتكَ القاحلة
تتلصصُ ، من فتحةٍ في الستارِ
لعطرِ مساءاتهم
وتنامُ
على كسرةٍ من صهيلْ
. . . . . .

. . . . . .

في الصباحِ
ستكنسُ عاملةُ البار
ما ظلَّ من رغبات المَساء القتيلة
تنسى احتكاكَ عجَيزتهاَ ، بسريرَكَ
وهي ترتّبهُ . . . قطعةً ، قطعةً
وتغادرُ مسرعةً
غير عابئة
باحتراقكَ من فرجةِ الباب
. . . .

. . . .

الأسرّةُ منفى جسدْ
والليالي . . . بدَدْ
والنساءَ - الأصابعُ
فوق رمالِ السريرِ . . .
زبدْ
(ماذا تفكّرُ أرملةُ الحربِ
وهي ترتّبُ فوضاكَ
يا أيها الأرملُ المتزوجُ
ماذا تفكر في شاعرٍ من خرابْ
كلُّ أيامه ورقٌ
وضبابْ)
. . . .

. . . .
أتسكعُ في شارعِ الوقت ، أمضغهُ بالتلصص للواجهاتِ ، وتكويرة الردفَ . . حتى انتصافَ الظهيرة ، ملتصقاً بالثياب اللصيقة ، في الباصَ . . يا أيها القلقُ - الجمرُ . . بيتكَ ظلُّ الشوارعَ ، أطفيءْ لَهاثك في حانة (لا نقودَ) ، غواية بنت (كبرتَ على الغزل الفجِّ) ، أية مكتبة ، (قلقي يتناسلُ في الصفحات ، أقلّبها عجلاً ، وأحدّقُ ما بينَ نهديْ مراهقة ، ستقلّبُ أيامها عجلاً ، وتحدّقُ في البابِ . .) . .
لا شيء يطفيءُ جمرَ غضاكَ
. . .

. . . .
(- يا سيدي
اطفيءِ الضوءَ
والتحفِ الذكريات

ودعني لهذا اللهاثِ - صرير سريري الحزينْ
أتآكل . . .
أو أتشاغلُ
بالصبية النائمينْ . .)
. . . .
. . . .
. . . .
- أينَ القصيدةُ !؟
- غَسَلَتْها مع البنطلونِ المبقّعِ
عاملةُ البارِ
. . . كانتَ تشيرُ
لحبلِ الغسيلِ
يقطّرُ بالكلماتَ . .

١٩٩٠ بغداد

شاعر

انزلقتْ حنجرةْ
في دهانِ الهجاءِ افصيحْ
فظلّتْ تَصيحَ
عندما استيقظَ الامبراطورُ من حلمهِ - برماً -
صاحَ في جنده : كمموا الريحْ
غير أنَّ الصدى ظلَّ يركضُ ، يركضُ
يركضُ
يركضُ .....
في جنباتِ الرواقِ الفسيحْ
....
....
في الصباحْ
وجدوا جثةَ الشاعرِ المتطفّلِ
طافيةً ......
فوق زيتِ المديحْ

بغداد ١٩٩٣/١/١

طلقة

وقفَ الشاعرُ
خلفَ منصة لا
فمهُ يركضُ حَافي القدمين
فوقَ أديمِ الميكرفون
وآذانُ الجمهور
قفزتْ ، تستبقُ الريحَ إليه
فالتقيا ،
في حمى التصفيقْ
لكنً الطلقةَ . . .
فزّزت الحلمَ
فهبَّ من النومِ إلي الشارع ، مذهولاً
أبصر جثتهُ تنـزف
- وسطَ ركامِ الأحذية المذعورةِ -
يسحلها الشرطةُ للتحقَيقْ
. . . .
. . . .
. . . .
وقفَ الشاعرُ
مبهوراً
لا يدري من أيِّ الحلمين ، يفيقْ

٢٤/١٢/١٩٩٢ بغداد

تضيق البلاد

تضيقُ البلادُ
تضيقُ . .
تضيقُ
وتتسعُ الورقةْ
البلادُ التي نصفُها حجرُ
والبلادُ التي دمعُها مطرُ
والبلادُ التي . . .
تبيعُ بنِيها . .
إذ جوّعتها الحروبُ
فماذا تبيعُ إذا جوّعتكَ البلادُ
وضاقتْ بدمعتكِ الحدقةْ
. . . .
. . . .
الجريدةُ منفاكَ
تصعدها سلماً ، سلما
وتغادرها برما
تاركاً عند بابِ المحاسب أحلامَكَ النـزقةْ
والقصيدةُ أبعدَ مما تصورتَ
أبعد . . .
أبعد . . .
يبتعدُ النخلُ والأهلُ
لا شيء غير رصيفِ التذكّرِ ، مستوحشاً

وخطى روحكَ القلقةْ
كأنَّ السماءَ العريضةَ
أضيقُ من كوّةٍ ، في قطارِ الوداعِ الأخيرِ
وأنتَ تطلُّ بدمعتكَ المطبَقةْ
. . . .

. . . .
تضيقُ البيوتُ
وتتسعُ العائلةْ
تضيقُ النساءُ ، الخنادقُ ، والأصدقاءْ
وتتسعُ الطلقةُ القاتلةْ
وبينهما أنتَ مرتبكٌ ووحيدْ
بين أن تبتدي في شتاتِ الجنونْ
أو تنتهي في سباتِ السجَونْ
مسافةُ كفين في سلَسلةْ
بينهما يطفيءُ الحرسُ الواقفون سجائرهم
أنتَ لا تطلبُ المستحيلْ
وطناً للحنين
وتذكرةَ الحافلةْ

بغداد ١٩٩٠

على شرفة
من شذاً ونوارس . .
ينحدرُ البحرِ
هل قلتُ : ينحدرُ البحرُ نحو رمالكِ
ما بيننا وطنٌ لا يؤوبْ
سفنٌ كالندوبْ
...على صفحة الماء
كفي وكفُّك ترتعشانَ من البرد
هل قلتُ : إنّا غريبانَ ، في المدنِ الطحلبيةِ
نبحثُ عن نخلة
لتظلّلَ أحلامنَا ، في اليباسِ الأخيرِ
ما لهمْ واجمون إذن؟
. . . .
. . . .
. . . .
المقاعدُ خاليةً
في الصباحِ
يلاصقنا البحرُ
نرسمُ فوقَ الرمالِ بلاداً
فيمسحها الموجُ
هل قلتُ : أحذيةَ العابرين
وأحلمُ . .

فيروز ناعسةُ كالرذاذ
على شفتيكَ
تذوبان
في شفتي
وأسكرُ . . .
هل قلتُ : إنكِ أكثر صدقاً من البحر

١٩٩٤/١/١٢ العقبة

غربة

السماءُ التي ظلّلتْ أرضَنَا
والمنافي التي أرّختْ جرحَنَا
سأقولُ لها
كلما طردتني بلادٌ
وساومني صاحبٌ
اتكأتُ على صمتي المرِّ . . .
أبكي الذي فاتَنَا

١٦/١١/١٩٩٣ صنعاء

معادلةٌ صعبةٌ
أن توزّعَ نفسكَ بين فتاتين
بين بلادين
منِ حرس وأناناس
بينهما ، أنتَ ملتصقٌ بالزجاجة
في حانة ، تتقافزُ فيها الصراَصيرُ
كانتْ لكَ الكَلماتُ ، الطريقَ إلى النخلِ . .
من أين جاؤوا بأسوارهم
فانتحيتَ ، تراقبُ
ضوءَ الصواري البعيدةِ
يخبو ، ويصعدُ
بين الشهيقِ ، وبين الزفير
. . . .

. . . .
معادلةٌ مرّةٌ
أن تظلَّ كما أنتَ
ملقىً على الرملِ
ترسمُ أفقاً ، وتمحوهُ
برقاً ، وتجلوهُ
إنَّ السماءَ القريبةَ ، أشهى
السماءَ البعيدةَ . . أبهى
لكن أحذيةَ الحرسِ الملكيِّ

ستحجبُ عنك فضاءَ الحنينِ المعرّش
ما بين أزهارِ قلبكَ ، والنافذة

. . . .

. . . .

معادلةٌ صعبةٌ
أن أبدّلَ حلماً ، بوهمٍ
وأنثى ، . . بأخرى
ومنفى ، بمنفى
وأسألُ :
أين الطريق!؟

١٩٩٤/١/١١ عمان

من أجلّ
أن لا تكسرَ الشظايا
زجاجَ الوطن
غلّفوه . . .
بالشهداء

*

في حديقة الجندي المجهول

الجندي ، الذي نسي أن يحلقَ ذقَنَهُ
ذلكَ الصباح
فعاقبهُ العريف
الجندي القتيلُ ، الذي نسوه في غبارِ الميدان
الجندي الحالمُ ، بلحيته الكثّة
التي أخذتْ تنمَو
شيئاً ، فشيئاً
حتى أصبحتْ ـ بعد عشر سنوات ـ
غابةً متشابكةَ الأغصانْ
تصدحُ فيها البلابلْ
ويلهو في أراجيحها الصبيانْ
ويتعانقُ تحت أفيائها العشاقْ
. . . .
. . . .

الجندي . .
الذي غدا متنـزهاً للمدينة
ماذا لو كان قد حلقَ ذقنَهُ ، ذلك الصباح

عمان١٩٩٨/٩/٢٨

النجومُ ، التي يتوهمها المطبعيُّ ، حروفاً متناثرةً على أديمِ الليل .
النجومُ ، التي يراها المدفعيّ ، دموعَ الأراملِ التي سيخلّفها بعد كلِّ قذيفة
النجومُ ، التي يحسوها السكّيرُ ، حبيبات طافيةً من الذكرياتِ المرّة
النجومُ ، التي يتلمّسها السجينُ ، سجائرَ مطفأةً في جلده
النجومُ ، التي تمسحها العاهرةُ ، بقايا الفحولاتِ المنطفئة بين فخذيها
النجومُ ، التي يتأمّلها العابدُ ، رذاذَ ماءِ الوضوءِ
على سجادةِ الكون
النجومُ . . .
دموعنا المعلّقةُ - بالدبابيسِ - في ياقةِ السماء
ترى أين تختفي
عندما تفتحين نافذتكِ . . في الصباح

تشرين أول ١٩٩٣ عمان

حبل غسيل

على قوسِ الصباحْ
تنشرُ المرأةُ
غسيلَ أيامها
تتلمسُ ثيابَهُ المبقّعةَ بغبارِ الحربِ
ونعاسَ شرشفها الفاضحَ
فجأةً . . . .
تختلسُ النظرات
لسطحِ جارتها
وهي تشرُ ثيابها السود
فتمسكُ قلبها ، بيديها
– كليمونةٍ معصورةٍ –
وتهبطُ مسرعةً
الى غرفةِ النومِ
متشبّثةً بعنقِ زوجها
وهو يفركُ عينيه
مذهولاً
لمرآى زوجته . . . .
. . . . . . بالثيابِ السود

١٨/١٠/١٩٩٢ بغداد

منتهى[1]

إلى عبد الرحمن مجيد الربيعي

أفتحُ ثلاجةَ أحزاني
أخرجُ قنينةَ عرق
وأشربها كلها
نخبَ أصدقائي المهاجرين
عبرَ الأنفاق
بلا وَطن
ولا سجائر
ولا جوازات سفر
أرفعُ أنخابَهم كأساً ، كأساً
أو جثةً ، جثةً
وحين أسقطُ على الرصيفِ
من الثمالة
سيحملونني - في توابيتهم -
إلى البيت

١٩٩٣/٥/٢٣ بغداد

مرتْ مفرزةُ الإعدامْ
أمامَ نافذتها
فاختلجَ قلبها ، كعصفور مبلل بالزئبقْ
– إلى أين يسرعون بخًطاهمً الحديدية!؟
تناهى إلى سمعها
الإيقاعُ الأسودُ
يرتقي السلالمَ
درجةً ، درجةً
– لقد أخذوه قبل عام! . . .
. . . .
. . . .
توقفتْ جزماتهم – فجأةً –
أمامَ بابِ شقتها
فتوقفَ نبَضُها المتسارعُ
وتساقطتْ عقاربُ الساعة ، من معصمها ،
كطيور ميّتةَ ، على السجادةِ
– ما الذي جاؤوا يفعلًونه ألآنً!؟
. . . .
. . . .
طَرَقوا البابَ
مدّتْ أصابعها المرتعشةْ
وحين أدارتْ المقبضَ صارخةً

انفتحتْ عيونُ الجيرانِ ، تحملقُ مذهولةً
لوجهها الشاحبِ
وهي تسألهم بفزَعِ
ترى أين ذهبوا . . . .؟!!

١٩٩٣/١/١٢ بغداد

سذاجة

كلما سقطَ دكتاتور
من عرشِ التاريخِ، المرصّعِ بدموعنا
التهبتْ كفّاي بالتصفيق
لكنني حالما أعود الى البيتِ
وأضغطُ على زرِ التلفزيون
يندلقُ دكتاتورٌ آخر
من أفواه الجماهيرِ الملتهبةِ بالصفيرِ والهتافات
..غارقاً في الضحكِ
من سذاجتي
التهبتْ عيناي بالدموع

١٩٩٢/٦/٢١ بغداد - حدائق جمعية المؤرخين

مشاكسة

لأنَّ الشمسَ
ظلتْ نائمةً إلى الضحى
في سريرِ الإمبراطورْ
لمْ تستيقَظ المدينةُ - هذا الصباحَ -
غير أن السجينَ المشاكسَ
مدَّ أظافرَهُ الطويلةَ الحادةَ
- عبرَ القضبان -
ووخزَ جسدَها الأرجوانيَّ
فاندلقَ دمُها ،
ساخناً
فوقَ كوّة زنزانته
وأضاءَ العالمَ

بغداد ١٩٩٣/٣/١٢

أبعاد

أمامَ النافذة
طفلٌ يلحسُ البوظا
ملتذاً ،
بلسانه الأبلق
خلفَ النافذة
رجلٌ يلحسُ فخذَ السكرتيرةِ الشقراء
بنظراته الشرهة
داخلَ النافذة
مخبرٌ قميءٌ يلحسني
مختبئاً ، خلف ثقوبِ جريدته
. . . .
. . . .
تسقطُ البوظا
على الرصيف
فيبكي الطفلُ
تسوّي الفتاةُ تنورتها
- خلف الآلة الكاتبة -
فيرتبكُ الرجلُ
تعصفُ الريحُ بالجريدةِ
فيطيرُ الحمامُ
لكنَّ النافذةَ ، تبقى مفتوحة

عمّان ١٩٩٤/٢/١٦

ما حدث للحكيم

بينما كان يلقي محاضرتَهُ . .
في القاعة المحتشدة
كانوا هناكَ
يفصّلون جثتَهُ على مقاسِ التقاريرِ الواردةِ
ويتركون ما تبقى من دمهِ
في ثلاجة العائلة
حين ترجّلَ من المنصّة
وسطَ موسيقى التصفيقَ
تحسّسَ عنقه
لمْ يجدْ غيرَ فراغٍ مهول
وثمةَ حزٌّ طويلٌ ، ما زالَ ندياً فوق ياقتهِ
ركضَ هلعاً إلى الجمهور . . .
مستنجداً بالكراسي . . . الفارغة
متعثّراً بقهقهات الصدى
. . . .

. . . .
لا أحدَ ،
غير حارسٍ عجوزٍ
كان يهذي
عن رجل مخبول
شاهده - قبل قليلٍ -
يبحثُ . . .

بين المقاعد
عن رأسهِ المَقطوع

عمان ١٩٩٣

عائداً . . .
من غبارِ الحربِ
بقلب مجرح
وذراعين من طبول وذهب
حالماً بشفتي كليتمنسترا ، العسليتين
اللتين كانتا في تلك اللحظة
تذوبان على شفتي عشيقها ايجستوس
ليلةً ، ليلة
عندما فتحَ البابَ
رأى في دبق شفتيها
الآفَ الجَثثِ التي تركها في العراء
فتذكر
أنه نسي أن يتركَ جثتَهُ هناك .

بغداد ١٩٩٣/١/١٤

ما أسرع ما غادرتُ حدائقَ اللعب لأبيعَ السجائر
ما أسرع ما ضاقَ علي قميصُ المَدرسة ، ليعلّقني مسمارُ الوظيفة ،
من ياقتي
ما أسرع ما كلّلتْ ثلوجُ السنواتِ الحامضة ، مروجَ شعري ،
فتأبطني موظفُ التقاعدِ ، إلى الغَروبِ
وأضابيرِ الأطباءِ
ومقاهيِ الندمِ
ما أسرعَ ما دقّ جرسُ رحيلها
وأنا لمْ أكملْ بعدُ ، أبجديةَ أنوثتها
فدرّسوني شخيرَ اللغة
ما أسرعَ ما أنفضَّ الحفلُ
لأبقى وحيداً . . في حانة القصيدة
طافياً على رغوةِ التصفيق
ما أسرعَ ذلك
ما أسرعَ ما مرَّ ذلك
إلى حدِّ أنني أخشى
أن أفتح قبضتي ، لأصافحكِ
فتفلتُ السنواتُ الباقية

١٩٩٠/١٢/٣١بغداد

مالي أبحثُ عن البحرِ
وهو بين أصابعي
أقصدُ : شعركِ

١٩٩٢/١٠/١٢ بغداد

*
عندما لمْ يرنِي البحرُ
تركَ لي عنوانه :
زرقةَ عينيكَ
.. وغادرني

١٩٩١/١/١٢ بغداد

*
هرعتْ إلى غرفتها
لتردَّ على رنين الهاتفِ الذي
كانتْ أمواجهُ ترتطمُ بالصخور
والجدرانَ
والمرايا

وتتشظى في الأثير
عندما رفعت السماعةَ
سَكَنَ البحرَ

١٩٩١ بغداد

من أجلِ أن لا يصاب البحرُ
بالإحباطَ
حينِ تهجَرهُ المراكبُ
تعلّمَ - مثلي - أن يغطي جراحاتهِ
بزبدِ النسيان

١٩٩١/١٠/٢٥

*

أيتها الفكرةُ اللابطةُ
كسمكة عنيدة
في حوضِ اللغة
أحاولُ أن أتتبعَ مساركِ في خطوطِ الماء
فتبتلُّ أصابعُ ذهني
وتنزلقين
ماذا أفعلُ؟
إذا كانتْ أوراقي لا تسعُ البحر

١٩٩١/١٠/٢٥ بغداد

يلعقُ المطرُ
جسدكِ . .
ياه . .
كيف لا يغارُ العاشق

١٩٩١/٦/١ بغداد

*
أمامَ المرآة
كان المطرُ
يتساقطُ على النافذة
وأنا كنتُ ألملمُ نهاياتَ الضفيرةَ
عن دموعِ المشط..

١٩٩١ بغداد

*
الفتياتُ
يحملنَ المظلات
خشيةَ البلل
لذا . . .
يزعلُ المطرُ . .
ويرحل

١٩٩١/٩/١٣ بغداد

قطراتُ المطرُ
تتسلّلُ تحتَ قميصك
تلحسُ عسلَ حلمتيكَ
وأنا أمام زجاجِ النافذةِ
ألحسُ دموعَ المطر

١٩٩١/٦/٤ بغداد

*

مَنْ يغسلُ للمطرِ ثيابَهُ اللازورديةَ؟
إذا اتسختْ بغبارِ المدينة
وأين ينامُ إذا رحلَت السَحبُ؟
وتركتهُ وحيداً ، ملتصقاً
على زجاجِ النوافذ المغلقة
وحين يفكرُ بمصاحبة امرأة . . .
مَنْ ستتسكّعُ معه فيَ الشوارعِ؟
وتتحملُ بروقَهُ ورعودهُ؟
. . . .
. . . .
واضعاً يدَهُ على خده
ويفكّرُ في غربةِ المطرَ

١٩٩٣/١٠/٣عمان

*

أيها المطرُ . .
إبقَ في الشوارعِ نزقاً
كالقططِ والأطفالِ

ابقَ على الزجاجِ لامعاً
منساباً كقطراتِ الضوء
ولا تدخلْ ف مَعاطفِ الأثرياء
إلى المحلات
خشيةَ أن تتَلوّثَ يداكَ البيضاوان
بالنقود

١٩٩١/٦/١بغداد

*
المطرُ أبيض
وكذلك أحلامي .
ترى هل تفرّقُ الشوارعُ بينهما؟
المطرُ حزين
وكذلك قلبي
ترى أيهما أكثر ألماً . .؟
حين تسحقهما أقدام العابرين

١٩٩١/٦/١بغداد

*
أيها المطرُ
يا رسائلَ السماء إلى المروج
علمني كيف تتفَتقُ زهرةُ القَصيدةِ
من حجرِ الكلام

١٩٩١ بغداد

*

حين يموتُ المطرُ
ستشيّعُ جنازتَهُ الحقولُ
وحدها شجيرةُ الصبير
ستضحكُ في البراري
شامتةً من بكاءِ الأشجار

بغداد ١٩٩١/٦/١

*

المطرُ يعبرُ الجسر
المواشي تعبرُ الجسر
الغيوم تعبرُ الجسر
الحافلاتُ تعبرُ الجسر
أيها الجسرُ - يا قلبي -
إلى مَ تبقى منشطراً على النهر
ولا تعبر الضفةَ الثانية

بغداد ١٩٩١/٦/٤

*

أيها المطرُ
- يا صديقي المغفّل -
حذارِ من التسكّعِ على أرصفةِ المدنِ المعلّبةِ
ستتبدّدُ - مثلي - لا محالةً
قطرةً ، قطرةً
وتجفُّ على الإسفلتِ
لا أحد يتذكركَ هنا

وحدها الحقولُ البعيدةُ
ستبكي عليك

١٩٩١/٦/٤بغداد

ذئابٌ سودٌ
تتسلّقُ ذاكرتِي
تنهشُ جثثَ الأيامِ المنسية
في الأرضِ الحرامِ
وتتركني
- كلَّ مساءٍ -
أعوي ..
وحيداً
على ثلوجِ أوراقي
في منافي العالم

*

أتطلعُ إلى صورِ الأصدقاءِ
في ألبومِ الحربِ
وأحصي : كمْ قَنينةً
سكبتْ - هنا ، على طاولتي -
فوق حفرِ مقابرهم
التي سُوِّيَتْ على عجل

*

يا لحنيني
كلما فكّرتُ في السفر
قفزَ من عينيَّ
طفلان مخضّلان ، بالقرنفل والأسئلة

ووطنٌ ، مدجّجٌ بالحراسِ
وامرأةٌ ، لا تدري
كيف تدبّرُ مسواقَ البيتِ
. . . .

. . . .
كلما فكّرتُ في الغربة
سبقتني دموعي إلى الوطن

*
نصفكَ : وطنٌ ضائعٌ في البارات
ونصفكَ الآخرِ : يهيّءُ حقائبَهُ للسفر
يلتقي نصفاكَ ، كعقربينِ في ساعة عاطلة
ويفترِقان ، كغريبين على أرصفةِ المنافي الحامضة
وأنتَ مسمرٌ إلى النافذة
لا تملك غيرَ جوازِ سفرك المركون
. . . على الرفّ
تبيّضُ فيه إناثُ العناكب

بغداد ١٩٩٣/٥/٢٣

قصائد قصيرة

أصغي لرنينِ معاولهم
تحفرُ التأريخ
بأصابع من حجر
وجلودٍ ملّحتها السِّياطُ
أصغي . . .
ثمةَ أنينٌ طويلٌ
يوصلني بسرّةِ الأرض

١٩٩٣ عمان - البتراء

البحر الميت

وجدَ نفسَهُ طافياً
على زرقة البحرِ الميت
كقذيفة فَاسدةَ
وأحزانه ًتذوبٌ
في القاعِ اللزجِ
رويداً ، رويداً
بينما كانتْ عيناه
معلقتين . . . هناك
كطائرين ينـزفان . . .
على الأسلاكِ الشائكة

عمان١٩٩٣/٧/١٣

أكلُّ هذه الثوراتِ
التي قامَ بها البحرُ
ولمْ يعتقلْهُ أحد

ترى كمْ من الينابيعِ
والسواقي
والأنهارِ
والبحيراتِ
امتزجتْ فَي مياهكَ
وضاعت بين أمواجكَ
دون أن تتذكّرَها
أيها البحر

١٩٩١ بغداد

البحر العربي

كلما تقدمتْ خرافُ الأمواجِ الغاربة
بأعناقها البضّة الناصعةِ
إلى سكينِ الصَخور
قهقه البحرُ عالياً
وأصطبغَ الأفقُ بنجيعِ الشفق

عمان ١٩٩٣

أكلُّ هذه الهيجانات
التي تمورُ في أعماقكَ
والصخور والمراكب التي تتحطمُ عند قدميكَ
وأنتَ تحنو . . .
بخضوع ولذة
أمام المرايا . . ً
تمشطُ للحوريات المضطجعاتِ
على رمال سَريركَ
خصلاتهنَّ الناعمة

يتراكضُ الشجرُ
في عينيها ...
صاعداً نحو جبلِ روحي الأجردِ
أمدُّ أصابعي
لبرعم - في روحي - يتفتّحُ للتوِّ
فتغزني أشواكُ البعاد

١٩٩٣ عمان

شمعةً . .
شمعةً
ستنطفيءُ السنواتُ
ويلفّني السعالُ والخريفُ
فلا أرى سوى بقعِ الشمعِ المتجمدةِ
...على سريري

ياه . . .
أيها القلبُ
ما أسرعَ ما تتشمعُ أصابعُ النساء

١٩٩٣/٣/١٢بغداد

شاعرة مبتدئة

لأنها تخافُ الموجَ
أطلقتْ على رمالِ النثرِ مراكبها الورقيةَ
وجلستْ أمامَ البحرِ
تحلمُ . . .
بخفقِ الأشرعةِ البعيدة

٢٥/١٠/١٩٩١بغداد

ذبول

صرخَ في المشيعينَ
وهم ينثرون أكداسَ الورد على ضريحهِ
- شكراً لكمْ على أيٍّ حَال
فقد انقضتْ حياتي ، بأسرعٍ مما ستذبلُ به أزهاركم النديّة

١٩٩١/١/١ بغداد

غيرة

ذاتَ يومٍ
اكتشفتْ في مرآتها
امرأةً ثانيةً
تتمرى معها
غضبتْ كثيراً
وهشّمتها - في عنف -
فتطايرتْ شظايا الزجاجِ
في أرجاءِ الغرفةِ
وتكاثرتِ المرأة

٢/٣/١٩٩٣بغداد

حين بحثَ في أدراجِ الليلِ
ولمْ يجدْ سيجاراً
أشعلَ عودَ الثقابِ
وبدأ يدخنُ نفسَهُ – بهدوءٍ –
ملتذاً ،
وهو يتلاشى رويداً ، رويداً
في سحبِ الدخان

عمان١٩٩٣/١٠/١٩

حرية

قبلِ أن يكمِلً رسمَ القفصِ
فرَّ العصفورُ
من اللوحة

٢٩/١١/١٩٩٣عمان

أماه . . .
مالي أراه
يحدقُ بي كثيراً
يلحسُ شفتي الرقيقتين
بعينه الظامئتين
إلى حدٍّ أنّهُ . . .
يجعلني أرتعشُ
من بللِ قبلاتهِ غير المرئية

٢٠/١٠/١٩٩١بغداد - كاليري إينانا

امرأة

من كثرِ اختلافِ مواعيدكِ معي
اضطرُ دَائماً
أن أضبطَ ساعتي
على عقاربِ أعذاركِ

٢/١٠/١٩٩١بغداد

عبق

أزهارُ الشبّو
تتسلّلُ - كلّ مساءٍ
إلى غرفتكً
تسرقُ رائحةَ جسدكِ
وتعودُ إلى الحديقة
بخطى متوجسة
لئلا تشي بها الأزهارُ النمّامة

بغداد ١٩٩١

وأنت تتحدثين مع الآخرين
في َالحفلِ
كانتْ شفَتاك
تغزلانِ مواعيَدهما
خارجَ جدرانِ القاعةِ
مع المطر
والأشجار
والأرصفة

١٩٩١/٦/٤بغداد

عاشقة

رفقاً أيها المطرُ
قميصي تبلّلْ . .
وها أنا أرتعشُ من الحبِّ
لماذا ينظرُ لي العابرون - بدهشةٍ -
هل أبدو عارية

بغداد ١٩٩١/٦/٤

حين لا ينحني الجسرُ
لن يمرَّ النهرُ

١٩٩٣/٩/١٨عمان

*
منطرحاً
على السفحِ
يسألُ :
هل من شاغرٍ
في القمة؟

١٩٩٣/٩/٢٨عمان

*
كلما كتبَ رسالةً
إلى الوطنِ
أعادها إليهِ ساعي البريد
لخطأٍ في العنوان

١٩٩٣/٩/٣٠عمان

*
للفارسِ في الحفلِ وسامُ النصر
وللقتلى في الميدنِ

غبارُ التصفيق
وللفرسِ في الإِسطبلِ
سطلٌ من شعير

١٩٩٣/٩/٢١عمان

*

كمْ من الهواء
لمْ يستنشقْهُ بعدُ
هكذا فكَّرَ بعمقٍ
داخلَ زنزانته
فاختنقَ بالسعَال

١٩٩٣/١٠/٩عمان

*

خلف الخطى الصاعدة
إلى العرشِ
ثمةَ دمٌ منحدرٌ
على السلالم

١٩٩٣/٩/٢٤عمان

*

نقرُ أصابعك
على الطاولةَ
موسيقى طازَجة

١٩٩٣/٩/٣٠عمان

*

وجدَ ظله نائماً
في الظلّ
أيقظهُ . .
واصطحبهُ معه إلى الضوء

عمان١٩٩٣/٩/٣٠

*
تجلسُ في المكتبة
فاتحةً ساقيها
وأنا أقرأُ . .
ما بين السطور

عمان١٩٩٣/٩/٢٨

*
يدها قطعةُ شكولاتا
وأنا جائعٌ
جائعٌ
جائعٌ
منذ آلاف العصور
لا يكفينيَ سوى الخبز

بغداد١٩٩٢/٦/٢٩

*
مقعدهُ في الحافلةِ
تابوتٌ مؤقتٌ
هكذا أسبلَ جفنيهِ

إلى آخرِ المحطة
دون أن يوقظَهُ صخبُ العالم

٢٨/٩/١٩٩٣عمان

*

كلّ عامٍ ، في مخزن الشتاءِ
الطبيعةُ تجرد موجوداَتها
لاستقبال الربيعِ
وتنسى شجرةَ الحزنِ اليابسة
أمام نافذتي

٢٨/٩/١٩٩٣عمان

*

قالتْ له بغضب :
- أيها المسمارُ المعوجُّ
مَنْ دقّكَ على حائطي؟
وعلّقَ مزيداً من المعاطفِ والأطفال

٢٨/٩/١٩٩٣عمان

*

رسائلِ البرقِ
مَنْ يمزقها
قبلَ أنْ تصلَ الأرض؟

٢٩/١١/١٩٩٣عمان

*

بين أصابعنا المتشابكةِ
على الطاولة
كثيراً ما ينسَجُ العنكبوتُ
خيوطَ وحدتي

عمان ١٩٩٣

*

الأشجارُ كلامُ الأرضِ
فيِ أذن الريحِ
غير أن الحَطاب
كثيراً ما يقاطعهما
بفأسهِ

عمان٢/١٢/١٩٩٣

*

كمْ علي أن أخسرَ
في هذا العالم
كي أربحكِ

عمان ١٩٩٣

*

ينظرُ الشوكُ
بشماتة
إلى أعناقِ الورودِ المقطّعةِ

عمان١٤/١٢/١٩٩٣

*

لمْ تتعلمْ السباحةَ
لكنكَ علّمتها أيها البحرُ
أن تتموجَ على ذراعِ مَنْ تحبُّ
دون أن تغرق

١٤/١٢/١٩٩٣عمان

*

طافَ أصقاعَ العالم
لكنه لمْ يصل
.. إلى نفسهِ

١٤/١٢/١٩٩٣عمان

*

في المرّة الوحيدة
التي فكّرتُ بتقبَيلكِ
قالتْ لي شفتاك :
وداَعاً

١٩٩٣ عمان

*

كلما تعانقتْ كلمتان
صرخَ الشاعرُ
- على الورقةِ -
آه . . .
كم أنتَ وحيدٌ أيها القلب

١٤/١٢/١٩٩٣عمان

*

أحياناً تنسى الطيورُ أعشاشَها
وتحطُّ على بياضِ يديك
لذلك عندما تصافحَينني
كثيراً ما أرى الزغبَ
يغطي أصابعي
فأحلّقُ بعيداً في سماءِ الورقة

١٩٩١/٦/٤بغداد

*
من أين أستدينُ أياماً صالحةً!؟
أيها الشعرُ
لقد أفسدتَ عليَّ حياتي تماماً

١٩٩٣/١٠/١٢عمان

*
أقفُ أمامَ المرآة
لكي أرى وحدَتي

١٩٩٣ عمان

*
الربّانُ المتردّدُ
يجدُ كلَّ الرياح
غيرَ مؤاتية ..
للإقلاع

١٩٩٣/١/١١عمان

*

بسمِّه يموتُ
العقربَ الذي لا يلدغُ أحداً

١٩٩٣/١١/١٥عمان

*
لا تولدُ الفكرةُ
إلا عاريةً
فمَنْ يلبسها كلَّ هذه المعاطفِ
والـ . . .

١٩٩٣ عمان

*
أيها المخرجُ العجولُ
سرعان ما أنهيتَ حياةَ الجنودِ
على شاشة الحرب العريضةَ
دون أن تتركَ للمتفرجين
فرصةَ تكريزِ أسمائهم

١٩٩١/٦/٤بغداد

*
قالوا لها دموعك كاللؤلؤ
حين حملتها إلىَ الصيرفيٍّ
فركها بأصابعه مندهشاً
لشدة بريقها
لكنّهً لمْ يدفعْ لها فلساً
إذْ سرعان ما جفّتْ بين يديه

١٩٩٣/١٠/٤عمان

*

كلما حلَّ عقدةً
طال حبلُ المسافةِ بينهما

١٩٩٣/١٠/١٢ عمان

*
أعلّمُ أصابِعِي أبجديةَ الفرحِ
كي اقرأَ جَسَدَكِ

١٩٩٣/١١/٢٩عمان

*
الليالي . . .
التي بلا أرقٍ
أنساها
على سريري
في الصباح

١٩٩١ بغداد

*
أفكّرُ فِي شفتيكِ
فيسيلُ العسلُ
على زِجاجِ ذاكرتي
ألعقهُ . . .
دون أن تعلمين
قطرةً . .
قطرةً

ترى أتؤلمكِ شفتاكِ؟

١٩٩١ بغداد

*

وأنا أقدّمُ للناشرِ مخطوطةَ ديواني
أحصيتُ مسبقاً عددَ الأعذارِ المطبعيةِ
التي سيعلقها على شماعتي
وأحصى مسبقاً عددَ القراء الذين سيضيفهم
إلى رصيده في البنكِ . .
لذلك لمْ نتَفق . .
لملمتُ انكساري . . .
ولملمَ أعذارَهُ . . .
وافترقنا

١٩٩١/٦/٤ بغداد

*

هدِّئي من رنينِ أجراسكِ النحاسيةِ ،
في صالة رأسي
- أيتها الَكلمات . . -
كي لا يفسدَ هذا الضجيجُ هدوءَ القصيدةِ
فعما قليلٍ ستخرجُ إلى الغاباتِ
متأبطةً قلبي

١٩٩١/١٠/٢١ بغداد

*

لأنني لا أستطيعُ أن أميّزَ
بينَ الوردِ وشفتيكِ
كثيراً ما توخزني الأَشواكُ
في مروجِ الأحلام

بغداد ١٩٩١

*
لا تتركي نهديك
يثرثران كثيراً علىَ سريرِ اللغةِ
بلاغةُ جسدكِ في الإيجَاز

بغداد ١٩٩٣/٣/١٢

*
مالي أراهم
ينثرون باقاتِ الزهورِ الندية
على سريريَ - شاهَدتي البيضاء
دون أن أعترضَ
أو أصرخَ
أو أبكي ..
هل متُّ حقاً ..
ولا أدري

بغداد ١٩٩١/٦/٤

*
الأرقُ

نسي مفاتيحَ غرفتهِ
على طاولتي
ترى أين يبيتُ الليلة؟

١٩٩١ بغداد

*
تنطفيءُ الشمعةُ
وأشتعلُ بجسدكِ
ما من أحد
يحتفلُ بالظلام

١٩٩٣/٩/١٣عمان

*
كلِ زفيرٍ
يذكّرني . .
كمْ من الأشياءِ عليّ أن أطردها
من حياتي

١٩٩٣/١١/١٥ عمان

*
النصلُ الذي يلمعُ
في العتمة
أضاءَ لي وَجهَ قاتلي

١٩٩٤/٣/٤عمان

*
مَنْ قالَ أن الفرحَ طائرٌ قلقٌ
لا يستقرُ على غصنٍ

ها هو غصنُ حياتي
ممتلِيءٌ بالعصافيرِ الميتة

١٩٩٣/١٢/٦عمان

*

على جِلدِ الجوادِ الرابحِ
ينحدرُ . .
عرقُ الأيامِ الخاسرة

١٩٩٣/١١/٦عمان

*

الشعراءُ الأقصرُ قامةً
كثيراً ما يضعون لقصائدهم
كعوباً عالية

١٩٩٣ عمان

*

كثرةُ الطعناتِ
وراءَ ظهري
دفعتني كثيراً
. . إلى الأمام

١٩٩٣/١١/٥ عمان

*

أيتها الوردةُ
في الذبولِ الأخيرِ
لمن تلوحينَ الآنَ . . . .!؟

١٩٩٣/١١/٢٩عمان

غيمة الصمغ

أيها الأُقحوانُ البخيلُ
أيها الورقُ الكاذبُ ـ الجمرُ متقداً بين كفي
وعشبُ الحديقة أندى
فكيف أدلُّ القصيدةَ
ـ مشغوفةً بتقاطيعِ جسمك ـ
نحو المرايا ، التيَ خدعتني
وكيف أقولُ لهذا القرنفلِ
أنْ يتسلّقَ شرفةَ خديك
كي يتوهجَ أكثرَ...

....
....

أيها الأقحوانُ البليلُ
أيها الحلمُ الأزرقُ ـ النهرُ غافٍ على شفتي
والزوارقُ نائمةٌ ...
أسفلَ الجسر
مَنْ سيدلُّ النعاسَ لجفني إذنْ ...؟

بغداد ١٩٩١/٧/٢٢

رحيل.

طَرْقَتان على البابِ
طَرْقَتانَ علىٍ القلبَ
ينفتحُ َالبحرُ :
لا سفنٌ في دمي للرحيلِ
ولا وطنٌ للحنين
ولا ندمٌ يتفتّقُ . . . .
من أيٍّ نافذة في مساء القصيدة ،
يقتربُ العشبُ ، محترساً ، . . . َ
في الممرِّ المؤدي إلى مرجِ صدرك
أصغي لنبضِ الغصونِ التيِ تتمايسُ . . َأو تتلامسُ . . .
تحت قميصك
منبهراً بالفراشات ـ غيمِ الكلامِ الملوّنَ ـ
وهي تغطّي المسافَةَ ، بينَ أحبكَ . .
. . . والقبلاتِ التيَ انفرطتْ . . .

. . . .

ينحسُ الموجُ عن رملِ قلبي
يغطّيه بالزبد ـ الذكرياتِ
أخيطُ اللياليَ شراعاً
فتثقبهُ الريح . . . .
ـ مالك مسكونةً بالتعلّلِ . . .!؟
ـ مالكَ منكسراً بالرحيلَ . . .!؟
يباعدنا البحرُ

لا مطرٌ في الحديقة

لا وطنٌ في الَحقيبة

لا ياسمين لكَفّيك . .

وحدكَ والموجُ - يا قلبُ - تنكسرانَ . .

على الصَخرِ

حيث المراكبُ مرهونةٌ بالغيابْ

. . . .

طَرْقَتانِ على البابِ

لا . . . . . .

طَرْقَتان . .

ثلاثٌ . . .

ثلاثون . . .

أنتِ تمضين مسرعةً دائماً

٢٣/٦-١٦/٩/١٩٩٢ باب المعظم - بغداد

لوحة

.. إلى فضل خلف جبر

مَنْ أنتَ؟
طاولةٌ تتنقّلُ بين الدوائرِ
مملوءةً بالتواقيعِ
كانتْ خطاكَ سماءً
فمَنْ ضيّقَ الخطوَ . .؟
ها أنتَ - في أول الصبحِ - تصعدُ للرفِّ
في آخرِ الظهر - تَهبطُ بينَ الأضابيرِ
نحو صهيلِ الشوارعِ . .
منكفئاً
يتعقّبكَ الندمُ - الظلُّ
والدائنون الذين ينامونَ بين جفون القصيدة
والراتب المتآكلِ - كالعمرِ -
كان النهارُ اصطفاقَ النوارسِ في البحرِ
مَنْ علّقَ البحرَ
في لوحة
خلفً كرسيّه
واستدارَ يُسائلُ هذا الموظّفَ - قلبي
الذيِ يتأخرُ عن موعد الحافلةْ
لأنَّ النوارسَ تصحبهُ - في الصَباحِ -
إلى البحرِ..
. . . .
. . . .

أيها القلبُ
يا صاحبِي في الحماقاتِ
يا جرح عمريِ المديدْ
أنت بادلتني الحلمَ - بالوهمِ
ثم ..
انحنيتَ ..
ترتّقُ ظلّكَ في الطرقاتِ
أنتَ أوصلتني للخرابِ
وسمّيتهُ «..................»
ثم بيتاً ...
فنافذةً نصفَ مفتوحةً
أنتَ ضيّعتني ...
ثم ضعتْ

بغداد ١٩٩٠/٧/٢٢

عابرة

إلى . . . ج

أكونُ لك الجسرَ
هل كنتَ لي نزهةً في أقاصي القصيدة . . .؟
أكنتِ ترينَ الأصابعَ – إذْ تتشابكُ –
سلّمَك الحجريَّ . . . إلى المجد
أحني دمي ، كي تمرَّ أغانيكِ ، من ثقبِ قَلبي
إلى مصعد الشقّة الفارهةْ
وأختارُ لي رَكنَ بَار
لأرقبَ في طفحِ الكأس ،
ضحكتَكِ العسليةَ
في الحفلِ ، . . .
في آخرِ الذكرياتِ
تسيلُ على الطَاولات
فتشربها الأعينُ القاحَلةْ
فأقنعُ نفسي :
بأن المسافات ، كذبُ خطى
والصداقاَت ، كذبٌ أنيقٌ
والنساءَ الجَميلات ، . . .
. . . . تكرارُ آهْ

١٩٩٢/٦/٢٦النجف

صباحاً لثغرك ، هذا البنفسجُ ، مختلجاً في مرايا دمي ، زهرةً للنعاس . يرشُّ الندى حلمَهُ فوق أوراقها الغافيات ، فيعبقُ توقُ التويجِ على كمِّها الليلكيِّ المنقّط . قلتُ : صباحاً لأزراره تتفتحُ عن غابة الياسمين ، صباحاً لها ، لَلطفولة ، للطفلِ خلفَ رباط الوظيفة ، ومنبهراً بالحمامِ يحلّقُ أعلى قميصكَ . أبصرُ وجهك خلفَ ضبابِ الزجاجِ الشفيفِ يشفُّ ، وإذْ يمسحُ النادلُ القطرات اللصيقةَ ، أرعشُ من بللِ الحبِّ تحتَ رموشك ، يحملني الغيمُ حتى تخومِ القصيدة . من أينَ للثغرِ هذا التوهجُ . . . نختارُ طاولتين ، يدانيهما العزفُ ، يقتربُ النادلُ الآنَ : لو يتوقفُ هذا النثيثُ وقلبي! أنا ظمأٌ يتسكّعُ بين قميصك والبحرِ . في شفتي غيمةٌ جفّفتها المساءاتُ ، لاهثةً ، فوق أسلاكَ هاتفكَ القزحية . ينحسرُ الموجُ عن مرمرٍ يتصالبُ لم يكترثْ للعيونَ التي سَالَ زئبقُها بين ساقيك ، لمْ تكترثْ لدمي وهو يشخبُ في القعر ، ترفعهُ نخبَ منْ ضيّعتَهُ الحروبُ الطويلةُ ، يطفو على كأسها حبباً من حنينٍ وثلجٍ ، يسيلُ على ثوبها الأسودِ المتقاصر ، ترفعهُ كي يجفَّ فينحسرُ البحرُ أكثر . يدنو الحمامُ ، أمدُّ يدي نصفَ راجفة فتلامسُ كفَّ صديقي . .! يصافحني ذاهلاً : ما الذي يعتريكَ!؟ أشيرُ إلى لحنها خافتاً يتسلّلُ بين الموائد نحوي ، . . . . . .

يرى – في الضبابِ – المقاعدَ ، خاليةً . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

المرايا تكذّبني دائماً ، كيفَ لمْ أنتبهْ لغيابكِ قربي . أرى – آخرَ الليلِ –

في رغوة الكأس طيفَك ,ينسابُ بين الرموشِ وطاولتي ، أرقاً يتكاثفُ فوق الرفوف ، قَصائدَ من مطرٍ وظلال . أمرُّ على واجهات المدينة , تسألني بائعاتُ الزهور الصبياتُ عن لونٍ ثغرك كيما ينسّقن أزهارهنَّ . أمرُّ على البار : أينَ الصَحابُ؟ . . يسائلني النادلُ الكهلُ عمنْ سيبقى هنا في خريفِ المعاركِ يجمعُ أحطابنا ، آه كيفَ استفاقَ القرنفلُ من نومكِ الحلو منتَشياً ,يتَسلّق سورَ الأصابعِ نحو القصيدة ....وفي غبشِ الطائرَات ,لَحتك ترتجفينَ من البرد والموت ، أمسكتُ كفَك : لو تهدئين على عشَب صدَري ، نافورةً من بكَاء ولوَز . . . ركضنا بممَشى الحديقة مختبئَين بأدغالها نتشبّثُ بالقبلاتً . التصّقنا بجذعِ الصنوبر نسْغَين يرتعشانَ بأعلى الغصونِ الوريقة . كمْ ورقةً تتساقطُ ، حتى أراكَ . .!؟ ألمٌ انكسارات قلبيٍ على العشبَ ، حيثُ الفَراشُ الذي لمْ يمرّ عَلى شفة الورد بعدُ ، يحطُّ على ثغركَ العَسليٍّ ويسكرُ . منتشياً بالتويجِ الذي يتفتّحُ في أول الحبٍّ . . . في أولَ الطائرات انكمشنا وراءَ العمارة ، نبحثُ عن وطنٍ آمنٍ تحتَ سلّمها الَحجريٍّ . رأيتُ النجومَ الحبيسَة تلمعُ بينَ رموشكِ والغرف المقفرات ، انتبهتُ لكفي تجوسُ مسامات خوفك تحتَ القميصَ البليلَ ,تهدهدُ سربَ الكراكي الذي فرَّ من مطرِ القصفَ نحو فمي . انتصبَ الجذعُ لصقَك . . كانتْ يداكِ تهزّان نَسغَ العَثوق اليبيسة ، من جوعها ، ليسّاقطَ الرطبُ - الجمرُ . كانتْ يداكِ امتدادَ الربيعِ . وَلي في الفصول ذبولُ المواعيد في شجر الانتظار الطويلَ ، عيونُ اللواتي ترملّن في أول اليَاسمين ,يحدّقن في مطَر العائدين من الحربِ ، منسرباً من ثقوب الغيومِ ، يرتّقنَ أحلامهنَّ فتَخرقها الطائراتُ . . . الأسرّةُ فارغةٌ كالحنَين . يمسدُ شرشفَها عالقاً بالبياض ، فتلمحهُ من وراء الستار ، يزيحُ غبارَ الترمّلِ عن ثوبها المتدفّق . تضحكُ مجنونةً ,وتعانقهُ, غيرَ أنَّ يديها ستصطدمانَ بكرسيّه الكهربائيِّ . . .
تصرخُ مذعورةً ، وتفرُّ إلى . . . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

المرايا تكذّبني ، وتصدّقُ جسمك . كنتُ أُلملمُ أحلامنَا عن رموشِ المصابيحِ في آخرِ الليلِ ، أنسجها شَرشفاً لأمانيكِ في صالةِ القلبِ .
كنتُ . . . . . .!

المرايا تكذّبني وتصدّقُ جسمك . أصرخُ بينِ الموائد والأقحوانِ القتيل ، فيرتدُّ - كالذكرياتِ - الصدىَ المرُّ : كانتْ هنا فيَ انتظاركَ ,من أولَ الحربِ ، وارتحلتْ فيَ قطارِ الزواجِ العتيقِ

١٩٩٢/٤/١ الكوفة - ١٩٩٢/٩/١٨ بغداد

وداعاً..

أقولُ : وداعاً
نهارَ القصيدة ، تشطبُهُ الطائراتُ على لوحةِ الأفقِ
بيتي ، الذي يرثُ الشعرَ والسلَّ
ذاكرتي ، هذّبتها المعاولُ
أسماءنا ، في الجرائد تمسحُ فيها المنظّفةُ القرويةُ
نافذةَ الفَندق الرثِّ
أقفاصنَا ، تتوسّعُ ، أو تتقلّصُ ، حَسْبَ مزاجِ العصافير
. . . .
. . . .
أقول : وداعاً
وداعاً . . .
ويا زورقَ العمرِ ، امخرْ عبابَ انتظاري
وفجَّ مياهَ التصبّرِ ، كي تصلَ الجزرَ المستحليةَ . .
. . . بين دمي ورحيلك - سيدتي -
وطنٌ لا يباعَدنا أو يقرّبنا . . .
حلمٌ عالقٌ تحت أجفاننا . . .
زمن . . .
ينتهي . . .
دائماً . . .
بخساراتنا

١٩٩٢/٤/٣ الكوفة - ١٩٩٢/٩/٢٥ بغداد

مبتدأ..

إلى الشاعر عبد الوهاب البياتي

هكذا . .

تنتهي

المسألةْ

ملكٌ

يحملُ

المقصلةْ

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

هكذا

تبدأُ

المسألةْ

شاعرٌ

يرتقي

الجلجلةْ

بغداد ١٩٩٠/٧/٢٢

بكى صاحبي
لما رأى الوطن ـ القلبَ ، تنهشُهُ الطائراتُ
تنقّرُ في نبضه ، قطعاً من ضلوعِ المنازلِ . . والشهداءِ
فأدركَ أنّا انتهَينا إلى حجر
سوفَ نحملُهُ ـ في المنافي ـ رصيفاً لأزهارنا الذابلةْ
يضيّقُ بين السطور وأحلامنا
وأنَّ الندوبَ التي خلّفتها الحروبُ على جلدِنا
سوفَ تطمسُها السافياتُ
صحتُ :
يا صاحبي
في الضياعِ الكبيرِ
أعني على غربتي
بينِ نفسي وبيني
بلادكَ ضيّعتها . .
وانتهيتَ . .
وها أنتَ مثلي
أضعتَ الدليلَ إلى بابِ روما
رأيتُ الجنودَ يسدّونَ كلَّ المساربِ دونَ الحدودِ
فآخيتُ بين الرمالِ ، وقلبي
وقلتُ :
هو الدربُ أبعد مما نظنُ . .
إلى قيصرٍ

. . . .

. . . .

سنضربُ في التيه

ضربَ القَمار

فأما نرى البحرَ ـ يا صاَحبي ـ

أو نموتُ معاً ، غربةً . .

. . . في الرمالْ

٩-١٠/٩/١٩٩٢بغداد

الأضابير

البيوتُ - الأضابير
البلادُ - الأضابير
الحروبُ - الأضابير
الكروشُ - الأضابير
النساءُ - الـ . . .
يبدأ الصبحُ . .
تفتحُ أول إضبارة
تحتسي شايها . . ً
وتراقبُ خطوَ الأضابير في الطرقات
تراقبُ : باصَ [الطفولَةَ] يعبرُ جسرَ [كهولتَها]
الشجرَ [الشرطةَ المورقين] أمامَ البناية [راتبها]
تقاطعُ أحلامَها - في الرصيف المقابلِ - تنورةٌ مسرعة
صبغتها العيونُ المريبةُ ، بالأحمرِ المشرئبِّ إلى الركبتين
خلسةً - سوف ترنو إلى ثوبها الأسودِ [الانكسارِ الطويل أمام المرايا] . . .
(مضى منذ عامٍ إلى الحربِ . . .
لكنه لمْ . . . . . .)
تقلّبُ أوراقَها
الأضابير وهي تشيرُ لبعضِ الأضابيرِ ، منفوخةِ البطنِ
تهبطُ سلّمَ أحلامها
بالثيابِ العريضةَ ، تعلكُ . .
كانتْ تَفكّرُ في طَفلها البكرِ [قائمةِ الكهرباء] ،

السريرِ الوحيدِ [العيون التي تتلمّظُ من حولها] والأضابير . . . . . .

الرقم : ٣٧٧
المؤسسة العامة لـ . . .
الاسم : خديجة محمد

قربَ نافذة الغرفة الرطبة
الشمسُ تنَكسرُ - الآن - بين الظلال السريعة ، والشاي
حيثُ المذيعُ يغمّسُ بالحربِ كَعْكَ الصَباحِ ، وَينشرُ فوقَ البناياتِ حبلَ غسيلِ المعارك ، . .
من فتحة لصق باب المدير [التواقيعِ] تنسابُ فيروزَ ، خضراءَ ، ناعمةً ، تصعّدُ الدرجاتِ ، بطَاءً إلى ردهاتِ الأضابير
حيثُ المذيعُ
صباحَ التواقيعِ
قلتُ : صباحَ البنفسجِ ، يا ثغرها بالحليبِ المطعّمِ
فالتفتَ الأسودُ المستفزُّ : (إلى مَ سَيبقى هناك ، مسجّىً مع الريحِ . . .!؟
. . . .)
وانكسرَ الضوءُ ، ثانيةً
بين ظلٍّ المرايا ، ودمعتها الغافية
. . . .

. . . .
انتصفَ الظهرُ فوقَ الرفوف
المديرُ [التواقيعُ] غادرَ غرفَتَهُ
والمذيعُ انطفا

غيرَ أنَّ [الأضابيرَ] ظلّتْ تلاحقُ قامتَهَ ، والمسدسَ
بينِ الممرات
يعبرُ توقَ البنفسجِ
والأسودَ المستفزَّ . . .
ويعبرني ،
دونما كلْمة
غير عطر خَفيف
يذكِّرهمَ بالعلاوَات
قلتُ : يذكّرها بالذيَ لن يعودَ
وقلتُ : يذكّرني بالأضابير
إنَّ الأضابيرَ : ثوبُ الحكومَةِ ، لا ذكريات . .
ولا قلب
إنَّ الأضابيرَ : لا تتذكَّرُ وجهَ الموظف
إنَّ الأضابيرَ : نحنُ . . . .

١٩٨٨/١٠/٢٥ كركوك

تنأى المنازلُ
تنأى الحقولُ اليبيسةُ
- خلفَ زجاجِ قطارِ الحروبِ الأخيرِ -
وتنأى المسافاتُ
- بين النوافذ ، والقلب -
حتى كأنَّ النجومَ أزاهيرُ ذابلةٌ
تتساقطُ من شرفات العمارات
لكنكَ الآن لصقَ الزَجاجة
ترقبُ موتَ الشوارعِ في فضَلة الكأس
ترقبُ موتَكَ منحشراً - كاليتامى - بظروف قنبلة
تتراكضُ ، حاسرةَ الرأسِ ، شعثاءَ . . .
تعثرُ بالطينِ والشهداءَ
وتقفزُ فوقَ الملاجيءِ ، كي تسبقَ العجلاتِ إليكَ ، . . . فتجفلُ
يا أيها العاشرُ المرُّ
يا كأسُ . . .
خذني إلى أيِّما جهة
لا نرى موتنا لصقَنا
أيها الواحدُ المرُّ
يا قلبُ . .
يا صاحبي في التشتّت
بين المنافي : البَلادُ على بُعْد ٥ طوابع من غربتي
وضحكتها في شريطِ المسجّلِ

والياسمينُ المعرّشُ أسفلَ أحلامِنا ، يتفتحُ عن مطرٍ أسودٍ
ما الذي ترتجي؟
النوافذُ أوصدها البردُ والطائراتُ
وتلكَ التي رحلتْ في قطارِ الجنوبِ إلى زوجِها الفظِّ
قصَّ الرقيبُ ضفائرَها
فوقفتُ وحيداً ، أمامَ مرايا دمي
ألململمُ أطرافَ خصلتها ، عن غيومي التي ثقّبتها الشظايا
تسيلُ على شَرشفِ الطاولةْ
فيمسحها ، عَجلاً - نادلُ البار -
وهو يعدُّ لزوجك كأساً مثلّجَةً
. . . . ولقلبَي فاتورةَ الدمعِ
يا أخوتي ، في الجنون
ارحموا شاعراً ضيّعتهُ أغانيه
يا أخوتي ، في الجنوبِ
ارحموا نخلتي
كان لي ظلها وطناً
كان لي تمرها خمرةً
كان لي شعرُها المتطاولُ حتى تخومِ القصيدةِ
منتجعاً للحنين
كان لي . .
آهِ ، ما كان لي . . . . . .
. . . أنْ أغادرَ مرجَ الطفولةِ
نحو المدينة
ما كان لي . . . . . .
أنْ أبدّلَ زقزقتي برباطِ الوظيفةِ

ما كان لي . .
أنْ أستعيضَ عن النهرِ
ما كان لي . . .
ولكنهم أوصلوني لهذا الخرابِ
وقالوا : اكتبِ الآنَ
عنَ شَعرِ سيدة
يتناثرُ حتى تخومِ البنوكِ
اكتبِ الآنَ عن شقّة لستَ تملك إيجارها
ورصيفٍ تقاسمهُ أثرياءُ الحروبِ
لا . . . .
إنني أستميحكمُ - لحظةً -
أيها المحتفونَ أمامَ القصيدة
لأقيءَ على كلِّ هذا الذي [. . سمْهِ أنتَ ما شئتَ]
لكن لي وطناً من أغانٍ وقمح
لنْ أبدلّهُ بعمارتكمْ
أستميحُ الوطنْ
- لحظةً -
وهو يجلسُ - كالدمعة - القرفصاءَ ، على عتبةِ العين
لألملمَ عن شرفة الذاكرَة
حبالَ غسيلِ القَنابلِ
تقطرُ بالدمِّ
نفتحُ قمصانَ أيامنا ، هكذا ، للرياحِ . . . تجفّفها
ثم نمضي . . .
نشقُّ دروبَ المدينةِ بالثرثرات
وبالدهشةَ البكرِ

]تعلو العمارات ، . . تعلو . . وتعلو . . .
لا مباليةً –
فوق أنقاضنا
ما الذي نفعلُ الآنَ ،
أسفلَ جدرانها
هل نبيعُ السجائرَ . . .
. . . .
. . . . [
ما هكذا . . .
يا مدينةُ ،
تنسينَ عمري الذي سرقتْ نصفَهُ الحربُ
ما هكذا ، يا مدينةُ تنسينَ أحزانَنا
والوجوهَ التي غيّبتها الخنادقُ
ما هكذا ، يا مدينةُ . . . نحن (طعامَ) المعاركِ
كمْ صدحتْ
في الأناشيدِ –
أسماؤنا

١٩٨٨/١٢/١٥-١٩٨٩/١/٢١ بغداد

مطرٌ دافيءٌ
من نعاسِ يديكِ على عشبِ النافذةْ
والصباحُ المَشاكسُ يحشو الشوارعَ في جيبِ بنطالك الجينـزِ
ينسربُ العابرون وظلي [أما كان يمكنني أنْ أشذِّبَهُ؟
فلا يفتحُ الزر عن دفقِ البحرِ . . .
قلبي أنا خطئي
كلما هذّبتْ دمهُ حكمةُ الكهلِ
أغوتهُ تجربةُ الطفلِ . . . . . .]
قلتُ : تجيءُ المدينةُ
أشجارُها ندمٌ أخضرٌ يتفتّحُ تحتَ رذاذِ النوافيرِ ، مرتعشاً
والمصابيحُ حافيةٌ تتسلّقُ أعلى النوافذَ
أعلى قميصك ، منفتحاً للحمامِ يطيرُ إلى غابةِ السنديانْ
وأنا خلفَ دمعِ الزجاجِ الشفيفِ
أجففُ وقتي بالانتظارِ
كيفَ أجفُّ على ورقةْ!؟
يصففني الناقدُ البنيويُّ - على الرفِّ -
نهراً جفتهُ الينابيعُ
ها هو وردُ الحديقة يذبلُ
قبلَ انحسارِ خريفكَ
يطمرهُ الثلجُ والذكرياتُ
أعلّقُ قلبي على أيِّما زهرة أو عمود
لعلكِ بين المياسمِ ، تكتشفينَ الطريقَ . . . إلى شفتي ، عبّدتها النساءُ

بأحلامهنَّ
وغادرنني شارعاً مقفراً
يتناثرُ، بين الكلامِ، وبين الغمامِ
فلا أجدُ الآنَ لي
غيرَ طاولة،
وأصابعَ من زبد
وكتاب ينامُ على خدِّها،
حالماً بالسهول الفسيحة
تحتَ رموشِ المصابيحِ
هل غادرتكَ القصيدةُ، مشغولةً بتفاصيلها؟
أيها القلبُ - يا ندمي المتكرِّرَ -
هل غادرتكَ الفتاةُ ببنطالها المترجرجِ، مسرعةً . . .؟
كيفَ لمْ تنتبهْ لحماقاتها في المرايا
أنتَ لمْ تنتبهْ ليديكَ - ضجيعيكَ في القرِّ -
يرتعشانِ أمامَ بياضِ يديها
علىَ الطاولةْ

١٩٩٢/٤/٣ الكوفة - ١٩١٢/٩/١٢ بغداد

مرايا متعاكسة

أحياناً
. . .يوقفنيِ وجهي في المرآةْ
أنتَ تغيّرت . . . .
. . . . . تغيّرتَ كثيراً
أتطّلعُ مذعوراً
لا أبصرُ فيِ عينيّ سوى شيخٍ
يتأبّطُ عكّازَ قصائده
. . . متجهاً نحو البَحر
يتمرآى في صفحته الزَرقاءْ
فيرى في أعماقِ المَوَجِ
ولداً في العشرينَ
يتطلّعُ مبهوراً
في وجه المرآة . . .
لا يدريَ الآنْ
أيّهما كانْ!؟

١٨/٧/١٩٩٠ بغداد

ضجرِ غيمة

هكذا . . .
قادني ضجري – في الظهيرةِ –
. . . من ياقتي
ضائعاً في الشوارعِ ، . .
لا ظلَّ لي غير غيمِ القصيدة
يبدِّدني بين صمتِ الرصيف ، ولغط دمي
أتساقطُ – كالنظراتَ – على أوجه العَابرين
فتكنسني الريحُ ، منفَرطاً ، كالدقائقِ
بين الأصابع :
نحو المقاهي ، التي أورثتني الشرودَ اللذيذَ
الكتابِ ، الذي كنتُ أرجأتهُ للمساءِ
الفتاةِ ، التي ارتبكتْ من شحوبي
فغطّتْ بجلد حقيبتها عريَ ركبتها
الصحابِ ، الذين مضوا في بريدِ الحروبَ
. . . .
. . . .
هكذا ، قادني ضجري – في الظهيرةِ –
من ياقة القلبِ . . . . . .
نحو
سريركِ . . . . . .

بغداد ١٩٩١/٧/١٢

اقتراب أولي من البحر

يدها . . . .
بدايةُ ما يضمُّ الوقتُ
من مطرٍ وموسيقى
تضمُّ أصابعي
. . فتسيل
كانتْ آخرُ الأنهار في مدن الرماد
لها النعاسُ ، طفولَةُ النارنجِ ، والندَمُ الشفيفُ
لها المدى ، عبقُ الحديقة ،
وانسيالُ الشمعِ في المحرابِ ،
أوراقُ الغيومِ الزرق ،
والغنجُ ، الخريفُ . . .
وما تبقى من فتيتِ الندِّ فوقَ مجامرِ الكلماتِ
. . . . . .
. . . . . .
كانتْ لي يداكَ
حمامةَ المنفى ، مرايا الوهمِ ، نافذةً تطلُّ على ارتطامِ البحرِ بالغرباءِ ،
والزبدَ الذي يطفو على موجِ القصيدةِ ،
ما يقولُ النجمُ عن صمتي
وما حلمتْ بصنعاءَ المراكبُ
وهي تحملُ زادَها وبكاءَها ،
وطناً تحاصرهُ البنادقُ
والرمالُ . . .

رأيتُ كفّك تستطيلُ سفائنَ الأملِ البعيد ،
تمرُّ في المنفيِّ على قلبي تغطّيه بأجنحة الفَراشاتِ - الصباحاتِ النديّةِ
يزهرُ العشبُ الذي ينمو على طول المسافة
بين كفكَ واغترابي ،
حينَ تقتربينَ من شفتي ، طيورَ البحَر ،
أظمأها البكاءُ المرُّ والسفرُ الطويلُ
إلى جزائرِ حضرموت ....

....

....
يدُها
وأفتحُ ليلَ نافذتي
على مطرٍ
ينثُّ الأفقَ من عبقِ اشتهائك
ها هنا وجعي على البحرِ المحاصَرِ
ها هنا قلبي يدثّرهُ صقيعُ يديكِ
في البلدِ الغريبْ

١١/١٠/١٩٩١بغداد

أخطاء

أيها الخطأُ المتكرّرُ
- يا عمرُ -
يا ندمَ الأصدقاء الجميلَ
سأفتحُ مشجبَ قلبي . .
لكلِّ حماقاتكم
علّقوا ما تشاؤون :

من سمكٍ ميتٍ
وكحولٍ
ولا . . . . . .

كلُّ شيء تبرّرهُ الرغبةُ العابرةْ
عابراً مرجَ قمصانِكمْ
للشوارعِ . . . . . .
أنسلُّ بين العناوين . . .
نحو المدينة
أصفرُ في الريحِ
خلفَ خطى العشبِ والفتياتِ
أنا خطأٌ في القصيدةَ
يشطبهُ النحويُّ على لوحة الصفِّ
ينسلُّ خيطُ دمي - شاحباً -
يتعثرُ بين ذهولِ تلاميذه
والرقيبِ المشدّدَ باللامِ
أبصرُ . . . .

- في الليلِ -
بين أصابعه الصفرِ
ما حذفتهُ المناهَجُ مني
يرتّبهُ جملةً ، جملةً
في فراغِ السريرِ
وينامُ على جنبه المرِّ
ملتصَقاً بشخيرِ عجوزته
أو عجيزتها . . . . .

في الصباحِ
المطلِّ
على مكتب فاخرِ
سيدلقُ ما قصَّ منَ حلمهِ
في سلالِ الوظيفة
ثم يشطبنَي . . . .
هـ . . . .
كـ . . . . .
ذ . . .
ا . . . .

بغداد ١٩٩٠/٥/٢٠

أولاد

تتناسلُ . . في دمنا
قططُ الليلِ
نمضي إلى البارِ
نبحثُ عما يجَمّلُ أخطاءَنا
ونرجِعُ في آخرِ الخمرِ ، منكفئين على زبدٍ
سالَ بين أناملنَا – كالأماني –
وذابْ
فننثرُ فوقَ الأسرّة
ما ظلَّ في عمرناَ ، من رغابْ
رغبةً في الطفولة
أو حكمةً في الكَهولة
أو ندماً سوفَ يكبرُ
في باحةِ البيتِ . . .
يحبو
تطولُ أظافرهُ . .
فنشذّبها بالمدارس
كي لا تخربشَ جلدَ قناعاتنا
وإذْ يكبرون . . . . . .
نراقبهمْ – من خلال الجريدة –
يسّاقطون على دبقِ الشاي والفتياتِ
فنلصقهمْ في بريدِ الزواجِ السريعِ . . .
الخ . . . . . .

بغداد ٢٩/٧/١٩٩٠

غيرة...

أحبك . . .
إنَّ الطَرِيقَ إلى شفتيكِ اغترابْ
وأقصدُ :
يا ما تشظّى دمي
في الشوارعِ
خلفَ ظلالكَ
عابرةً ، بالمظلّةَ والعطرِ
ملتصقاً صدرُكَ المرمريُّ بعشبِ الكتابْ
فكيفَ سأحملُ قلبي إليكِ
وقلبي نهرْ . .
أحبك . . .
قلتُ : أحبك
فانهمرَ الرازقيُّ على الشرفاتْ
وفاحَ قميصك بالرغباتْ
على عشبِ المَنحدرْ
أحبك . . . . . .
هل تفَهمينَ ذبولي على زهرةٍ من حجرْ
وهل تفهمين
- إذا ما فتحتِ المظلةَ لصقَ صديقك -
حزنَ المطرْ

أقولُ : غداً
أتمدّدُ فوقَ النهارِ الفسيحِ
يظلّلني الغيمُ لاَ الطائراتُ
أفتش بين القنابلِ والطينِ
عمّا تبقى من العمرِ والأَصدقاء
أعبّيءُ في رئتيَّ الشوارعَ والياسَمينَ
وأمضي إلى البيت ، دون بيانات
تقطّعُ حلمي إلى جَثث ومخاوف
[أيها القلقُ المبتداً
أيها الوطنُ المنتهى
كلُّ ما نملكُ
وطنٌ مثل أحلامنا
وهوىً يهلكُ . . . .]
وأنا في عراءِ القذائفِ ،
مَنْ أرتجي؟
رافعاً للسماء إنائي
أوزّعُ - بين ثَقوبِ المواضعِ - وجهي
وهذا الفضاءَ القتيل
منكمشاً ، مثل طيرٍ بليلْ
يمرُّ الرصاصُ الأخيرُ على جسدي
فيطرّزُ أيامَهُ بزهور الخرابْ
سأرتّقُ في إبرِ الأَمنياتِ
قميصَ شبابيَ الذي قُدَّ من جهةِ القلبِ

فتفتقُهُ الطلقاتُ
مَنْ يلمُّ الشظايا - غداً -
حينما تنتهي الحربُ، مرغمةً؟
مَنْ يعيدُ لأرملة الحربِ زهرتَها اليانعةْ؟
أتسلّلُ محترساً، تحتَ جنحِ الحنينِ
نحو غصنِ البلاد الذي يتفتقُ للتوِّ
أَو يتيبسُ للتوِّ
وأقارنُ بين غصونِ الربيعِ
وبين غصونَ القذيفة
وأقولُ: صباحَ البلَادِ
التي علمتنا التشتّتَ
بين كراسي المقاهي العتيقة، والاعترافِ المكهربِ
بين البيوتِ الخفيضةِ، والمرأةِ الغادرةْ
سوفَ تحشرنا في المواضعِ
ملتصقين، بصمغِ المخاوفِ....
نرقبُ الأفقَ:
أسودَ.....
يخضرُّ بالأملِ - العشبِ، تحصدهُ الطائراتْ
أو أزرقاً....
سوف يحمرُّ من دمنا
فتصادرهُ اللافتاتْ
أو رماداً بطيئاً
سيرسبُ في الروحِ
شيئاً، فشيئاً، كما الذكرياتْ

النجف ١٩٨٧/٤/٢١

دبقٌ
يسيلُ على جدارِ الوقت
يلصقُ عمرَكَ الذاَوي علَى سهوِ التقاويمِ
التي خلعتْ قميصَ البحرِ
كي تغفو على خَشبِ الأريكةْ
تتساقطُ الأوراقُ من أدراجها
فنلمّها . . .
لندثّرَ الأيامَ من بردِ الكهولةِ
والحروبَ
ويداكَ من حجر وفوضى
تنعسان على استّدارة ردفها - الندمٍّ الشهي
وتقلّبان رفوفَ مكتبةَ الحداثة
في انتظَارِ قصيدة يرضَى بهاَ النقادُ
هل يرضيٍ بها الشًعراءُ؟
تلقي نظرةً أخرى
على الباصِ المعطّل
وانكسارِ الوقتِ في ظَلِّ الرصيفْ
مطرٌ . . . .
وقلبُكَ من ورقْ
مطرٌ . . . .
وعيناها خريفْ
مطرٌ . . . .

وبينكما انكساراتُ المطرْ

فلأينَ تأخذنا الطرقْ؟
لا نلتقي
. . . . أو نفترقْ

عبثاً تحاولُ أنْ ترمّمَ ما تكسّرَ من زجاجِ القلبِ
كي تنسى يديها في يديك،
وتمضيانِ ، إلى المواعيدِ ، التي ذابتْ كحباتِ المطرْ
. . . .

. . . . .
كان الصباحُ
يصبُّ قهوته
ويرشفُ ما تبقى من سوادِ الليلِ
يقلبُ - ساهماً - فنجانَهُ لَصقيَ
ليقرأَ في الخطوطِ المستحيلةِ
ما يمرّ من الشوارعِ
والكلامِ - النملِ
والفتيات في أصص النوافذ
يغزلنَّ جدائلَ الأزهار ، للعشَاق ، . .
كي يَتسلّقوا أحَلامَهنَّ
إلى المرايا . . .
واحتراقاتِ القصيدةِ
. . . .
. . . .

أقرأُ فِي الجريدة :
نشرةَ التعبِ اَلتي تمتدُّ كالأسلاك ، من فمٍّ المحرّرِ ، للمذيعة ، وهي تخفي خلفَ ضحكتها المُعدَّة ، آخرَ القتلى ، الزلازلَ . نازلاً من ضرسه المنخور ، حتى الحانة - الوطَنِ المعلّبِ في قناني الخمرِ ، من موسىَ الحلاقةَ،للصداقة ، فِي مرايا الوهم ،للمَذياعِ يغسلُ عن عيون الصبحِ آثارَ النعَاسِ ، ليخَرجَ العمالُ والباصاتُ من جيبِ المدينة ، للَشوارِعِ ، للتدافعِ بالمنَاكب ، للمناصب ، للشعاراتِ التي بالتْ على سروالها في غرفةِ التحقيق ، لَلتصفيقِ ، طَق . . . ، طق . . ،

طَق . . ،

طق ،

لصنبور الخطابة ،

للكآبةِ فِي دمِ المصباحِ يرقَبُ جثّةَ الليلِ التي نزفتْ على الإسفلتِ ،
من جرحٍ يقالُ له :
البارات
للنفقِ المؤدي لارتعاشاتِ النساءِ أو الجيوبِ
وما تبقى
من
فواتير
الحَروب
غداً
تسدّدها
جراحاتُ
الشعوبِ

من ارتطامِ قصيدتين على المنصّةِ لاكتسابِ حماسةِ الجمهورِ .

موسيقى التناسلِ خلفَ سطحِ الجارة الحمقاء . والعزّابُ ملتصقون خلفَ الشقّ ينتظرون حبلَ غسيلها اليوميّ بالزوجِ العقيمِ وبالسراويلِ الملوّنة الروائح . لا فضائحَ غير ما يرثُ الملوكُ من البنوكَ ، وما توارثنا من القَملِ - الشكوكِ ، وما سنورثُ أهلَنا من فقرنا . هذا النزيفُ أقلّ مما في اليدين ، وما انتهى من دمعنا المخزون يسفحهُ أنينُ الأمهات على ضريح الأولياء ، ولا بكاءَ سوى على ما خرّبَ التأريخُ من دمنا ، وما قد عاثت الزوجاتُ والنقادُ في أشعارنا ، أو ضيّقَ الحراسُ من خطواتنا . . .

عبثاً يمرُّ النفطُ والفتياتُ والمتظاهرون

– أمامَ نافذة القصيدة –

نصف مغلقة

على حلم طواهُ القلبُ

خلفَ حقائبِ الترحالِ

تنكسرُ الظلالُ

على دمي ـ حبرِ المطابعِ ، وهو يسيلُ بالطرقاتِ

من منفى إلى منفى

يمرُّ بكوتي ، الدبقُ ـ النهارُ

وباعةُ الأوطان

والصحفُ ـ الطماطمُ

والجنودُ . . .

. . . .

ينوءُ هذا القلبُ تحت قميصيَ المثقوب

بالكلماتِ والطلَقاتِ . . .

أخلعهُ

وأمشي

في

الشوارعِ ،

عارياً ،

كالضوء

٢٣/٩/١٩٩١ بغداد

امرأة

بين القميصِ الذي مالَ
والبرتقال الذَي سالَ
حتى تبرَعمَ عن حلمتين
فتحةً لارتباكِ الأصابعِ
منحدراً ، من شَتاء الجُنون
..إلىَ صيفَ خصركِ
يأخذُ قيلولةً للتغنجِ
– فوقَ سريرِ يدي –
استلذي بفوضاي
لا شاعرٌ دونَ فوضاه
لا مرمرٌ دون ساقيك
ينعكسان على شهوةَ السلّمِ المرمري
لا مطرٌ غَير هذا الزغَبْ
ينثُّ على ظمأ النافذةْ
. . . .
. . . .
ماذا أفكرُ . .؟
ماذا تظنّينَ أنّي أفكرُ . .!؟

بغداد ١٩٩٠/٧/١٧

عزلة

أخيراً
سأختارُ لي كتباً
وأقولُ : هيِ الأصدقاءْ
ورصيفاً أقسِّمهُ بخطاي - كما أشتهي -
وطناً
ركنَ حان
سَماءْ
سأرسمِ نافذةً في الجدار
وسربَ طيورٍ تحطُّ على غَصنِ قلبي ،
تشاغلنيِ بالغناءْ
أخبّيءُ في شرشفي ، حلماً للمساءْ
أتوهمهُ امرأةً لا تخونْ . . . . . .
. . . .
. . . .
هكذا أنتقي عزلتي
وسأعتادها . . . . . .
. . . .
غير أنّي إذا اشتقتُ للآخرين
سأجلسُ قلبي إلى الطاولةْ
وأحصي له
الطعناتْ

كركوك ١٩٨٨/١٠/٣١

أراها . . .
بزاويةِ البارِ
تحصدُ كدْسَ البنفسجِ ، عن مرجِ فستانها
والعيونَ التي تتلصص . . .
ينحسرُ النهرُ
يذوي وحيداً
- كرقمِ البطاقة - كلَّ مساء
على بابِ غرفتَها الموصدةْ
ثمَّ تكنسهُ الريحُ
للطرقات
أرى أننيَ تائهٌ
بين سيجارها الأجنبيِّ
وهذا الطريقِ الطويلِ إلى شفتيها
يظلّلني شَعرُها ، والدَخانُ
الذي يتبدّدُ :
عن شارعٍ ليسَ لِي
وعن جسدٍ ليسَ لي
وعن وطنٍ ليسَ لي
وتوقظني - الآنَ -
فاتورةُ النادلِ!
. . . .
. . . .

أيها القلبُ
لا تطمئنً لوعد الثياب القصيرةِ
والضحَكات الَغريرةِ
إنَّ الثيابَ التي تتقاصَرُ
قد تتقاصرُ أشواقُها
والكؤوسَ التي تتخاصرُ
قد تتناثرُ أطباقُها
فوقَ مزبلةِ الحانةِ المطفأةْ

١٩٩٠/٥/١٠بغداد

علاقة

إلى س . ك

في المحطات
في أول الحبِّ
يبدو الحَنينُ غريباً
إذا ما تلامسَ ظلاّنِ
في زحمة العابرين
هكذا نلتقَي :
القطاراتُ تعبرُ مسرعةً
والتذاكرُ تذبلُ مثلَ القُبلْ
هكذا نلتقي :
في الوداعِ الشهي
في التقاءِ الأصابعِ فوقَ رصيفِ الحقائبِ
في صدفَةِ الرقمِ
في آخرِ الحَانةِ المطفأةْ
. . . .
. . . .
أناملُ أشواقِنا
تتهامسُ
أو تتباعدُ . . . - حين تقاطعها النظراتُ -
فتنقرُ - في خجلٍ - طَرَفَ الكلماتْ
نتلفّتُ :
لا مقعدٌ فارغٌ
لا شوارع للبوحِ

لا بائعُ الكرزاتِ يكفُّ عن الكلماتِ البذيئةِ
لا زهرةً للـَ . . .
قلتُ : نمضي سريعاً
إلى آخرِ الحبِّ

في غرفتي
كتبٌ تتناثرُ كالذكرياتِ
وفوضى سرير
وأنتِ على طرَفِ القلبِ ، عاريةٌ
تقرضَينَ الأظافرَ - من سَأم -
وأنا . . . - أكتبُ الآنَ - آخرَ فصلِ القصيدةْ

هكذا نفترقْ

تومضُ . . .
في ذاكرة المرآةْ
امرأة عبقَةْ
تتثاءَبُ غاباتُ مفاتنها
تحتَ قميصِ المطرِ الشفاف
وعلى مقربةٍ من موسيقى نَهديها
شباكٌ مخمورٌ
يلهثُ . . .
ملتصاً ، من ثقبٍ في الليلِ
وأصابعُ محترقةْ
. . . .

. . . .
أقتربَ الشبّاكان ،كثيراً
فأضاءَ الرجلُ المتسمرُ عينيهِ الخابيتين
أطفأتِ المرأةُ ، سيجارتَها
- في صحنِ الدبقِ الفاضحِ -
والضوء . . .
وظلتْ تتنصّتُ :

رررررررررريحٌ . .
وقعُ خطى . . . . . .
طَرقاتٌ
خفقُ تنفسهِ . . .

لا شيء . . .

. . . .

. . . .

في الصبحِ . . .
ارتبكا في بابِ المصعدِ
- بضعَ ثوانٍ -
ثمَّ افترِقا
مبتسمين
بصمتٍ غامضْ

١٩٩٠/٧/١٦بغداد

محاولة

ضعْهُ فوق السندانْ
واطرقْهُ بلا رحمهْ
اطرقْهُ . . .
اطْرقهُ . . .
قلتُ له :
- اطرقْهُ بشدّة
اطرقْهُ يا حدادْ
اطرقْهُ . . .
كي يتمدّدَ
...هذا القلبُ
ويُصبحَ جسراً
يوصلني للنسيانْ

۱۹۹۱/٦/۱۰بغداد

المدير

إلى الشاعر عبد الرزاق الربيعي

مَنْ ورّطَ الشاعرَ
في دوّامةِ التوقيعِ
كانَ البحرُ
في معطفه المثقوبِ
ينسلُّ إلى نَافذة
في شقّة إيجارًها ينسلُّ من أيامهِ
رفٌ كتبْ
ما الذي غَيَّرَ إيقاعَ «صباح الخير»
في فنجانه المعتاد
مَنْ قصَّرَ فستانَ سكرتيرتهَ
كي لا يرى أبعدَ من صَيف القرى
والشجرِ المنكسرِ الأحلامِ في الشَارعِ
كانَ القَلبُ . . .
لا يعرفُ أنْ يستعملَ الهاتفَ
في الحبِّ
فمَنْ دَجَّنَ هذا القرويَّ ، الحالمَ - الآنَ -
على كرسيِّه الفاخرِ
مشدوهاً
يديرُ القرصَ :
- . . . .
-هل أدخلُ . . !؟
. . . .

ظلَّ البحرُ
محبوساً وراءَ الزرِّ
حتى اتكأتْ
فوقَ الأضابيرِ
انحنتْ
فاندلقَ البحرُ
على طاولة الشاعرِ
من أينَ لهذا الأزرقَ المفتوحِ
أنْ يفهمَ حزنَ الرملِ
في صدري
فلا تربكهُ عينا المديرِ الساهمِ
المشدود . . . .
ما بَين التواقيعِ
ونهديها
وإيقاعِ القصيدةْ

١٩٨٩/١٠/١٥بغداد

قهوتي مُرّةٌ
وصباحُكِ من عسلٍ
تفتحينَ قَميصَكِ
للبحرِ :
حيثُ النوارسُ غافيةٌ بعدُ . .
يندلقُ الموجُ - مرتبكاً -
فوق كفي
أمشّطُ شَعَرَكِ من ذهبٍ ونعاسٍ
وحينَ تتيهُ المَرايا
تتيه يدايا
سأجلسُ فوق الأريكةِ
منتعشاً برذاذِ المطرْ

١٣/١٠/١٩٩٢بغداد

مرثية صديق

ضائعاً في التلافيف
مستنفراً دمَكَ الأبيَضَ (العابرات تصفّفهنَّ على شرفةِ الشرشفِ المرِّ)
حلماً تراودهُ
ندماً وتطاردهُ
فندقاً أسفلَ البنطلون القصيرَ
لذاذاتها - دبقاً في الَأصابعِ
أو حُرقاً في الأضالعِ
تتركهُ وتغادرُ ضاحكةً . . .
زهرةً في حديقة نومكَ لمْ تقتطفْها أناملهنَّ - الفراشاتُ . . .
ما الذي تفعلُ الَكلَماتُ
حين تهزمكَ الأخرياتُ
يباهين جوعَكَ ، تحملهُ رايةً
بالثيابِ اللصيقة
والمركباتِ الأنيقةَ
تصحبُ كفَكَ نحو السريرِ
أناملَ من مطرٍ ونساءٍ
. . . .
. . . .
أنتَ ضيّعتني
حين قدتَ خطايَ إلى مرجها الضيقٌ
ونسيتَ القصيدةَ - في البارِ - ثملى ، يتعتعها السكرُ والوجدُ
حتى ضللنا الطريقَ

فأوصلنا – الناقدُ الألسنيُّ ، الندى ، الدركيُّ ، فتاةُ الكوافيرِ ، لائحةُ الشهداء ، المباني ، الجرائدُ ، بابُ الحديقة ، نايُ الجنوبِ الحزينُ ، الإذاعاتُ ، أرملةُ الحربِ ، بوقُ المديحِ ، المؤرّخُ ، ليلى . . . . . .
–

. . . . . إلى بيتها

في أقاصي الندمْ
أنتَ أورثتني
كلَّ هذا الألمْ

١٩٩٢/٦/٢٤بغداد

العشاقُ :
يمرون على شفتيها
دبقاً . . .
من فرط حموضتهمْ ، تغسلُ - كلَّ مساءٍ - أحلامَ أصابعها
وتعلّقها - كالآه - على نافذة الحرمانْ
لكنَّ يديها ، وهَي تلملمُ أوراقَ القبلاتِ
عن العشبِ الناميَ
وبَقايا الكرزات

ترتعشان أمامَ مرايا وحدتها
فتقومُ إلَى الدولابِ
لتختارَ عشيقاً
ستقولُ له :
أَنْ لا يُوجعَ - حينَ يطوّقُها -
غصنَ الرمان المائل
أنْ لا يُفرطَ حَبات التوتِ
على صحنِ أنوثتهاَ
أن لا يتوغلَ أكثرَ . . .
أكثرَ
في أحراشِ المرجانْ
. . . .
لكن الحارسَ
ما أنْ يبصرَها

تجتازُ البابَ

- كعادتها -

فِي صحبةِ غصنِ الرمانْ

سيراودُ غربتَها :

- يا عانسةَ المشتلِ

ما آنَ لأوجاعِكَ

أنْ تثمرَ

ما آنْ لأحلامِ العاشقِ

أنْ تصبحَ

- يوماً -

بستانْ

بغداد ١٩٩٢/١٠/٨

خرجتُ من الحربِ سهواً

أنا خارجٌ من زمان الخيانات
نحوَ البكاء النبيلِ على ﴿وَطنٍ﴾ أخضرٍ
حرثته الخنَازيرُ والسرفاتُ
أنا داخلٌ في مدارِ القصيدةِ
نصفَ طليق
ونصفَ مصفَّدْ
فعليكمْ رثائي بما تملكون من النادباتِ
وليسَ عليّ سوى أن أشيرَ لكمْ
بأصابع «نائلة»
لقميصِ البلادِ المعلّقِ فوق رماحِ العشيرةِ
تنخبُهُ الطلقاتُ
فينسالُ نهرُ الفراتِ المضرّجُ بين أصابعكم
حينما تكتبونْ
- عبثٌ كلُّ ما يكتبُ الشعراءُ

. . . .

فهذا الزمانُ يعلّمنا
أن نصفّقَ للقاتلين
حينما يعبرون الرصيفَ إلى دمنا
وهذا الزمانُ يعلّمنا
أن نقصّرَ قاماتنا
. . . كي تمرَّ الرياحُ على رسلها
أن نماشي القطيعَ إلى الكلأ الموسميِّ

ولكنني . . . .
من خلال الحطامِ الذي خلّفتهُ المدافعُ
أرفعُ كفي معفّرةً بالترابِ المدمّى . . . . .
أمامَ عيون الزمان
أعلّمهُ كيفَ نحفرُ أسماءَنا بالأظافرِ
كي تتوهجَ : لا
نحنُ الذينَ خرجنا من الثكنات
نكشُّ ذبابَ العواصمِ عن جرحنَا
أنخطيءُ - حين تمرُّ بنَا الشاحناتُ الطويلةُ -
في عدد الشهداء الذين مضوا في رحابِ القنابلْ
وفي عدَد الأصدقَاء
الذين مضَوا في الطَوابيرِ
لكنني - والقصيدةُ ﴿لَمْ ترها بعدُ عينُ الرقابةِ﴾ -
لا أخطِيءُ الوجعَ المرَّ
حينَ نمرُّ علىِ وجلِ الأمهات
تسمّرنَ فوقَ رصيفَ المحطاتَ
يسألنَ مَنْ يعبرون إلَى الحربِ
أن يأخذوا ليلهنَّ الطويلَ
مناديلَ دمع تضمّدُ جرحَ المسافة
بين الرَّصاصة ، والدعواتَ
يكابرنَ صبرَ السنينَ
أمامَ الأسرّة ، فارغةً
في مستشفَيات الحرُوبِ . . [. . . يشرّونَ فوقَ حبالِ الرياحِ
شراشفَ مَنْ رحَلوا ،
كي تجفّفَها للذين سيأتون عما قليلٍ . . .]

. . . .

إلى أين نمضي بأعمارنا - غصةً -

أيها الربُّ . . . .

سأكتمُ هذا الصراخَ بحنجرتي

ريثما تفطرونَ على صحفِ اليومِ ، والشاي

أكتبُ عن قمرٍ سيجيء

وع غيمة عبرتٍ قمحنا

لتحطَّ علَى جرحنا

أربّتُ فوق مواجعَكمْ

كي أمرَّ كخيط القصيدة

يلظمُ قلبي بالطَرقات

أخيطُ قميصَ المنافي علي قَدِّ أحزانكمْ

وأتركُ دمًّ قميصي الذي قُدَّ من قُبلٍ

شاهدي ودليلي

لدى كاتبِ العدلِ

لمْ أنهزمْ . . . .

أو أفرَّ - كخيلِ بني العمِّ -

من ساحة الحرب

بيني وبينَ الرصاصِ مسافةُ صدقي

وهذي القصيدةُ ,مبحوحةُ الصوتِ

من فرطِ ما هرولتْ في الخنادقِ

تصرخُ مَن فزعٍ وذهولْ :

- أوقفوا قرعَ هذي الطبولْ

مَنْ يمسحُ الآنَ عن قبوِ ذاكرتي

صور الأصدقاءِ الذين مضوا في بريدِ المعارك

بلا زهرة أو نعاس
ولمْ يتركُوا غيرَ عنوانِ قلبي
أصدقائي الذين أضاعوا الطريقَ
إلى دمعهمْ والمنازلْ
أصدقاءَ القنابلْ
أنا شختُ قبلَ أواني
ألمْ تبصروا رئتي سودتها الشعاراتُ لا التبغُ
ألم تبصروا قامتي حدّبتها خطى العابرين إلى الأوسمةْ
آه . . . مما يكتّمُ قلبي . . .
وَما تعلنُ الصحفُ والفتياتُ
]يراوغنَ نبضَ المحبِّ إلى مصعدِ الشقّةِ الفارهةْ]
سلاماً بلادَ السنابلْ
سلاماً بلادَ الجداولْ
سلاماً بلادي ، التي كلما حاصرتها القنابلْ
حملتْ جرحها رايةً لتقاتلْ
ومالتْ على جهةِ الرومِ ،
لا رومَ غير الذي تركَ الأهلُ في ظهرنا
من طعانِ السنانِ المخاتلْ
. . . .

. . . .

على شفتي شجرٌ ذابلٌ ، والفراتُ الذي مرَّ لمْ يروني . وورائي نباحُ الحروبِ العقيمة يطلقها الجنرالُ على لحمنا ، فنراوغُ أسنانها والشظايا التي مشّطتْ شَعْرَ أطفالنا قبلَ أنْ يذهبوا للمدارسِ والورد . أركضُ ، أركضُ ، في غابةِ الموتِ ، أجمعُ أحطابَ مَنْ رحلوا في خريفِ المعاركِ ، مرتقباً مثل نجمٍ حزينٍ ، وقد خلّفوني وحيداً هنا ، لاقماً طرفَ

دشداشتي وأراوغُ موتي بين القنابلِ والشهداء . أنا شاعرٌ أكلتْ عمرَهُ الكلماتُ ، فكيفَ أرتّبُ هذي الحروفَ وأطلقَها جملةً ، دونَ أنْ يزلقَ القلبُ - مرتبكاً - من لساني وينفجرُ اللغمُ ، أركضُ ، أركضُ ، قلبي على وطني : أينَ يدفنُ أبناءَه؟ . . الأرضُ أصغرُ من دمعِ أمي ، أنفّضُ عن جلد طفلي الرصاصَ ، فيجمعهُ في إناء الطحينِ . تمرُّ الرياحُ بأوتارِ قلبي ، فَيصدحُ حزنُ المروجِ . يمرُّ الفراشُ علَى جرحنا ، ويطيرُ إلى الزهرِ . يا شجراً علّمتنا براعمهُ أنْ نبرعمَ غصنَ مواجعنا للربيعِ الذي سوفَ يأتي لكي يفتحَ الياسمينُ نوافذَهُ . آه لو يعقلُ الياسمينُ وقلبي! تلوذُ بمعطفه - إذْ تمرُّ بها الطائراتُ - ترى نبضَهُ دافقاً كالحديقة ، ملتصقاً بالتويجِ الذي كانَ يرعشُ تحتَ القميصِ البليلِ : أحبـ . . . . . ك . .! . . تقطعها الصافراتُ ، فتنفرطُ القبلاتُ على العشبِ ، تحرثها السَرفاتُ إلى آخرِ الياسمينِ وحزني . نعلّقُ ما ظلَّ من زعلٍ فوق شمّاعة الحربِ ، ينحدرُ الليلُ صوبَ المنازل ,وادعة في مساء التّشابه والزنبقَ المرِّ ، ينحدرُ الطيرُ نحو سقوف المخازن ، يهرعُ سربُ الكراكي إلى نبعِ روحي . غداً في صباحٍ بلاَ طائراتٍ سنركضُ تحتَ رذاذَ البنفسجِ ، ملتصقَين ، . . نلفُّ الشوارعَ والكَّركرات ، نمسّدُ شعرَ النوافيرِ . أذكرُ أنَّ يديك تحبّان أن تنعسا في يديّ ,ونكبرُ ,هل يكبرُ الحقلُ من زهرة ، . . أم يديك؟ أرى ما أرى من جنون الحياة على صدرها ، هائم الروحِ كالقبّراتِ ، ألمّ الأزاهيرَ عن ثوبهاَ والمروجَ التي حصدتها الشظايا . يتعتعني عسلٌ سالَ من خطأ الشفتين ، - أأخطأتُ في الحبِّ!؟ أنَّ الممرَ الذي ضمّنا تحتَ ظلٍّ الصنوبر يذكرُ كيفَ تسلّلَ قلبي لصدرك في غفلة من يديّ ، . . . - أأفرطتُ في الشربِ!؟ - لا توهميني بأنكَ أكثرِ دفئاً منِ الأرضِ ,هذي البلادُ على بُعْد قنبلةَ من وريدكَ يا أيها الطائرُ المتغرّبُ بينَ القواميسِ . إنّا نقيسُ الحيَاةَ علىً حجمِ قنبلةٍ ، عبرتْ صبرَنا الصعبَ ، نسقطُ منها الشظايا

- الزوائدَ ، كي نرتديها ، قميصاً من البهجةِ المستحيلةِ ،

هلْ

خطأٌ

أنْ

نحبَّ

الحياةْ!؟ . . .

. . . . . .

بغداد١٩٩١/١٢/٤١

مرايا لشعرها الطويل

- نصوص نثرية -

شيئان في الدنيا
يستحقَان المنازعات الكبيرة :
وطنٌ حنونٌ
وامرأةٌ رائعةٌ
أما بقية المنازعات الأخرى
فهي من اختصاصَ الديكة

- الشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف -

أنت لمْ تنطقي بكلمة متكبرةٍ
ولكنَك ستنطقين يوماً ما
بأربعِ كَلمات لا تخلو من الزهوِ
فإذْ تجلسين مرّيحةً خدكِ النديَ الدافيء
على يدكِ البيضاء
أمام ديوانَ شعري المفتوحِ
ستقولين :
- «أياي ، أحبُّ هذا الرجلُ»
ثم تنهضين ، وتسيرين بهدوءٍ

- الشاعر الانكليزي ولتر سافيج لاندور -

واحسرتاه
لقد حُكمَ عليّ بأشغال الأحاسيسِ الشاقةِ المؤبدةِ
أديرُ أحجارَ رحى القصائد

- الشاعر السوفيتي يسينين -

أشوقاً؟ ولما يمضِ لي غير ليلة
فكيفَ إذا جدَّ المَطيُّ بنا عشرًا

- الشاعر العربي القديم سحيم -

أعدُّ الأيامَ
على أصابعي
وعليها أعدُّ أيضاً أصحابي وأحبابي
وفي يومٍ ما
لن أعدَّ على أصابعي
سوى أصابعي

- الشاعر الفرنسي بول فانسانسيتي -

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها
فلما انقضى ما بيننا سَكَنَ الدهرُ

- الشاعر العربي أبو صخر الهذلي -

أواه
ما أقسى أن أحبك هذا الحب
في حبكِ يؤلمني :
الهواءُ
وقلبي
وقبعتي

- الشاعر الاسباني لوركا -

مفتتح

الكتابةُ عذاب ، والاسترسالُ فيها أليم ، كما يقولُ أحدُ كتّاب عصرنا الكبار ، وهذا ما يفعله الشاعر عدنان الصائغ في نصوصه النثرية (مرايا لشعرها الطويل) . .

ولكنه ، وهو يشردُ في انكسارات حرف العين والمحطات ويتحولُ إلى قطرة مطر ، يصرخ (لا أملكُ خياراً . الكتابةُ لحلّ ديوني والقصيدةُ لزيادةَ شجوني ، وبينهما ، سأضيّعُ الكثيرَ من سنواتي عبثاً من أجلِ وجبةَ كلمات في حانة تملؤها الفئران) .

هكذاً هو يقولُ لردمِ المسافة بين عذابه الخاص وعذاب الكتابة كموقف وجودي انساني . وبهذه النقلة يتّحدُ ما هو خاصٌ وعامٌ ، وما هو شعري وما هو لا شعري ، في خميرة جديدة وتخوم متقدمة .

واذا كان القدامى قد قالوا في وصفهم لفلان الأديب أو الشاعر : (أدركتهُ حرفةُ الأدب) فأن الكاتبَ في عصرنا قد أدركتهُ لعنةُ الأدب وهو يواجهُ جحيمهُ وقدرهُ ومصيرهُ بين أن يكون أو لا يكون .

وليس ما أقولهُ هو رثاءٌ أو تقريظٌ لصديقي الشاعر عدنان الصائغ فهو قد شبَّ عن الطوقِ ولمْ يعدْ الرثاءُ أو التقريظُ يقدمان له وجبةَ كلمات في حانة .

أنه يتّقدمُ وينضجُ في محاولاته النثرية والشعرية على نار هادئة أحياناً ، وعلى نار موقدة أحياناً أخرَى ، فتحَيةً له واعتزازاً .

وها أنذا أتركُ (مرايا لشعرها الطويل) بين يدي القاريء ، لكي يرى ما لا رأيتُ ، بعيداً عن قرعِ الطبول .

الشاعر عبد الوهاب البياتي

ما أن أجلسَ على الكرسي - ذاتَ نهارٍ مشمسٍ -
صالباً ساقيَّ اللتين شوهتهما الحربُ
ومحدقاً في بريدِ الشوارعِ وهو يحملُ لي بطاقاتِ الأصدقاءِ المفقودة,
والكسلَ ،
والباصات المسرعةَ ,وغيومَ الدهشة . .
مسترجعاً أمام عينيك السوداوين تأريخَ حزني الطويل
وبمجرد أن أرمشَ جفنيَ
تتساقطُ صورُ القنابلِ بدل الدموع
كفاك تحديقاً في مرايا عيوني . .
لقد بَكيتُ كثيراً ,أكثرَ مما يجبُ
أكثرَ من كميةِ الدموعِ المخصصةِ لحياتي
والآنْ . .
عليَّ أن أبتسمَ أمامَ مرايا المطعم الفخمِ ، الذي تطأهُ أقدامُ دهشتي لأولِ مرة ،
محاطاً بذراعك نصف العارية . .
بينما يغطّي الفرو الثمينُ نصفَ العالم الشهي
اتركيني - لدقائق -
ريثما يهدأُ هذا الهلعُ الذي يسكنني
منذ دخلتُ - سهواً - رصيدكِ العاطفي
اتركيني - لساعات -
ففي داخلي سنواتٌ من الوحلِ والهلعِ والرصاص
لن تمسحَها يافطةُ النادلِ الأجنبيِّ ، وهو ينحني بأدبٍ جمٍّ ،
ليزيل قطرات القهوة التي أسقطها ارتباكي

على قماشِ الطاولة الأبيض
كان عليّ - على الأقلِ - أنَ أحدثك قبل هذا
عن بساتين طفولتي التي حرثتها أسنَانُ البلدوزرات والجنـزرات
عِن قلبي الذي ما زال يرتجفُ على الأرصفةِ ، كلما مرَّ به ما يشبهُ شَعرها الطويل
عن القنابلِ التي حفرتْ ذكرياتها على ملامحي
عن نساء الَصالونات اللواتي تضاحكن لرؤية حذائي المغموس بالطين
عن الأرصَة التي شردتني في الأجازات القصيرة ﴿المسروقة﴾
والأشجار الَتي اختبأتْ في مسامات جلَدي أثناءَ القصف
عن السنواتِ المرّة التي تركتْ طعمهاَ عالقاً على شفتي . . ، حتى هذه اللحظة
من عصير أناناسك وفنجانِ قهوتي
كفاكَ تحديقاً في مرَايا عيونيَ
أعرفُ . . أعرفُ . . أعرفُ
أعرفُ ذلك . . .
هذه الذكريات ضيّعتْ حياتي تماماً
أعرفُ ، هذه القصائد التي غاصت معي في البرك ،
وحملتها في الملاجيء والمقاهي والدروب
ستبقى معي أينما ارتحلتُ
أعرفُ ، هذا القلب سيضيّعُ ما تبقى مني
لقد تورطتُ . .
تورطتُ تماماً . .
ورغم ذلك فلستُ على استعداد
لأن أبدّلَ حياتي بأيةِ حياة على الاطلاقِ
فأنا أملكُ هذا الألمَ الَذي يضيء

الشاعر

يتكيء الشاعرُ على حافة الغروب ، محدقاً بسطوح المنازل التي بدأتْ تنكسرُ نحو أرصفة المدينَة ، فتسحق ظلالَها الأشجارُ والباصات والعابرون . . أما ما يتبقى داخلَ المعارض الزجاجية من رغبات المدينة المعلبة فسرعان ما يذبلُ في آخر اللهاث ، وقد هدأت الأسرةُ تماماً وكذلكَ المصابيح ، تاركاً هذه السحابةَ المتكسّرة من الأنينَ تتصاعدُ من فم الارض - كلَّ مساء - مثقلةً بالدموع والأمنيات والحشرجات نحو السماء . . هكذا يتكوّن المطرُ ، من دموعنا نحن ، هكذا تنبتُ الأعشابُ وتذبلُ مثل رغباتنا على الأرض ، هكذا تنسربُ أغانينا المبحوحةُ من ثقوب النايات ، هكذا تنكسرُ أحلامنا على زجاج الواجهات اللمّاعة ، تتشظى على الرصيف فيكنسها - كلَّ صباحٍ - عمالُ البلَدية ، . . فتهدأُ الشوارع . .

وحدها القصيدةُ لا تهدأ ، تهبطُ السلمَ الحجريَّ بهدوء ، مارةً بالبيوت ، باباً باباً ، وثقباً ثقباً ، غير أنها إذ تسمعُ صافرات العسس ، تستديرُ في أول منعطف نحو الأزقة الفرعية ، خائضةً حتى ركبتيها بالأوحال التي نساها بطَرُ الشتاء الفائت ، ها هي تقتربُ من شباك الأرملة الوحيدة ، من دولابها الخشبي الذي يخفي نصفَ رغباتها . وتخفي تقلباتُهاَ - على السرير - النصفَ الآخرَ من العالمِ ، ياه . . كمْ بعيدة تلك النجمة!؟

تقتربُ من الأشجار ، تقتربُ من الحانة ، من أين للقصيدة كلُّ هذه الرغبة في البكاء على شرشف الورقَ الأبيض . لا مطر ، لا تفاح ، لا أجراس ، أيتها النافرةُ ، كغزالة ، في براري الفكرة الشاسعةِ . إنني أشدُّ قوسي إلى أقصاه وكذلكَ أنفاسي ، فحاذريَ

عينَ الصياد ، وأقصدُ عينَ الشاعرِ تنفتحُ إلى أقصى مدى لاقتناصك أيتها الكلَمةُ الهاربةُ الشاردةُ في أدغالِ الروحِ ، وأقصدُ : غزالةَ المعنى . .

مبتدئاً بعشبِ القصيدة وهو يذبلُ ، بعشبِ الأرملة وهو يذبلُ ، بالفتيات وهنَ يزقزقن أمامَ باب المدرسة وسطَ صَياح البآعة ، بأشجار اليوكالبَتوز الضخمة وهي تخَفي ظلاَلَ العشاق عن عيوَن المديرة اَلعانسِ ، بالقنابلِ التَي حفظت عناوينَنا عن ظَهرِ قلبَ ، بالمرابيَن وهم يرمون آثاثنا مَن شقة إلى شقة ، بشخير الشوارِعِ وهيِ تنامُ على صدري آخرَ المساء ، بخفقِ أحذية أَخرِ السكَارى وقد ضلّ طريقَ بيته فأقودُ الطريقَ إليَه ، بالمعدَة التي أرتَقَها بالأبر والكبسول فتفتقها الدَيونُ والكتبُ ، بالَموسيقى وَهي تتصاعدُ من أنينِ البحرَ الحبيسِ في أحواضِ الفنادق الضخمة . . مبتدئاً من كَلٍّ هذا ، ومنتهياً بالشاعرِ وهوَ يرفُّ بجنَاحيه الكَسيرين في غاباتِ اللغة ، محاولاً التحليقَ في سماء الشعرِ الزَرقاء العريضة ، فتصدّهُ أغصاَنُ النثرِ المتشابكةُ والأسلاكُ الشَائكةُ ، حيث يرى وهو يتكيءُ على حافة المدينة تلكَ الزرقةَ اللانهائيةَ وهي تنسربُ - مثل أحلامهِ - في شقوقِ الظلامِ .

قلتُ لها : يربكني شعرُكِ الطويل
وأقصدُ : إنّي أمدُّ يدي إلَى وسادتي
فأجدُ خصلاتك مبعثرةً . . .
وأحلامي مبعثرةً . . .
وسريري فارغاً ووحيداً مثلي
يا لحماقتي
كيف لِي أن أصدّقَ أصابعي
وأكذّبَ شعرَكِ الطويل

*

لا حدَّ للبحرِ الذي يُقالُ له : أمواج ضفيرتك ، وهي تتكسرُ
على رمال المرآةَ . . .
لا حدَّ لفوضاي التي يُقالُ لها : الشوارعَ المتسَكعة معي على الورقْ
لا حدَّ للنساء اللواتي يُقالُ لهن : خيباتي المتكررة
لا حدَّ للمطرَ الذي يقالُ له : العشب المتدفق بين أصابعي
لا حدَّ لقلبيَ الذي يُقالُ له : قلق القصيدة . . .
قلتُ لها : كمْ عمرك يا زهرةَ الياسمين
فراحتْ تعدُّ علي أصَابعها
صباحات الحبِّ
ظلَّ قلبيَ يتقافزُ بين أناملها الناعمةِ البيضاء ، فأخطأتْ في الحسابِ
ياه . . .
قالَتْ لِي : كمْ عمركَ يا شاعري
فرحتُ أعدُّ على خفقِ قلبي

أحزانَ الشوارعِ ، والكتبَ ، وقائمةَ الديوان ، والثكناتِ ،
والنساءَ ، والقنابلَ ، وحبوبَ الفاليومِ ، والمَطرَ
ظلتْ تبكي . . .
فاخطأتُ في الحسابْ
ياه . . .
ابعدي دموعَكِ الحمقاءَ عن قلبي الأحمقِ
وتعالي . . .
نعدُّ من جديد . . .

أخطاء

« . . . لقد تركتُ ورائي أسماً مشرّفاً

حسنً . . . لقد كلفني ذلك حياةً من الحرمان . . .»

- شاعر مجهول -

إلى أصدقائي في الحماقات : جواد الحطاب ، عبد الرزاق الربيعي ، فضل خلف جبر ، أمل الجبوري ، ودنيا ميخائيل . . . ذكرى السنوات المضاعة . . .

يسمّونها : أخطائي . . .
وأسميها : حماقات شاعر
يشيرون لفوضاي . . .
وينسون أن يشيروا لخطوها الفوضوي على رصيفِ قلبي
يلقون بسناراتهم في مياهي
فلا يصطادونَ سوى كواسجِ أخطائهم الميتةِ
ينبشون رمادَ قصائدي
بحثاً عن أسماءِ اللواتي أحببتُ
فلا يجدون سوَى حرائقِ امرأةٍ واحدةٍ
يحطمون مراياي . . .
فتتناثرُ شظايا ذكرياتي
على مقاعدهم . . .
من يدلّني على مشجبٍ ، أعلّقُ عليه معطفي البالي
. . . وقلبي
لقد تعبتُ من هذا القلب وأريدُ استبدالَهُ الآن . . .
بأيّةِ شجرةٍ . . . أو قرص أسبرين

ضجرتُ منِ معطف حزني الثقيل
أريد أن أهرعَ إلى براري النسيانْ
طليقاً من كلٍ شيء . . .
أمضغُ الصبيّر بفم ملؤهُ الصفيرُ
لكني أرى ذكرياتكِ . . . تتبعني كظلي
آه . . .
أعَرفُ أن ما من قتلٍ في العالم يعادلُ قتلَ قلب
وأعرفُ أيضاً ، أنني بتصديق الآخرين . . . ضيعتُ صدقي . . .!
أيها القلبُ الفوضوي الذي عَبثاً أحاولُ ترتيبَ نبضَهُ وأحلامَهُ وسريرَهُ
مالي أراكَ دائماً . . .
وقفاً كشجرة اليوكالبتوز
أمامَ نافذتهاَ
والمطرُ . . .
- بريدُ الحزن -
يأتي محتشداً . .
برسائل الذين لا يملون عناوينَ حبيباتهم
كلُّ خطأكَ الكبير . . .
أيها القلبُ . . .
إنّكَ حاولتَ أنْ تحبَّ امرأةً واحدةً فقطْ . .

باتجاه النسيان

«سأجلسُ في المقهى ، لأتخذ ، قراراً حولَ حياتي
نعمْ حياتي أنا . . .
لكن ، بحق الشيطان
أهذه حياة . . .
تستَحقُ أنْ يُؤخذَ لها قرار»
يونايبسن - شاعرة دنماركية -

أهربُ من الشوارعِ ، باتجاه النسيانْ
أهربُ من ذكرياتِ أمطارِ يديكِ على نافذةِ قلبي
باتجاه عزلة المقهى
أهربَ منَ البحر : أمواجِ ضفيرتكِ - وأقصدُ -
اضطراب القصيدة
باتجاه رمالِ الندمِ : نسيانكِ - وأقصدُ -
النثرَ اليوميَ
أهربُ من الدقائق التي تنبضُ بك
إلى الساعة العاطلَة ، العقاربِ الواقفةِ على منتصفِ الذبول
أتعبتني الذَكرياتُ
وآنَ لي أن أستريحَ على أيّةِ مصطبةٍ هادئةٍ
كأمير مخلوع
بعيداً عن الأُبهة والشموع وجوقة المنشدين
ماداً خطاي على امتداد الشوارعِ والنسيانْ
الذكرياتُ وحدها التي تَؤلمني أينما حللتُ

الذكرياتُ : بقايا الكرزات
الذكرياتُ : رائحةُ شعركَ في كلِّ الشوارعِ
الذكرياتُ : انكسارُ المطرِ على شرشفي الأصفرِ
الذكرياتُ : رصيفُ الزعلِ
الذكرياتُ : القطارُ الراحلُ جنوباً باتجاه صيف شفتيك
الذكرياتُ : الأغاني الذابلةُ من فرط النعاسِ والبوحِ والانتظارِ
الذكرياتُ : ساعي البريد الذي لا يحملُ رسائلَ إلى أحدٍ
الذكرياتُ : التي ضيعتني تماماً
ذكرياتُ الرماد والخنادقِ والمطرِ الأسودِ
أيتها الذكرياتُ
آنَ لي أنْ أغادرَ مراياك إلى الكتب التي لمْ أقرأها بعدُ
آنَ لي أن ألملمَ شظايا نفسي من الحانات .
وأرجع إلى البيت - كهولتي المبكرة - قبلَ الواحدةِ على الأقل
آنَ لي أن أعيدَ ترتيبَ جنوني كي أصلحَ للنشرِ
آنَ لي أن أشربَ فنجانَ قهوتي الصباحية
بعيداً عن صباحك العاطلِ في المصعد العاطلِ
آنَ لي أن أفتحَ رئتيَ على اتساعِ الغاباتِ
وأطلق عصافيرَ أيامي الباقية
- التي لم يجففها الصيفُ والأقفاصُ والقنابلُ -
بعيداً ، باتجاه الأفقِ والغصونِ البليلة والموسيقى
آن لي أن أحرقَ أوراقي
وأستقيل من هذه الوظيفة الرتيبة
موظف أرشيف في متحفَ الذكريات
أجمع الصورَ القديمةَ وطوابعَ الأحزانِ والأسماءَ التي انقرضتْ
لن أنتظرَ سنَّ التقاعدِ - كما يفعلُ الآخرون -

ففي صدري رجلٌ فوضويٌّ
لا يحب غرفَ الأضابير الصفراء
ولا يطيق رائحةَ أدوية التَحنيط
وداعاً أيتها الذكرياتَ المحنَّطة

قلبي.. زهرة عباد

«قالتْ قطعةُ الجليدِ وقد مسَّها أولُ أشعة الشمسِ في مستهلِ الربيع :
- أنا أحبُّ ، وأذوبُ ، وليسَ لي أن أحَبَّ وأنْ أوجدَ معاً . إذنْ لا بدَّ من الاختيارِ ، بين أمرين : وجودٍ دون حبٍّ وهذا هو الشتاءُ القارسُ ، أو حب دون وجودٍ ، وذلك هو الموتُ في مطلعِ الربيع» .

- شعر روسي قديم -

لا أملكُ خياراً
كقطرة مطر . . .
أتسربُ فيَّ مساماتِ جسدكِ
وإلاّ فأين أمضي؟ . . .
كقطرة مطر . .
أمسحُ الغبارَ والملحَ والخيباتِ
ليورق الزغبُ الذهبيُّ
مغطياً هذا الزبدَ الممتدَّ . . . حتى ركبتيكِ
وإلاّ فأين أورقُ؟
كقطرة مطر
أنقرُ زجاجَ نافذتك
كي لا تستسلمي للشرود
وتنسي كتابي المفتوحَ في حضنكِ
وإلاّ بماذا تفكرين؟
كقطرة مطر
أشتاقُ إلى صيفِ شفتيكِ

ولكنك تخافين عبثَ المطرِ ، وجنونَ الشعراءِ ، ورحيلَ القطاراتِ
وإلاّ فلمَاذا تتهربين مني؟
لا أملكُ خياراً
الكتابةُ لحلِ ديوني ، والقصيدةُ لزيادة شجوني
وبينهما ، سأضيّعُ الكثيرَ من سنواتيَ عبثاً
من أجلِ وجبة كلمات في حانة تملؤها الفئرانْ
أنت ، أيتها الجَالسةُ بهدوء
تنظَرين من خللِ زجاجِ اللاّمبالاة
إلى شوارعِ قلبي وهي تضجُّ بزحامِ الناسِ والهمومِ والباصاتِ
سأنقرُ زجاجَ وحدتك
وأدعوكِ إلى التسكعِ معي تحتَ شمسِ الحياةِ الدافئة

*

لا أملكُ خياراً
فأنت . . .
تتربعين على عرشِ مملكة قصائدي
تفتحين خزائنَ الكَلماتِ
تنتقين ما يروقُ لك
ثم تخرجين . . إلىَ الشوارعِ
مزهوةً بين الأخريات
بلآليء الحروف التيَ تطوّقُ جيدكِ المرمري
وحشد أيائلِ القَصائد التي تتبعُ رائحةَ سنابلِ شعركِ الطويلِ
تختارينَ القاَموس الذَي يناسبُ جمالكِ الفاضَح
ثمَّ - بلا مبالاة -
تضرمين الحرائقَ في أكداسِ اللغةِ
ماذا أفعلُ إذنْ . . .

- حين ترحلين عني غداً -
برماد الكلماتِ . . .
الذيَ تخلّفينهُ وراءكِ . . .

*

لا أملكُ خياراً
إلا ببقائك
وإلا ماذا ستَجدُ من تأتي . . . بعد غيابكِ
غير كرسيٍّ مكسورٍ
هو قلبي . . .
ومملكة من الخرابِ . . . هي أيامي
وشوارعَ بلا فرحٍ
ولا لغة
ولا ذكرّيات
هي كلماتيً . . .

*

لا أملكُ خياراً
أنتِ شمسٌ . . .
شمَسٌ . . .
شمسٌ . . .
وقلبي . . .
آه . . .
قلَبي . . . زهرةُ عبادٍ مجنونة

حياتك ، ورقةٌ بيضاء مدرسية . . .
تعبقُ بالترف الناصعِ ورائحة الليمونِ . . .
وحياتي ، مسودةٌ لقصائد شاعرٍ مخمور
تركها على الرصيف ، ومضى يبحثُ عن حلمٍ لليلةٍ واحدةٍ فقطْ
أو عشاء لليلة واحدةَ فقطْ . . .
أحلامكً مرتّبَةٌ على الشرشفِ المطرز بالنمنمات
وأحلامي سريرٌ من الفوضى . . . مبقّعٌ بزهورِ الرغباتِ الذابلةِ
وجهك مرآةٌ . . .
(كيفَ لَمْ أنتبهْ إلى شحوبي وأنا أتطلعُ
إلى وجهي عندما كنتِ تجلسين إلى جانبي؟)
ووجهي طاولةٌ . . .
(كيف لمْ تنتبهي إلى هذا الإنحرافِ البسيطِ في مزاجِ قلمكِ الطويلِ
الأهيف
وأنت تكتبين واجبكِ المدرسي مثلما تكتبين رسائلكِ الغراميةَ)
حزنكَ ، غيمةٌ صيفَ عابرةٌ
(مرَّ عشرون صيفاً على عشب عمرك
وأنت لَمْ تجربَي البحرَ . .
قولي ، متى ستذوقين جنونَ الموجِ؟
متى ستذوقين لسعَ الرمال؟
إذا كنت تخافين أنْ يبتلَ ذيلُ فستانكِ
بدموعِ البَحرِ!)
وحزني ، أشجارٌ هرمةٌ

تمدُّ جذورها عميقاً . . .
في رماد الذكرياتِ والثكناتِ والدروبِ المعتمةِ
أيامك ، كريستالٌ ، ومجلاتُ أزياء ،
وهاتفٌ معطرٌ ، يرنُّ طويلاً ثمَّ يسكتُ . . . ،
ومظلةٌ للمطرِ وللحبِّ أحياناً
وأيامي ، ورقٌ . . . ورقٌ (ليسَ مغلفاً بالسليفون) :
ورقةٌ لقائمة الكهرباء التي لمْ أسددها بعدُ
ورقةٌ لنقلِ وَظيفتي إلَى دائرةٍ أخرى
ورقةٌ للمحاسب
ورقةٌ للفتاة العابَرة
ورقةٌ للغشِ فيالإمَتحانَ
ورقةٌ للقصيدة العنيدةِ
ورقةٌ للتمزيقِ
ورقةٌ للبكاء
ورقةٌ للـ . . .
قولي :
ماذا أفعلُ لهذه الفوضى التي يسمونها - تجاوزاً - حياتي
وأسميها - مضطراً - حماقاتي
أنت . . . لمْ تجربي ذلك
لمْ تَجربي أيَّ شيءٍ
لم تجربي
سوى :
تستيقظين في السابعة إلا ربعاً (صباحَ الخير بالقشطة)
وتهبطين المصعدَ في الثالثة ظهراً (حقيبتكِ فارغةٌ من الساندويجةِ الصغيرةِ ورسائلِ الحبِّ . . .)

لذا تسرعين قليلاً إلى البيت بحجة التعب ، وتنامين على فلمِ السهرةِ
(أحياناً يمتدُ فيلمُ السهرةِ إلى منتصَفِ نعَاسكِ أو يمتدُّ نعاسَكِ إلى
منتصف الفيلمِ أو . . .)
فتغلقينَ جنفيكِ الوديعين على فراغٍ أبيضٍ
ماذا ستكون حياَتكِ
بلا قصائد . . .
ماذا ستكون حياتك . . . بلا حماقاتٍ
ماذا ستكون حياتكَ بلا ذكرياتٍ
أما أنا . . .
فسأكتفي من كلٍّ حياتكَ
بقطعة من الشيكولاتا . . .
ألتهمهاً على عجلٍ
وأقولُ :
آه . . . لقد عشتُ معكِ . . .
أجَملَ الذكرياتِ

المدينة

وداعاً أيتها المدينةُ ، هل ينبغي أن نضيفَ شارعاً آخرَ كي تطولَ أحلامنَا أو خطواتنا؟ هلْ ينبغِي أن نبكيِ كثيراً كيِ تتفجرَ نوافيرك فيِ الساحات؟ هلْ ينبغي أنْ نجوعِ كيِ نعشقَ الأشجارَ والفتيات والوظَيفة وواجهاتَ المطاعمِ؟ هلِ ينبغيِ أنْ نقرأَ كثيراً وندخنَ كثَيراً وتظهرَ صورنُا فيَ الجرائدَ كثيراً كي نكونَ شعراءَ مشهورين؟ هل ينبغي أن نثرثرَ في المقاهي عَن سان جون بيرس وأنسي الحاج كي يتهمنا النقادُ بالحداثة؟ هل ينبغي أن نبقى قرويين أمام الفتيات ، نحدّق ببنطلوناتَهن القصيرة الضيقة وننسىِ أمام فاتورة النادل كَمْ ستزداد ديوننا آخرَ الشهرِ؟ هلَ ينبغي أَن نراوغَ أحزاننا فيَ الأرصفَة المكتظة ، مرتبكيِن أمامَ مرَايا المحلات والنساء كي لا تشنقنا ربطَةُ العنقَ المستعارةُ؟ هل ينبغِي أن نهذّبَ كثيراً من شراسة كتاباتنا كي تكونَ لائقةً للنشرِ أو نهذّبَ كثيراً من شراسةِ أحزاننا كَي نكون لائقين أمامَ الآخرين؟

هل ينبغي هذا؟ أو هل أحتاجُ إلى أن أعلّقَ قلبي كالساعة عليِ حائط الغرفة كيِ لا ترين شروخِ الذكريات ، بينما يتأرجحُ رَقاصِ الألمِ ذَارعاً فضَاءَ حبك ، جيئةً وذهاباً ، مثَلما أنا أتخطى سكونَ الغرفةِ محدّقاً بهذا الشحَرور الأصفر وهو يتأرجُ علىِ الغصن ، بينما أنا أذرعُ أَرضَ الغرفة الضيقة ، جَيئةً وذَهاباً ، تماماً مثلَ حركةَ الرقاصِ [تسمينه القلقَ ، وَأسميهَ قلبيِ] . . لماذا لا أديرُ وجهي عَن المدينةَ ، عن الأزقة التي أورثتني السلَّ ورائحةَ الباقلاء ، عن علبة الصفيحِ والدخانِ وَالإعلاناتِ . . لماذا لا أغادرُ صحفَ المَدينة والعمارَاتِ التي

لا تكفُّ عن التناسلِ . . إلى مروجِ القصيدة . هناك حيث أنت بثوبك الطفولي الأصفرِ تمشين حافيةً على عشَبِ أحلامي بينَما تحومُ الفراشاتُ حولَ شَعركِ الطويلِ وهو ينسكبُ إلَى النهر . أنحني على الضفة لألملمهُ فلا أرىَ غيرَ تقَافز الأسماك وهي تلبطُ بين الظلال والطميَ ، وحيثُ القرويات يحملن جرارَ الماء ويتكسّرن بغنج مثير . . كيف لا تدركين من طول تحديقي في وجهكَ أنني رجلٌ أبحَثُ عَن القرى التي نسيتها في كراسات طفولتيِ . هاَ أنني أشمُّ عبقَ الحنطة في حقول يديك المرتبكتين . أتأملُ قوسَ حاجبك وهو ينحني على النهرِ كالجَسر ، حَيثُ تعبر أحلامي إلى الضفة الأخَرى من عينيك . . هل تَراني سأَكفُّ عن التحديق فيِ عينيكَ كي لا يربكك الرجَلِ الذي في داخلي ، وأقصدُ الشحرور أو الغيمَةَ . الشحرور الذَي تركَ الغاباتِ وانزوى في قفصك ، معطلاً عن الغناء والأحلامِ والمطر . وهلِ ستكفّيَن عن التحديقِ فيَ غيومي ، وأقصدُ عَيوني ، كي لا تَنكسر خيوطُ المطرِ على رصيفكَ . . أنا رجلٌ من دموع وشوارع . هل أقولُ لك كوني أقلَّ روعةً ، لأكونَ أقلَّ جنوناً . هل أقَولُ لك أن كلَّ ما فيَ حياتي من فوضى وأخطاء ونرجسِ هي بسببك . بسَبب هذا الخيط الرفيعِ من الألمِ الذي يفصلُ شفتيَ عن شفتيَك . . وأَقصدُ خيطَ التأوه وهو ينفلتُ من أصابعنا المتشابكة ، ماراً بكلِّ الينابيعِ والحقول والنعَاسِ باتجاه القصيدة ، وأقصدُ نعاسَك على حافة الكرسيِ وقدَ تعبت مَن التحَديقِ في شَوارعِ المدينة ، وأقَصدُ وجهيَ . . وداعاً أيتها المدينةُ ، لنَ نضيفَ شارعاً آخر ولا حزناً جديداً ، ولا حباً ولا مجداً ، ولا عمارات ولا باصات ، ولا موظفين ولا أشجاراً ولا ذباباً ، ولا أحلاماً ولا بنّوكاً ولا . . ولّا . . يكفي أننا زرعنا شوارعك بحماقاتنا ، ورجعنا إلى قرى الطفولة منكسرين كأشجارِ الصفصافِ الَتي سحقتها السرفاتُ الثقيلةُ وهي تعبرنا إلى الحرب . .

بلا ذكرياتك.. ماذا أفعل بقلبي؟

«أما آن لهذه الأوجاعِ القديمة أن تثمرَ
ذلك أنه ما من هدأة في أيِّ مكان . .»
- ريلكه -

حُمّى ، تتصاعدُ كالحُمّى ، وأنتِ في تلافيف الذاكرة أيضاً ، تجلسين
في صالة الألمِ ، متصالبةَ الساقين ، تجسّين عروقي المتنافرةِ ، كطبيبٍ
أرستقراطيٍّ مبتديء
تنبضُ شرايينُ تأريخٍ خيباتي ، كلها ، بين أصابعكِ الرقيقةِ كالحلوى
فترتعشين من الحُمى ، تذعرين . .
لا العقاقيرُ ، ولا العذّالُ ، ولا النومُ قبل الواحدةِ ، يطفيءُ هذهِ الكرةَ
الملتهبةَ التي يسمونها رأسي . .
حُمّى ، حمى ، حُمّى تتصاعدُ ، كنوافير الساحات المكتظّة
تختلطُ الأشياء أمامَ عيني المضببتين ، فلا أكادُ أميّزُ :
بين كريستال صالة العرضِ ، وقوامك الأهيف
بين شعركِ الطويلِ ، وضفيرةِ اللبلابِ المتسلّقِ
بين قلبي ، وهذه الفوضى
آه ، مَنْ يوقفُ أمطارَ الألمِ التي تنقرُ زجاجَ رأسي منذ الصباحِ
شوارعي مبلّلةٌ وروحي أيضاً . .
وأنت ، تحت مظلتك الفاخرة ،
تعبرينَ أرصفةَ الذكريات - بلا مبالاة -
سوى بعضِ الارتباكِ الخفي الذي يشوبُ خطواتكِ المسرعةَ
كلما تعثّرتِ بحجر آهة أو ببركة دمع
ماذا أفعلُ بهذا القلب ، بدون ذكرياتكِ؟
ماذا أفعلُ - قولي - بهذا الرأسِ بدون حُمّاكِ؟

بدون هذه الحُمّى فقط
الكتابةُ الرَائعةُ ، حُمّى
نظراتك ، حمى
والشوارعُ أيضاً ، كرةٌ من الحمى تتدحرجُ على الإسفلتِ
وأنت
ألا تخَشين حُمّى كتاباتي
ألا تخشين جنونَ حُمّى ولعي بعناقيدِ شفتيكِ التي لمْ تنفرطْ بعدُ
مَنْ دلّك على ولعي ، فالتصقت به
ألا تخشَين أن يصبحَ أسمك - ذاتَ يوم - فضيحةً
على لسان عجائز الأقة ، وأكَشاك الصحفً ، ودفاترِ يوميات التلميذات السرية ، وطاولات النقدَ والخمرةَ في ناديَ الأدباء ، وحدائقَ الياسمينَ النمّامَ ، والطبعاَت التَجارية لَكتب رسائلِ الحبِّ والغرامِ ، وغمزِ صديقاتك ، وغيرة الَشوارعِ ، وتصاعد الحُمّى
حُمّى منَ الهذيانَ ، صاعداً أو نازلاً
في فراغِ الورقة
ماذا أفعلُ بكلَ قصائدي إليكِ
عندما ترحلين . .
ماذا أفعلُ سوى أن أحملَ جثمانها الساكن
وأشيّعها - بالدموعِ والندمِ - إلى مقبرةِ دولابي
لا الخلود يستفزني ، ولا مقالات النقدَ المدبجة ، ولا دبق الإعجاب
ضحكةٌ واحدةٌ منكِ ، آهةٌ واحدةٌ ، توقفٌ عفويٌّ عند فاصلةٍ كان يكفيني . .
كان يستفزني لأنْ أكتبَ وأكتبَ - بلا توقفٍ -
منتشياً بهذه الحُمّى . .

رماد الصدفة

«حسناً ، سأخرجُ من وحدتي
لكن ،
إلى أين؟»
- أدونيس -

إلى أين ترحلين . .
يتبعكِ بكاءُ الشوارعِ ، وغربةُ القدّاحِ الأبيضِ
وندمُ روحي . .
إلى أين تهربين . . من قصائدي
وهي تلاحقك في كلٍّ مكان
إلى أين تمضينَ بشعركِ الطويلِ
بعيداً عن فوضى أصابعي
كيف تكحّلين رموشَ عينيكِ الواسعتين
بلا مرايا عيوني
وكيف تطفئين ضوءَ غرفتك . . ، لتنامي
ونجومُ آهاتي - على شباككَ - لمْ تنمْ بعدُ
ماذا سأقولُ للشوارعِ ، حين تَسألني ، غداً ،
عن حفيف خطواتك
ماذا سأقولُ لذكرياتيَ ، حين تبكيك في منتصف الليالي الموحشةِ
ماذا سأقولُ للمصطبات ، حين ترى ظَلي وحيداً
متكئاً على شيخوخة اليوكالبتوس
يتأملُ تساقط أوراق الخريف
ويحصي كمْ بقي له : من الأحلامِ والسنواتِ والبكاءِ . . .
سأحملُ هذهِ الحرقةَ التي تتركينها ،

وأجوبُ المدنَ (إلى أينِ أمضي بذكرياتكِ؟)
أجوبُ البارات (عمَنْ يطفئني؟)
أسائلُ العرّافاتَ (عن سرٍّ رمادك الذي يتوهجُ؟)
أبوحُ للأصدقاءَ (لنْ أكابرَ هذه المَرة)
أتعلّق بالبريد (لَا عنوان لجنونك وحزني)
ألاحقُ الباصَات (مقعدك فارغٌ أبدا)
أتفرسُ في وجوِه الفتياَتِ (كلهنَّ يحملنَ ملامحكِ، ولكنْ أينَ أنت؟) . .
أعرفَُ أننا، ربما سنلتقي - ذات يوم -
أجل سنلتقي ذاتَ يومٍ
هكذا مصادفةً . .
هكذا بكل برود المصادفات، وبكلِ هولها وجنونها
مصادفةً (سأقولُ: لك أنَّ اَلحياة . . . .
صدَفةٌ كبيرةٌ
صدفةٌ غبيةٌ
صدفةٌ رائعةٌ
صدفةٌ لا معقولةٌ
إياكِ أنْ تفكري بها بعقلٍ يا مجنونتي!)
ربما سَنلتقي . .
في مصعد مزدحمٍ أو فارغٍ إلاّ من وجيبِ أنفاسنا المتلاطمةِ
وأنت تصعَّدين باصَ الحبِّ
وأنا أَنزلُ . .
وأنت تفتشين عن رقمٍ كرسيكِ
في قاعة المسرحِ المظلمة
وأنا أفتشُ عن رقمِ ضياَعي

وأنت تستعيرينِ كتابي من موظفةِ المكتبةِ
وأنا اَستعيرُ نظرةً منك
وراءَ زجاجِ الزعلِ المضبَّبِ
. . . .

. . . .
أعرفُ أننا سنلتقي - ذات يوم -
مثلما افترقنا ، صدفةً في صدفةٍ في صدفةٍ
ولكن بعد كلٍّ هذا الغيابِ
بعد كلٍّ نوافيرِ الحرقة المتفجَرة فيِ أحواضِ بكائي
أقادرُ أنا - ثانيَةً - أنَ أمسكَ لجامَ قلبي الصاهلِ
في براري حبكِ الشاسعة

ألوان

«ما علي إذا لم يكن لي صولجان

أليسَ لي قلم»

- فولتير -

«وكنتُ أنا نائمة ، على جنبي الأيمن

أصغي إلى خفقِ دمكَ الجواب - قرب عنقي ،

عنق المرأة العارية . .»

- سان جون بيرس -

كلماتُك . .

آه . . . كلماتك

أحالتْ صَباحي المندّىَ إلى غابة من نوافذ ومطر من شوارعٍ مغسولةٍ ، وحنينٍ من أصابع ، تتلمّسُ لأولِ مَرةٍ نبضَ الأشياَء . .

كلماتكِ . . كلمات . .

ماجدوى العالم بلا ارتعاشِ كلمة

ما جدوى العالم بلا أنفاسَ امرأة

ما جدوى العالمِ بلا نسغ ، وأمطار ، وعيون سود ، وأرصفة ، وقمر مسافر ، ونوافذ للياسمينِ المُشاغبِ ،ًوكتبٍ ممًنوعةً ، وأحزانً ، وعشبٌ أزرقً ، ويديك

هل أقولُ شكراً عَلى أزهارِ كلماتَك التي تفتحتْ في طريقي الصباحي

(ما زالتْ أنفاسها العطرةَ الندية تَعبقُ بين جدرانِ غرفتي حتى هذه الساعة المتأخرة من منتصف أرقي)

آه ، يا سيدتي . . منذ متى وَأنا أتطلعُ إلى نظراتكِ من وراءِ الزجاجِ : عيًنان حزينتان تدعوانني . .

تحيلان تأريخي إلى شظايا
وقصائدي إلى رماد . . .
منذُ متى لمْ أنتبهْ إلَى رذاذِ شعركِ . .
وهو يشاكسُ عزلتي
ماذا أفعلُ . .؟
إنني مرتبكٌ ، أحاولُ أن أُلملمَ شظايا ذكرياتي فتدمى أصابعي . .
فأفشلُ . .
أحاولُ أنْ المَلمَ شرودي من بين يديك . .
فتتسربُ الأحلامُ والكلماتُ من ثقوبٍ ذاكرتي المنخوبة
إلى حيثُ تمتدُ الشوارعُ . . ضياعاً أسودَ ، وخطى من دخَان
إلى حيثُ يمتدُ قلبي . . رفوفاً من أوراقٍ وغبارٍ وبنفسجٍ ذابلٍ
إلى حيثُ يمتد غيابك . .
مطراً من حنينٍ وغربةٍ وبكاءِ أرصفة
إنني مرتبكٌ . .
فساعديني على النسيانِ
إنني ضجر . .
فساعديني على البوحِ
إنني وحيد . .
فساعديني على القصائد
ساعديني لأخرج من عزلتي وذكرياتي المشظاةِ على كلِّ المصطباتِ . .
إلى حقول ذكرياتك الممرعة
ساعديني لَأخرج مَن صمتيٍ . . إلى بلاغةِ جسدكِ
اكتبي لي . . اكتبي لي كلَّ شيءٍ . .
اكتبي لي . .
ياه . . . . . .

منذ متى لم تكتبي . . .
منذ متى لم تمارسي جنونَ الركضِ
حافيةَ القدمينِ والقلبِ
على رمَالِ البحرِ
وأمواَجِ الكَلمات
منذ متى لم تتعري أمام مرايا الورقة
منذ متى لم تكتشفي أنوثتكِ الصارخة
منذ متى لم تشعلي النارَ
في أدغالِ أيامكِ اليابسةِ ، الرتيبةِ ، المتكررةِ
وتخرجي . .
إلى حيث حقول عبادِ الشمسِ والقصائد

محاولات...

أحاولُ أن لا أتذكرك هذا اليوم
فتغافلني ذاكرتي وتَسلّلُ - خفيةً كصبيٍّ مذنبٍ -
. . . إلى حيث تجلسينَ لصقَ نافذة القلبَ
تحصين الدقات المرسومَ عليها أسمكِ . . .
وتحدقين بالمطر
مطر حبي وهوَ يبلّلُ ذاكرةَ الزجاجِ الأصفرِ، والشوارعَ
الهاربةَ، وضفيرتكِ الطويلةَ، والحافلات الّتي هرمت مثلي
من طولِ التسكّعِ
. . . .

. . . .
أحاولُ أنْ أغيّرَ شكلَ كتاباتي
فتتمردُ عليَّ أصابعي
وتقفزُ - كأولاد مشاكسين -
فوق سياجِ حدائقِ شعرك
لتقطف اللوزَ والقصائدَ والفوضى
وتكتب أسمك على لحاء جذوعِ الشجِ
ترى كيف تبدوَ الحدائقُ بلا أسمكِ
كيف تبدو الشوارعُ بلا ذكرياتكِ
وماذا أفعلُ بأصابعي . . .
بلا شعركِ الطويلِ
إنني الوحيدُ
الذي له الحقُ في التغزلِ بأسمكِ - علناً -

في الشوارعِ وساحات المدارسِ والمظاهرات
ودواوين الشعرِ والحانَاتِ والحدَائقِ العامةَ
فكيف لا تكونَين مغرورةً
أمام الأخريات . . .
كيف لا يتهمونَك بالغرور
وقد جعلتُ أسمكِ على كَلٍّ لسانٍ
. . . .

. . . .
أحاولُ أن استريحَ - لدقائق -
من حبك
فيغافلني قَلبي
ويهرعُ إلى براريك الشاسعةَ
كحصان مجنون ضَجر
قلبي مجنونٌ أكثرَ مما يَجبُ
شرسٌ وضجِرٌ وجامحٌ
وأنا شاعرٌ
لا يجيدُ ترويضَ قلبهِ

إلى زهرة الياسمين ... رجاءً

«بكِ كثافةُ الوردةِ
في ذبولها . . .»
- رينيه شار -

(1)

قلتُ لزهرةِ الياسمين :
من أينَ لكَ كلّ هذه الطاقة على العبق
وأنتِ محاطَةٌ بالشوكِ من كَلٍّ جهاتِ القَلبِ الأربعِ
ابتسمَتْ . . .
وأشارتْ إلى ما تحت أوراقها البيض
كانتْ ثمة ندوب كثيرة تضرّجُ جسدَها الغضَّ
لا بأس . . .
ما دام هنالك عاشقان
على ظهر الأرض
أو فراشتاَنِ في الأثيرِ
فسأتفتحُ

(2)

قلتُ لقلبي :
من أينَ لك هذه الطاقة على الحنينِ
وأنتَ مشظّى على كلٍّ الدروبِ
نظرَ لي بانكسار :
ـ أيها الشاعرُ الحَزينُ
ماذا أفعلُ؟
إذا كنتَ لا تتوقف عن الحبِّ

(3)

قلتُ لعينيها :

يا أجملَ عينينِ على الإطلاق

من أين لكِ كلّ هذا الكحلِ

ابتسمتْ بغنج عذبٍ :

- من سحرِ قصائدكَ

قلتُ للقصائَد :

ـ من أين لكِ كلّ هذه العذوبة

قالتْ بدلال أيضاً :

ـ من سحرِ عينيها

(4)

قلتُ لها :

مالي كلما رأيتك من بعيد

أرتعشتْ أزهارُ التَوقِ على كُمِّ قميصكِ

وأحسستُ بفراشاتَ دمي ترتعشُ

وهي تحومُ حولَ تويجات صدرك المشرئبة

مالي كلما عبرني حفيفُ ضفيرَتك الطوَيلة

. . .علىَ الرصيفِ

تساقطَ مطرُ قلبي

على كلِّ الأرصفةِ

(1)

قالتْ : لماذا تجلسُ هكذا تحدّقُ في أمواجِ النهرِ
وتنسى المدينةَ؟
قلتُ لها : ذلكَ لكي أجمعَ أمواجَ النهرِ الغاربةَ
وأطرحها من حياتي
قالتْ : ولماذا تجلسُ هكذا تحدّقُ في عيني - ساعاتٍ طويلةً - وتنسى العالم؟
قلتُ لها : . . . .
ماذا قلتُ لها؟
لمْ أقلْ لها شيئاً . . .
لم أقلْ لها أي شيء
لم أقلْ . . .
لم . . .
كنتُ أغوصُ في قاعِ عينيها الساحرتين
رويداً
رويداً
. . . وأتلاشى

(2)

قلتُ :
قميصك غابةُ فرحٍ وياسمين وموسيقى
وقميصيَ نهرٌ جفَّ
تفتحين أولَ الأزرارِ

فيساقط المطرُ دافقاً ، حنيناً ، مرتعشاً
على زجاجِ النافذةِ
أفتحُ أولَ الأزرار
فتساقط العصافيرُ الميتةُ
على سريري

(3)
قالتْ :
لماذا تجلسُ – أيها الشاعرُ ساعاتٍ طويلةً
تتأملُ الورقةَ
ولا تلتفت لي . . .
ما هذا؟!
هل قلبُكَ حبرٌ

(4)
قلتُ :
أيها المعبدُ
ألتجيءُ إليكَ
بشموعي وأخطائي
فلماذا قبلتَ شموعي
أشعلتها لتنير جدرانَ عزلتك
وتركتَ أخطائي
في العراءِ
تنتحبُ مِن البردِ
والانكسارِ

أسبلتْ رمشَها الأسودَ
واستسلمتْ - ملتذةً - لحلمها
(راقبتُ انكسارَ شفقِ الشرودِ على شحوبِ وجنتيها
راقبتُ وجيبَ أصابعهَا على خطوطِ الطاولةِ المتعرجةِ
راقبتُ . . .)
انتبهتْ فجأةً لضياعي في شوارعِ عينيها الممطرتينِ
بلا مظلة ولا هدف . . .
إلى أين أمضي بقلقي هذا؟
كعلامةِ استفهامٍ حائرة
ولا جملةً على الورق
(لماذا هذا الشرودُ المستمرُ الذي أضبطهُ
متلبساً به كلما أقتربَ مني . . .؟)
ما الذي أبغي أنا ،
وحيداً
أمام هذا المدِّ الأسودِ الشاسعِ
أمواج سوداءُ ، سوداءُ
تتلاطمُ ولا قاعَ
تمتدُّ ولا سواحلَ
تسيحُ ولا كحلَ
لا نهايات حيثُ تهيمُ النظراتُ ، حيث تغرقُ الأحلامُ ، حيث ينتهي
بياضُ العالمِ البليد
سوداء ، سوداء

أشد كثافةً من الليلِ ، وأندى من هذا الفاحمِ المسبلِ على كتفيكِ . . .
لا سواحل . .
الجروفُ يأكلها زعلُ الأمواجِ
وأنا حزينٌ بلا زورقٍ ولا قصيدةٍ ولا مظلةٍ
وحيدٌ كربان فقدَ بوصلتَهُ
ظاميءٌ كغريقٍ
أتعلّقُ برمشكَ الطويلِ
ناسياً اهتزازه ، صعوداً وهبوطاً
عبثاً أتشبّثُ بزوارق الذكرياتِ المثقوبةِ
عبثاً أتشبّثُ بعروقَ الكلماتَ
عبثاً أتشبّثُ برمشكَ الأسودَ المضطربِ
أمواجٌ سوداء ، سوداءَ . . .
تتلاطمُ ، تصطخبُ . . ثم تهدأُ . . .
تاركةً زبدَ الحنين
يغسلُ الرمالَ وصخورَ الأماني والنسيان
زبدٌ ، زبدٌ ، هو كلُّ ما سيبقى لكَ
هو كلُّ ما ستحصدهُ من حديقة السراب
التي جلستَ على بابها - ذاتَ يومٍ - تنتظرُ الياسمينَ والأشرعةَ
زبدٌ ، زبدٌ ، يالمواعيدها
زبدٌ ، زبدٌ ، كأحلامكَ المشرّدة
تحتَ شرفة عينيهاَ السوداوين
زبد ، زبد ، كلُّ ما بقي بين يديكَ . . .
أما مياه البحرِ فقد تسربتْ من بين أصابعكَ إلى الأبد
لا شيء غيرَ الزبد
زبد ، زبد

مَنْ قصَّ شعرَها الطويل..؟

كانتْ لي في طفولتي دميةٌ
سرقوها قبلَ أن تتعلمَ النطقَ
وتلعبَ معي
وكان لي في صِباي حقلٌ ذهبيٌّ من سنابل
قطعوا عنه ماءَ النهرِ
وحبسوا الغيم
فاستعنتُ بدموعي
قالوا لي : لا تبكِ . . . الرجالُ لا يبكون!
فماتت السنابلُ
وتفتّتتْ حباتُ القمحِ على بياضِ دفاتري
قبلَ أن تنضج
فعوضوني عنها بكتبِ الجغرافيا المدرسيةِ
وصورِ الحقولِ

وعندما كبرتُ
أصبحتْ لي حبيبةٌ بشعرٍ طويل وشرائط بيض
لكنهم قصّوا ضفائرها قبلَ أن تكتملَ قصيدتي
وشنقوا بشرائطها فرحي الصغير
وها أنا الآن
أحسُّ بالغصّة كلما مررتُ
أمام محلاتِ الألعابِ
والضفائرِ الطويلةِ

وحقولِ القمحِ

*

كان لي حلمٌ صغيرٌ

ببيت صغير ، ومكتبةٍ ، وشرفةٍ تظللها أوراقُ البرتقالِ والأملُ

فالتهمَهُ المؤجِّرُ الشرهُ

ها هو كرشُهُ يزدادُ كلَّ يومٍ . . .

وها هو نحولي يزدادُ كلَّ يومٍ . . .

*

كان لي أبٌ

سرقهُ سريرُ المستشفى

فلمْ أعدْ أتذكرُ من ملامحهِ

سوى برود الطبيبات

وهن يتحدَثن لطفولتَي عن رئتيهِ

اللتين نخرهما السلُ والفقرُ

بعد عشرين عاماً

أدركتُ لماذا كنَّ يتحدثن ببرودٍ

*

كان لي رصيفٌ للتسكّعِ

وآخر للحبٍّ . . .

وآخر للبحث عن عمل

أصبح لي رصَيفٌ وحيدٌ ، ضيقٌ

يمتدُ بي - كلّ يومٍ - من البيتِ إلى الوظيفةِ

*

كانتْ لي غيمةٌ ماطرةٌ

تسمى القصيدة

عندما لمْ تجدْ أرضاً تؤويها
هاجرتْ
وتركتني وحيداً
على عراءِ النثرِ

عناءات..

إلى رجل غبي يسمى قلبي!

متى أستريحُ؟
مَنْ أورثني هذا الحنينَ والبكاءَ والتسكّعَ؟
روحي مدينةٌ مهجورةٌ . . .
تبحثُ عمن يرممها
أديرُ قرصَ الهاتفِ
لا أحدَ . . .
أبعثُ برسائل لا عنوانَ لأصحابها
أطرقُ أبوابَ الصحف
لا قصيدةَ عندي تصلَحُ للنشرِ
ماذا أفعلُ . . .
كي أوقفَ زحفَ الخريفِ على مساحةِ الخضرةِ المتبقيةِ من عمري؟
ماذا أفعلُ
كي أقنعَ هذا القلبَ اللجوجَ
إنَّ كلَّ ما أفعلهُ بعدكِ حماقات
ماذا أفعلُ . . .
لأقنعَ نفسي أنني لمْ أعدْ بحاجة لبطاقةِ سفرٍ
فكلَّ مدنَ العالمِ جبتُها على الورقِ
شارعاً . . . شارعاً
حتى تهرأتْ أقدامي من المشي في دروبها الطويلة
وأنا ساهمٌ في زاويةِ المقهى

*

متى أستريحُ . . .؟
ما زلتُ - طولَ عمري - مشدوداً لكلِّ شيءٍ
بأسلاكِ الدهشة . . .
مازلتُ ذائباً في قطرة المطر ، وهي تنسابُ في خلايا المدينةِ والشجرِ
وايقاعِ المزاريب
ما زلتُ وحيداً في الدروبِ المزدحمةِ
ضاجاً بك . . .
كلحن ناقص
وشرائطَ حمراءَ لفتاةٍ يتيمةٍ . . .
مررتُ عليكَ . . .
ولمْ أجدكِ
قولي . . .
إلى أين أتجهُ بأحزاني إذن!؟
هكذا اعتدتُ أن أشرعَ نوافذَ رئتي
لرياحِ الدهشةِ التي تأتيني من كلِّ شيءٍ . . .
شاعرٌ أنا . . .
وربما نافورةٌ متفجرةٌ ، في حديقة عامة . . .
أقررُ أن أرسمَ شفتيكِ برعمي خجلٍ
على أغصان أوراقي
وانتظرُ السنوَاتِ ، ليتفتحا لي
غير عابيءٍ بنظراتِ الحارسِ ، ووخزِ الأشواكِ ، وزهورِ المحلاتِ
الإصطناعية
ملتذاً بالرحيقِ . . .
وهو يسيلُ على سياجِ فمي
*

متى أستريحُ؟
ثمة غابات كثيرة
تنتظرُ الرئات القادمة ، التي لمْ يشوهها التدخينُ
ودخانُ الباصاتِ
علي أن أدلكم عليها . . .
أما أنا
فقد أخذتُ هواءً كثيراً
وعلي أن أصفَ كلَّ الغابات التي حلمتُ بها ،
والخنادق الَتي نمتُ فيها
ودخان المقاهي التي . . .!
والشوارع ، والباصات ، والنساءَ والمكتبات ، والأحزان
هكذا علي أن أصفَ لكم كلَّ ما رأيتهُ في حياتي
هكذا . . . بمنتهى العذوبة والندم
مخبّئاً نصفَ ذكرياتي علَى الأقلَ

أيها القلبُ يا صاحبي في الحماقاتِ
يا جرحَ عمري المديد
أنتَ بادلتني الحلمَ بالوهمِ
ثم انحنيت ترتّقُ ظلَّكَ في الطرقات
أنتَ أوصلتني للخراب
وسميتهُ «وطناً»
ثمَّ بيتاً
فنافذةً نصفَ مفتوحةٍ
أنتَ ضيّعتني
ثم ضعتْ

*

غيومٌ بيضاء مسافرة . . .
بلا وطن
عندما تتعبُ من الركضِ حافيةً
على أديمِ السماء الصافيةَ الشاسعةَ
ستجلسُ على دكّةِ نجمةٍ . . .
لتبكي . . .
عندها سيفرحُ الناسُ بقطراتِ المطرِ
يتراكضون على دموعِ الغيم
وهي تبلّلُ عشبَ حياتهم . . .
يا لعشب حياتي
مَنْ يبلّلهُ إذن؟

وأنت لا تَمرين . . .
ولا تَمطرين . . .

*

« . . لستُ ممن يخدعون العالم . أنتمي بأكملي إلى هذا القطيع العظيم الحزين ، قطيع البشر . كافحتُ بذراعيّ الحريق في كل مرّة ، وعرفتُ الخنادقَ والدبابات ، وقلتُ دوماً بلا حذر أسوأ خواطري في وضحِ النهار ، ولمْ أنسحَبْ عندما جاءوا ليبصّقوا في وجهي ، وتقاسمتُ الخبزَ الأسودَ والدمعَ مع الجميع ، أخذتُ نصيبي من المرارة ، وحملتُ حظي من الشقاء ، . . لم تنته هذه الحرب أبداً بالنسبة لي ، ما دامتْ أطرافُ شعبي ممزقةً . . ألصقُ الأذنَ بالأرض ، ما زالتْ تصلُ إليّ تنهداتٌ بعيدةٌ مخيفةٌ تخترقُ لحمَ عالمٍ أصمٍّ . لا أعرف النومَ وإذا أغمضتُ العينَ يوماً ، . . فإلى الأبد . .»

- أراغون -

*

أحبكِ هل تفهمين ذبولي
على زَهرةٍ من حجرْ
وهل تفهمين
- إذا ما فتحتِ المظلةَ لصقَ صديقكِ -
حزنَ المطرْ

*

راكضاً . . .
راكضاً
بين «الحرب» و «السلم»
سقطَ الجندي
وانكسرتْ ساقاه

فظلَّ يتنقلُ بينهما
على عكازيهِ
حتى مات . . .
دون أن يجدً لهما
معنىً محدّداً

*

حط العصفورُ
على شباكي المفتوحِ
وراح يغني
حين رآني ما زلتُ أغطُّ بنومي
صفقَ جنحيهِ
وشتمني
ومضى نحو الغابة

*

يا ربي . . .
قلبُ حبيبي من صخرٍ
فلماذا تخلقُ قلبي
من ورقِ النشاف

- من دفاتري القديمة -

*

«أسير في إثْرك خطوةً ، خطوةً
ألا ترين ذلك!؟
فأني أضيعُ خطوةً ، خطوةً»

- اميليو برادوس -

*

«إنك تتغيرين
لقد تَغيرت كثيراً
لا أجرؤ علَى النظر إليكِ
خوفَ ألا أراكِ»

- هنري باربوس -

البحر صاعداً سلالم المستشفى

صاعداً سلالـمَ المستشفى إلى حيث البحر يطلُّ من الشرفة أبيضَ
ووحيداً بلون الشراشف ، بعينين دامعتين ترنوان إلى المصلِ الذَي يقطرُ
بالذكريات ، قطرةً قطرَةً . . . أو خطوةً خطوةً . . . يصعدُ الأَلـمُ سلالـمَ
نبضي بهدوءِ أسود ، يفتحُ البابَ المؤدي إلى قلبي ، يجلس هناك صالباً
ساقيه على الكرسي الوحيد المتبقي ، يدخن بإفراط في انتظاركِ . .
تفتحين عينيك الناعستين بَتثاقل لذيذ فلا تجدين أحداً . .
. . . الساعةُ الثالثة فجراً ، غادرتِ الممرَّضةُ الخافرةُ إلى سريرها . قرصُ
الأسبرين يغطُّ في شخيره ، والشَوارع أيضاً ، وحدهُ الشاعرُ هائماً وراء
زجاجِ نافذتك يمشّطُ بأنفاسه غابات شعرك المتناثرة على الوسادة ،
ململماً عن شرَشف البحر أزهارَ الزبدَ التي تركها جسدَك في تقلبات
أمواجه . . . ومع هذا يرقبُ زجاجةَ المَصلِ التي نسيتها المَمرضةُ على
وشك النفاذ وغادرتْ . . . أزيحُ الستارةَ عن نافذة الردهة وعلى رؤوسِ
أصابعِ قدميَ أتسلّلُ إلى سريركِ خشيةَ أن اوقظَ المرضَى الراقدين .
أبدّلُ زجاجة المصلِ بقلبي ، وأغادرُ على رؤوسِ أصابعِ قلقي أيضاً . . .
في الصباحِ ، سترتبكُ الممرضةُ وهي ترى إلى دمِ الشاعرِ يتسلقُ أنبوبَ
المصلِ إلى جسدك
يستوقفني المصعَدُ المكتظُ بالزائرين لاهثاً (مَنْ أنتَ؟) يستوقفني
موظفُ الاستعلاماتِ أيضاً (مَنْ أنتَ؟) وكذلك قرصُ الأسبرين (مَن
أنتَ؟)
من أنتَ . . .؟ . .
أشيرُ إلى أنبوبِ المصلِ فيضحكون
أشيرُ إلى البحرِ

فيتّهمونني بالجنون
أشيرُ إلى عبقِ جسدكِ وهو يفضحكِ في الردهاتِ ، فلا يشمّون سوى رائحة الأدوية
أشيرُ إلى . .! إلى ماذا؟
وأسألُ البحرَ : المباضعُ التي تؤلمك أم أظافرُ الآخرين وهي تهش أمواجك (قلبك المائي) ، فيشيرِ إليهم من وراء الصخور بأصابع مبتورة . .
أرجوكم اتركوا البحرَ في عزلته . البحر الذي يتبدّدُ على الرملِ - كلّ يوم - وعلى قمصانكم ، وطاولاتِ الوظيفةِ ، وعقاربِ الوقتِ ، والشوارع ، ومقاعد الباصات . . .
لا تتهموه بالابتذال
افهموا براءةَ الموج ، افهموا حزنَهُ المائي ، أمواجه التي غسلتْ ملوحةَ المدينة وبدّلتها بالأشجار والريحان
وأنت أيتها المدينةُ يا قلباً من الخلِ والصحراء واللافتات ودخان المصانع
لا تتآمري على البحر . ولأقلْ بوضوحٍ أكثَرَ : لا تتآمَري علَى الشعرِ
ينفتحُ البحر على المرايا حيثُ الشاعرُ يجلسُ مخذولاً على الرملَ وقد طردته المدينةُ .
ينفتحُ البحرُ على الموسيقى حيثُ الطبالون بالملابسِ المزركشة يعزفون «بحيرة البجع» بالطبول المثقوبة ، وحيثُ يقفُ رجَلٌ رثٌّ أمامَ بابِ الصالة المحتشدة يدعى جايكوفسكي لا يملكُ تذكرةَ دخول .
ينفتحُ البحرُ علَى الفتياتِ وهن يخبّئن العشاقَ الجددَ تحت أسرةِ النومِ ويذهبن إلى الدوامِ الصباحَي دون أن يختلجَ لهن جفنٌ .
ينفتحُ البحرُ على صالة العمليات حيثُ عيناك تحدقان في المروحة السقفية العاطلة وعشِّ العنكبوت وتنعسان بفعلِ المخدّر شيئاً فشيئاً .
ينفتحُ البَحرُ عليهَم وهم يتبادلون الصفقات والنكاتَ أمام سريركِ الشاحبِ .
ينفتحُ البحرُ على قلبي وهو يذوبُ في الأنبوبةِ قطرةً قطرةً . . . .

أغنية

أنتشي بكركرات طفولتك وهي تتكدّسُ على عشبِ عمري الذابلِ ، بالكريستال الذي يتكسّرُ ، يا امرأةً من ذهب وقمير ودموع . .
أحاولُ لملمةَ هذا البحرَ الذي ينسلُّ من بين أصابعي ، وأغني : شعركَ الطويلَ مذرذراً زبدَهُ وياسمينَهُ على الشوارعِ . . أينما تذهبين ، تفضحك رائحةُ البحرِ وسربُ الفراشاتِ المحلّقة . . والمراكبُ
أنتشي بنعاس عينيكَ على النافذة
أنتشي باسمك ، نافورة موسيقى . .
أنتشي بقمحِ أنوثَتك
بالأغنية التي أرددها دائماً :
«أنا العصفور
وأنت الطفل
إذا لم تستطعْ أن تطلقني
فاترك لي - على الأقل - خيطاً أطولَ . .»
خيطاً من الدموعِ
خيطاً من الذكرياتِ
خيطاً من الأحلامِ
أتعرفين كمْ يعذبني هذا الخيطُ الملتاعُ
الخيطُ النحيلُ - كالآه - الذي يفصلني عن الغابات ومصابيحِ الشوارعِ ، وصخبِ الأصدقاء ، . . .
مالك تمسكين الخيطَ بهدوء ودربة
كأن ليس في نهايته يرتعشُ عصفورٌ أحمقُ مبلّلٌ هو قلبي
مالكِ تذهبين إلى سريرِ نومك وتنسين عبقَ جسدكِ في دمي فلا أنام

مالك تخوضين في الموجِ إلى ركبتيك وتنسين شبقَ الرملِ في شفتي
مالك تغارين من القصائدِ ، وهي مَراياكِ وقناني العطَرِ والكرسيُّ
الخجولُ
هكذا أنت ، لاهية بكلِّ شيء - كطفلِ الأغنيةِ -
ومتدفّقة بالحنين كجسرِ الصرافّية
وحزينة كقوسِ قَزحٍ يتبدَدُ . . .
وأنا لفرط بهائكَ
للجنون الَذي يتَسكّعُ معي في شوارعِ حبك
أحاولَ تدجينَ هذا القلب ليكون أقلَّ شراسَةً وجنوناً
كي لا يخدشَ نعومتك
أعلمه «أتيكيت» الجلوسَ في حضرة جمالك الآسر
كي لا يمدَّ أصابعَهُ إلى شعركِ ويسرقَ نجمةً أوَ برتقالَةً
أحذّره من ترديد أسمك - على الأقل - بين الأشجار والنساء
والصحفِ ، كيَ لا نكونَ - أنتِ وأنا - فضيحةَ العصرِ على
الألسن . . .
لكن هذا القلبَ العاقَ الغريرَ
رغمِ الوصايا
يقعُ في الحماقاتِ نفسها
ماذا أفعلُ؟
إذا كان هذا القلبُ
لا يريدُ أنْ يكبرَ

رحيل

«كنا نتمشى جنباً إلى جنب

ثلاثتنا :

أنا وانوشكا والفراق»

- ناظم حكمت -

اقتربتُ منها
اقتربتُ أكثرَ . . .
وعندما مددتُ كفي لأودّعها . . .
لمْ أجدْ أصابعي
بل عشر شموعٍ - من الحنينِ -
تذوبُ ببطء . . .
قالتْ : سأرحَلُ
لمْ أصدّقْها . . .
قالتْ : إنّي راحلةٌ
لمْ أصدّقْها . . .
وعندما لوّحتْ بكفيها الممطرتين
من وراء نافذة قطارِ الرحيلِ
لمْ أصدّقْها . . .
وهكذا مرتْ ثمانيةُ أعوامٍ على غيابها
وأنا لا أصدّقُها . . .

*

عيناكِ حلوتان وحزينتان
عيناكَ رصيفُ وداع مبلّلَ .
وصمتَكِ يثيرني أكثَرَ

من أيِّ زبد بحرٍ قصيدة خرجتَ
وإلى أيِّ قرَارٍ مجهولٍ ستَرحلين
أيتها المجنونةُ كقلبي . . .
أنا شاعرٌ ، وأقصدُ : رجلاً مهشّماً
وعطركِ مرايا وبوحٌ وانكسارٌ . . .
ماذا أفعَلُ؟
أمامَ صمتك أيتها الشاعرةُ المسكونةُ بالرحيلِ
قلتُ : علّني أزيحُ غمامَ الحزنِ عن رصيفِ شفَتيكِ
فوجدتُ حزني يتشظّى
ويمطرُ قصائدَ وياسمينَ وفوضى
آه . . . أيتها الفاتنةُ
أيهًا الحرفُ الممنوعُ
الحرفُ الموصولُ ، بالقصائد . . . حتى تخوم البحر
الحرفُ الوحيدُ ، . . . حتى ذبول الغروبِ على طاوَلتي
الحرفُ الناحلُ ، . . كشجرةٍ سرقوا أحلامَها
وخلفوها وحيدةً للخريف
ماذا أفعلُ . . .؟
غربتي تذبحني أمامَ أبوابِ العواصمِ المغلقة
ورجالُ الكماركِ لن يفهموا - بالتأكيد - ولَعي بكِ
ولعي المفاجيء المجنون الغريب كزخّةِ مطرٍ
ولعي هذا . . .
كمْ أنا حزينٌ لذلك
كم حزينٌ أنا . . .
كيفَ لمْ أنتبهْ إلى جوازِ سفركِ ، الموقوتِ كلغم

نميمة...

«ولو كان واشٍ باليمامة دارهُ
وداري بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا»
- عروة بن حزام -

لا شتاءَ
لا منفى . . .
سوى لحظاتِ شرودكِ عني
لا مطرَ . . .
سوى هطولِ شعركِ على صحراءِ طاولتي
لا أشجارَ . . .
سوى ما تقولين
لا نجومَ . . .
سوى ما تتركهُ دموعكِ على منديلِ السماءِ الأزرقِ
يا فاتنة . . .
يا حقلَ ياسمينٍ ، ونعاساً ، ولوزاً
يا نميمةً ، وحمامَ «حضرة»
يا قوسَ قزحٍ ، وغابةَ نساء ، وشوارعَ من لذة
يا بجعاً ، ونهارات مشمسةً ، ونعناعاً ، وكذباً أبيضَ
يا حديقةً مرشوشةً ، يا سطحَ صيفٍ ، يا قهوة
يا شفتين منفرجتين بعدَ قبلة
يا كتباً ، وباصات ، وصموناً ساخناً ، وتسكعاً ، وجسراً مقطوعاً
يا ندماً خجولاً ، ويوكالبتوز ، ومئةَ رسالةِ حبٍّ
يا جسداً من تفاح .
يا حباً مرتبكاً لم نَقُلْهُ بعدُ ، وقصائدَ مجنونةً لمْ نكتبْها بعدُ

ومدناً لَمْ نزرْها بعدُ
وكفّين مرتعشتين على طاولةٍ لَمْ تَتلامسا بعدُ
أقولُ لقلبِي النـزق
أن يتوقف عن قرعِ طبولِ الفرحِ لموعدكِ الأزرقِ القادمِ مثل غيمةٍ
خشيةَ أن يوقظَ النميمةَ
أقولُ له أن يكفَّ عن الرقصِ في شوارعِ لمدينةِ
مثلَ عاشق مبتدِيء
خشيةَ أن يعتقلكَ النّاسُ في أقفاصِ عيونهم
فالحبُّ أو الفرحُ امرأةٌ مشبوهةٌ
يشتهيها ويخافها الجميعُ
توقفْ عن الغناءِ
أيها القلبُ
أنكَ بهذا تثيرُ حفيظةَ كلٍّ الذين لا يعرفون الغناء

مطر

«السماءُ تنسربُ مطراً

أنا عالقٌ بأفواهكنّ

أيتها السيداتُ ، يا قلوباً من الخلّ الحادّ»

- الشاعر انطونان أرتو -

(١٨٩٦-١٩٤٨)

الشوارعُ مبلّلةٌ وذكرياتي أيضاً
وأنت على الرصيفِ ، وحدكِ ، بمظلتكِ الملوّنةِ
الشوارعُ نايٌ حزينٌ
وقلبي وحدهُ يصغي لمعزوفةِ خطوكِ المطريِّ
بينما تدثّرت الأشجارُ الهرمَةُ
بشيخوختها الصفراء ، ونثار البرد
وبدأتْ تدخنُ بشراهة أحلامَها الخضراءَ الماضيةَ
وتثرثرُ عن الحشائشِ العاقة ، وزعيق السيارات ،
وأمراضِ الشيخوخةِ ، والبرَد ، وعبثَ عمال الكَهرباء
أتأملُ - على الرصيفَ المقابلِ - ارتجافَ الغصونِ ولاَ مبالاتكِ
وخطى العابرين الهاربةَ من المطرِ . . .
يا للباصِ الذي مرَّ ولمْ يلتفتْ
يا للمطرِ الذي لمْ ينقطعْ عن الغناء والشماتة
يا لقلبيَ الذي لم يجففْ قميصهُ المبلّلَ بكِ
ويالخطاك التي . . .
رنَّ الهاتفُ . . .
- هلو . . .
وتصاعدَ قلبي - فجأةً - كغيمةٍ مجنونةٍ من حنينٍ
- هلو . . . هلو . . .

سرعان ما تناثرتْ إلى شظايا من الكريستالِ المحطّمِ
حين امتدَّ الصمتُ طويلاً
وانطبقت السماعةُ . . .
تحسّستُ الأسلاكَ بين أصابعي المضطربة
كانتْ ساخنةً تنبضُ بقوةٍ كشريانٍ مقطوعٍ للتوِّ . . .
إلى أين أتجهُ بأحزاني
وأنت بعيدةٌ عني
لماذا لَمْ أقلْ لها ذاك
لماذا لا أقولُ لها أن أيامي رمادٌ
وذاكرتي قاربٌ مثقوبٌ
وقلبي مصعدٌ عاطلٌ
لماذا لا أقولُ لها
يا أجملَ عينين على الإطلاق
إنني بلا عينيك لا أستطيعُ أنَ أكتبَ بيتاً واحداً
(- هلو . . .
لمْ تنطبقِ السماعةُ هذه المرة
أمتدَ الصَمتُ طويلاً
أمتد طويلاً جداً
كانتْ تصغي على الخط لصوتِ أنفاسي المتقطّعةِ
وكنتُ أسمعُ على الخطِ الآخرِ
ايقاعَ المطرِ . . . . . .)

سرابٌ أم بحرٌ أم مرآةٌ . . . هذه المرأةُ التي نزفتُ لأجلها أجملَ سنوات عمري على الورق (ما فائدة أن تحتفظي بأوراقي الآن . . . ألاجل أنَ تقولي لصديقاتكَ : كان يحبني هذا الشاعرُ حباً مجنوناً؟) . . . المَرأةُ التي بدّدتني كالرَمل فيٍ قبضة البحر ، وملامة الأصدقاء . . . لك أن تكوني واقعيةً أو منطقَيةً ، تكيلين عواطَفك بالملاعق . . . ولي أن أكَون مجنوناً أسيحُ في الشوارِع كماء المطر . . . لك أنَ تفكري بملايين الأشياء ، ولي أن لا أفكّر إلاّ بكَ . . لكَ أن ترتَبي حياتك كقطعِ الأثاث ، ولي أن أبعثرَ أيامي على الَأرصفةَ والورق والحانات . . .

أكنت تحسبين خطواتك معي إلى حدود عَتبة البيت المؤثّث ، وعندما اكتشَفت أنْ لا بيتَ لي سوى الشوارع ، ولا أثاثَ عندَي سوى القصائد ، ولا كريستالَ سوى الدموع . . . غادرتني إلى أقرب بيت مؤثث ، وقررت أن تكوني منطقيةً ، أن تنفصلَ خطواتنا : أنتَ إلىً دائرة الطابو . . . وأنا إلى دائرة الأحلام . أنت إلى السرير المرتّبَ . . . وأنا إلىِ فوضى المقاهي والكتب والغابات . . . قررت لوحدكَ أن تنفصلَ دموعنا وكرياتِ دمنا ، أن يكون لك بيتٌ ومطَبخٌ وقرَصُ أسبرين . . .

وتركتني لوحدي أواجهُ عواصفَ الذكريات ونصالَ الآخرين بقلبي الأعزل . . . عارياً ويتيماً ووحيداً على ضفةَ البحر ، وقد أحرقتُ كلّ سفنيَ . . . أتلفّتُ إليكِ تلوّحين لي من الضَفة الأخرى وقد رجعتِ بسفنكِ العامرة . . .

أيتها النساءُ ، يا مرايا الخديعةِ ، أيها السرابُ ، يا عرقٌ ومكرٌ وتفاحٌ ، ها

أنني أفتحُ أزرارَ قميصي لرياحكنَّ المتقلّبة غير مبال بالطعنات أو الرماد ، ملتذاً بهذا العبق الذي يذكّرني بغَابات طفولَتي المنسيةَ ، حيثُ أمي تغزلُ أغصانَ الصفصاف والتنويمات ارجَوحةً لمنامي القلقَ ، وحيثُ النايات تفرّقُ الغيومَ في ثقوبها وتسكبَها قريباً من شفتي . . . أنا أنظرُ إلى أبعد من شفتيك . . . أبعد من زهرةِ الجلّنارِ . . . أبعد من الأثاثِ والخريفِ وبائعِ الخضراَواتِ وجسدكِ . . .

أيتها النساءُ ، يا وجعاً دائماً ، ولذةً عابرةً ، يا ضياعاً ، يا شكولاتا ، يا أرصفةً ، يا نعناعاً ، يا حبلَ غسيل ، وبصلاً ، ودلالاً ، وشرشفاً ، يا قارةً ثامنةً أقرب بأنفاسها إلى خط الأستواء أو الجحيم منها إلى قطب قلبك المنجمد . . . يا دولابَ ذكريات وفساَتين سهرةَ ذهبية مفتوحةَ الصدَر ، يا مرآةً ينسربُ الزئبقُ منها - كلَّ مساء - إلىً أطرفً السريرَ ثم يعوَدُ شاحباً - كلَّ صباحٍ - إلىِ داخلِ الزجاجِ الصقيلِ . . . حيثُ تقفُ لتسويِ شعَرَها ، وتتزينَ ، قبلَ أن تغادرَ غرفةَ نومها إلىَ الباصِ . أيتها النساءُ . . . أيتها النساءُ . . . يا أنتِ . . .

- فصل أول -

ماذا جنيتَ يا حرفَ العين . أعرفُ أنكَ خسرتَ كثيراً حتى الحقول ، وأن القصائدَ المخبّأةَ في أدراجكَ سيقرضها الفأرُ ، فلا يبقى منها سوى أرقامِ الباصات . وحيداً تصعدُ سلّمَ المجلة إلى المحاسب ، يتبعكَ حشدُ الدائنين . . . المؤجرُ الشرهُ ذو الكرشِ التاريخيِّ يفصّلُ شهرتَكَ الأدبيةَ على مقاساته أو شيكاته فيموتُ من الضحك . لماذا أيتها القصيدةُ الصافيةُ يحدثُ هذا؟ لماذا يا أمي نَسَيت أن تخيطي قميصي المفتوقَ من أول الرصيف حتى لوركا . . . قميصي سخريةُ التلاميذ ، والمعبرُ إلى الغابات المحشورة في بنطالي . وفيما بعدُ سأدركُ أنني خسرتُ كثيراً بسبب حماقاتي وصدقي لا بسبب التبذير أو الكتب ، كما تقول أمي ، وسأخسرُ الوظيفةَ (هكذا تضيفُ أيضاً) . . أما النوافيرُ ، أما أنت ، أما مسبحةُ أبي ، أما البلهارزيا ، أما الطائراتُ ، أما اللافتاتُ ، أما نونَ وفضل خلف جبر ، أما عريفُ الإعاشة ، أما أحلامي التي خسرتها بالتقسيط ، أما كذبُ الشعرِ الطويلِ على سريري ، أما قرصُ الأسبرين ، أما آخر المحطات ، أما أجملَ عينينَ على الإطلاق ، أما دكّانُ شعبون ، أما مأذنةُ النبي يونس ، أما سنواتُ اليتمِ والكراجات والحبُّ ، أما الشقةُ رقم (١) . . ، أما أمطارُك ومصابيحُ الجسر ، أما المصطباتُ الوحيدةُ والبقُّ ، أما الأميرة ، الأميرةُ الفاتنةُ ، الأميرةُ الفاتنةُ الحبيسةُ بين جدرانَ اللهاث والبصلِ وبرامجِ التلفزيون ، أما بوريس باسترناك ، أما لوحاتُ رابحة ، أما جداريةُ فائقَ حسن ، أما البالون ، أما الفلافلُ ، أما مركبُ رامب السكران ، أما صديقي بهجوري ، أما ما سيحدثُ بعد عشر دقائق أو عشر سنوات ، فلا مناصَ لي من الندم ، لا مناصَ لي من كتابة الشعر حتى الفجيعة ، لا مناصَ وإلا سأجفُّ كسمكةٍ فاسدةٍ في بحيرةِ التذكّرِ الآسنة ، لا مناصَ لي

من السعال والضجر وحبك . . .
من أجلِ ماذا - إذن - أنكَ مضيتَ إلى الخرابِ؟ أمن أجلِ حفنة قصائد سيقرضها الفأرُ والمؤجرُ ، أم من أجلِ شعركَ الطويلِ الذي يملأُ الآنَ سريرَه . . . يا لحياتي من تاريخِ بكاء سريٍّ ، يا لحياتي من جبلٍ شاهقٍ يتسلّقهُ رجلٌ وحيدٌ مجنونٌ . . . يا لحياتي من ادمان امرأة واحدة . . .
يا لحياتي - أذاً - من حياة مضاعفة . . . خذوا أيامي كلَّها ، قسّموها بينكم أيها الدائنون :
قسطاً للشقّة ، قسطاً للزوجة والأطفال ، قسطاً للكتب ، قسطاً للوظيفة ، قسطاً للأصدقاء ، قسطاً للذكريات ، قسطاً للتسكّع ، قسطاً للمخاوف ، قسطاً لبائع الخضراوات ، قسطاً . . . ، قسطاً . . . ، قسطاً ، قسّموها بينكم - أرجوكم - واتركوا لي حصةَ الشوارعِ . الشوارع وحدها ملكي . الشوارع لي وحدي . لي وحدي أن أحصي طوابقَ ناطحات الأفق ، وأختارُ واحدةً لسقوط أحلامي وتمزقها على الرصيف أمام منبه السيارة العابرة . . . ياه (ما لرجل المرور يضحك أيضاً) . . . تلك السيارةُ دهستْ أحلامي . ها هو نثارُ اللحمِ والدمِ يغطّي الإسفلتَ . . . أنحني لألملمَ الأشلاءَ المتناثرةَ وسطَ دهشة المارة وشتائمِ أصحاب السيارة . . . (رجلُ المرور يكّفُّ عن الضحك فجأةً . . . يتقدمُ مني ملوّحاً بدفترِ الغرامات) . . الشوارعُ الغبيةُ . الشوارعُ التي تفرّقُ بين دهس طفل ودهس حلمٍ . الشوارعُ التي تسلّلتْ كالنساء من جيبي المثقوب ولمْ تتركْ لي حتى عنوانها . الشوارعُ التي . . . يا لغبائي كيف لمْ أدركْ أنها تغيّرت الآن ، كيف لمْ أحسَّ برودةَ أصابعها عبرَ أسلاك الهاتف ، كيف لمْ أدركْ أنها فضّلتْ قرصَ الأسبرينِ على قصائدي ، كيف لمْ أنتبهْ إلى منديل ذكرياتنا وهي تمسحُ به زجاجَ الشقّةَ الجديدة بعد أن جفّفتهُ من دموعي . . . ، كيف لمْ أنتبهْ إلى كلِّ هذا قبلَ العاشرة صباحاً ، فأقول لها : لا بأس عليَّ ، فلي غربةُ الفنادق والخيبات وملامة الأصدقاء . . . لي ألبومُ صورها ومرايا شعرها الطويل والندم . . . وهذا يكفي رجلاً شاعراً مثلي . .

- فصل ثاني -

في الطريقِ إلى الشهرة ، في الطريق إلى بائعِ الخضراوات ، في الطريق إلى الباصِ ، في الطريق إلى قبو الأضابير ، في الطريق إلى القرنفلِ الأبيض ، في الطريق إلى دبق المقهى ، في الطريق إلى بورخس ، في الطريق إلى شطرنجِ الوظيفة ، في الطريق إلى قلب المهرجِ ، في الطريقِ إلى بنك الندمِ ، في الطريق إلى نافورة الدقائقَ ، في الطريق إلى الارتباك اليومي أمام الهاتف ، في الطريق إلى شباك الأميرةِ ، في الطريق إلى الروحِ ، ماراً بكلِّ خلجات الكلمات وهي ترتعشُ - من أجلِ كلِّ هذا - وصولاً إلى نبع الشعرِ الصافيَ . . . ماراً - أيضاً - بباعة الصحف والحروب والطماطم ، حتى المساء الأخير . أيها الشعرُ الصافي ، أيها القلبُ الصافي ، أيها العمرُ المقطّرُ على الورق ، قطرةً قطرةً ، أو دمعةً دمعةً ، كغيمة مثقوبة . . . لا خلاصَ أو لا مناصَ من الإعتراف أنك مطمورٌ حتى أذنيكَ تحت القشِّ . . . يكفي عودُ ثقاب واحد . . . لتفهمَ حدودَ رمادكَ من هذا العالمِ . . . منتشراً على سطوحِ الفضيحة . . . ولمْ أنمْ ، مشتعلاً فيك ، أيتها الممنوعةُ حتى في الحلم ، بينما تسيلُ أنوثتك على السرير البارد فتلحسها المرايا ، المرايا وحدها تفهمُ أسرارَ الأنثى ، أما الشاعرُ فلا يدركُ من مملكة النساء سوى الأسماء والدغلِ والنعناعِ . قريباً من النبعِ الصافيَ أو القصيدةِ الصافيةَ . . . ومن أجلِ بريق عينيها ، في أقصى الليل ، كان يطفيءُ آخرَ الشموعِ ويحلمُ - أو يكتبُ . وفي أقصى الليلِ ، في بريد النجمة ، ثمة رسائلُ لمْ تصلْ إلي بعدُ . . . كانتْ ترتبكُ عندما تراني موغلاً في أدغالِ الحلمِ . . . تنادي : أيها الشاعرُ ، اقتربْ . . . ، اقتربْ ، . . .

أن صدري ضاجٌ بكَ وقدْ أثمرَ . . . كان لا بدّ لي - على الأقل - أن أهيمَ تحت النوافذ ، مأخوذاً ببصيص المصابيحِ الناعسة لكي أدركَ حرمانَ الساعة الثَالثة ، وأقول للشوارِع : أن تتعقلَ ، فلاَ تمضي بي إليك . . . أقولَ لصافرَات الحرس : أنا شاعرٌ أرقٌ . . . اطمئنوا لن أتلصّصَ على أحلامِ العذرَاوات ، ولن أكشفَ ما تحت وسائدهن من الدموعِ والرغبات . . . أقولُ لقلَبي : كفى حماقات . . . الحماقاتُ وحدهاَ التي ضيّعتْ حياتنا . . أما الأميرةُ فقد أطبقتْ جفنيها ونامتْ . . تاركةً لي كلَّ عواء الشوارعِ ولهاث الأشجارِ والحماقات . . ماذا أفعلُ إذا كانتْ الأميرةُ لَاتستطيعُ أن تتأخرَ عن موَعد نومها؟ . . ماذا أفعلُ إذا كان الحرّاسُ يقفون بين ريحِ قصائدي ونافذتهَا العالية ، بين المرايا وشَعرها الطويل؟
ماذا أفعل . .؟

- فصل ثالث -

وصولاً إلى الدهشة ، أتوغلُ في لحاء الشجر ، وصولاً إلى النسغِ صاعداً باتجاه الوريقاَت وهي تفتحُ عينَيها - لأَول مرة - على عالمِ الخضرة والسواقي والأَسواق . ها أنني أرتعشُ معَ أصغَر برعمٍ في الطبيعةَ ، وأخفقُ مع أبعد طَائر أو نجمة في السماء . . . لَي كلٌّ هذا النبضِ الشمولي ، لي كلُّ هذه المسافاتً ، وأدّعي أَنني وحيدٌ وحزينٌ تماماً ، عَلى مصطبة قصائدي ، أغزلُ خيوطَ سنواتي الواهنة عباءةً للريحِ بانتظارِ موسيقى خطاك القادمة من الينابيع . .

وصولاً إلى الدهشة ، أَنحدرُ باتجاه الشوارعِ الخلفية ، باتجاه بائعة القيمر ، وثرثرة صاحَب الفندق عن النساء ومسحوق الغسيلِ والعرقَ وكراجِ النهضةَ ، باتجاه الجسر الحَديديٍّ وأوراَق العشبَ لوالت ويتمان ، حتى حروف المَصّححِ ، مروراً بديوان كزار حنتَوش والكَتب المستعملة ، باتجاه مقهى حسن عجمي ، باتجاه المعلمة الأنيقة ، باتجاه حديقة الأمَة حتى مطاعمِ الدرجة العاشرة ومساطرِ عمال الطابوق ، حتى «آفاقَ عربية» حيث الفاتنةٌ تستنسَخُ أحزانَ الشعَراء بعينيَن ذابلتيِن من النعاسِ والبوحِ . ربما أدركتْ ذلك على شريط التسَجيلِ وأنا أتسكّعُ مع البياتي في مدن الذكريات المهجورة ، . . . باتجاه الدهشة أحملُ عنقي على طبقِ المغامرة وأقصدُ طبقَ الحماقات . كلٌّ ذلك من أجلِ الشعر . . . غير مبالٍ تماماً لما يحدثُ لهذا الجسد ، وكأن ذلك لاَ يعنيني بالمرّة . . . لأجرّبَ كلَّ شيء ما دمتُ قادراً على ملءِ المساماتِ التي تسمّى أيامي قبلِ أن يملأها السّوسُ والديدانُ والريحُ . . .

باتجاهِ الدهشةِ ، وصولاً إلى ماذا؟

أقولُ الدهشةَ وأقصدُ الكتابةَ . أقولُ الكتابةَ وأقصدُ ذكرياتك وجنوني . أقولُ الحدائقَ وأقصدُ زهرةَ الياسمين . أقولُ الشوارعَ وأقصدُ شباكَ الأميرة المطلَّ على غابة قصائدي . أقولُ الصباحَ الجديدَ وأقصدُ زهوركَ الصباحيةَ على طاولتي . أقول أسلاكَ الغيمِ الماطر وأقصدُ صوتكَ الشهي ، مرتبكاً يمطرني . أقولُ اكتبي انعكاساتكِ على مراياي وأقصدُ أوراقَكِ الأنثويةَ الممنوعةَ من البوح .

أقولُ لأنكِ لم تمهلي فرحي أن يمطرَ فقد انفجرتْ غيمتي على صحراءِ الشرشفَ الأبيضِ ممسكاً بالنافذةِ وأنا أرى انتحارَ بروقي قريباً من أنفاس زهرتك الظامئة .

وصولاً إلى الدهشةَ ، وصولاً إلى اللذة ، وصولاً إليك ، وصولاً إلى القصيدة المتمنعة . . . أتناثرُ يومياً في الطرقاتِ كشظايا المرايا وأعودُ مساءً لألملمها على الورق . . . تلك هي حياتي . . .

واقفاً أتطلعُ إلى ما حوليَ :

. . . . أقدامٌ تركضُ ، أقلامٌ تركضُ ، أحلامٌ تركضُ ، تركضُ ، تركضُ ، تركضُ ، تركضُ ، . . متى تتوقف أيها اللهاثُ عن الركضِ على جسد السرير المائلِ من طرف واحد ، باتجاه رائحة الإبطين ، باتجاهَ رائحة بائعة القيمر في صباحات الطفولة الشهيةَ على السطحِ الصيفيِّ ، باتجاه البحر ، البحر الذي يحلمُ بالأسماكَ وعطلة نهايةَ الأسبوعِ والأجساد اللدنة اللابطة في منيه . . لا أحدَ يلتفتُ إلى البحرِ الذي هو المرآةُ ، وأقصدُ مرآةَ النفس باضطراب أمواجها أو هدوئها اليائسَ ، حيثُ المراكبُ المثقوبةُ تمخرُ باتجاه الأحلامَ . . . ثمةَ مراكب على اليابسة يحفّها الرملُ من كلِّ الجهاتِ ، وثمة مراكبُ على الورقِ ، وثمة مراكبُ على السريرِ ، وقليلةٌ هي المراكبُ التي في البحر . . .

البحث عن عنوان

خذْ ثمانيةَ أعوامٍ من عمري ، وصفْ لي الحرب
خذْ عشرين برتقالةً ، وصفْ لي مروجَ طفولتي
خذْ كلَّ دموعِ العالمِ ، وصفْ لي الرغيف
خذْ كلَّ زهورِ الحدائقِ ، وصفْ لي رائحةَ شعرها الطويل
خذْ كلَّ البنوكِ والمعسكرات والصحف ، وصفْ لي الوطن
خذْ كلَّ قصائدَ الشعراء ، وصفْ لي الشاعر
خذْ كلَّ نيون مدن العالَم وشوارعها الصاخبة ،
وصفْ لي لذَةَ التسكّعِ على أرصفةِ السعدونَ
خذْ كلَّ شيءٍ ، كلَّ شيءٍ . . .
وصفْ لي نسيمَ بلادي
أما أنا فغير محتاجٍ لكلٍّ هذا . . .
تكفيني قنينةُ حبرٍ واحدةٌ لأضيءَ العالم
يكفيني رغيفٌ ساخنٌ من تنورِ أمي
لأتأكد من حداثتي
أقرُّ أن الكلمات امتدادٌ لأصابعي
وأن الحدائقَ امتدادٌ لشعرها الطويل
أقرُّ أن القنابلَ علمتني الكثيرَ
أقرُّ أن القنابلَ مسحتْ الكثيرَ من أحلامي أيضاً
أقرُّ أن القنابلَ لا تكذبُ ﴿كما تفعلُ البياناتُ والقادة﴾
خذْ إذن كلَّ القنابلِ وصفْ لي بشاعةَ الحرب
خذْ كلَّ نزيفِ الحربِ . . . وصفْ لي سلامَ بلادي
أما أنا فغير محتاجٍ لكلٍّ هذا

يكفيني أن أضعَ يدي في جيوبِ بنطالي
وأتمشى في الشوارعِ المشمسة
أصفرُ للأشجار والعابراتِ والبناياتِ العاليةِ وبائعي الصحفِ
لأتأكد من نهايَة الحربِ . . .
يكفيني أن يخطِيءَ ساعي البريد عنواني
فأتذكّرُ عشرات القنابلِ التي أخطأتْ عنواني
(أعرف أيضاً أن عنواني كثيراً ما ضاع في زُحمة أرقامكِ والأسماءِ
والعناوين السريعة
فما عدت تتذكّرينَه كثيراً . .
أما أنا فماَ أن أضعَ أطرافَ أصابعي
على جانبي الأيسرِ
حتى تدلّني أنفاسُ الدروبِ عليكِ . . .)

هكذا قلتُ لها كلَّ شيء

- فصل أول -

«لا تتعجبوا يا أصدقائي اللطفاء
من أن جبهتي مقطّبةٌ ، مجعّدةٌ
فأنا أعيشُ في سلامٍ معَ الناسِ
وفي حربٍ معَ أحشائي . .»
- انطونيو ماتشادو -

في آخرِ المطرِ
في آخرِ الحربِ
في آخرِ ذكرياتَك . .
مرت الحَافلاتُ وَالجنودُ والبناياتُ الطويلةُ وأرقامُ هواتفِ الحبِّ
نظرتَ طويلاً إلى عينيك الواسعتين كسماء بلادي
وتذكّرتُ نعاسَ قلبك . . . الذي لمْ ينمْ منذَ أول خفقة أو قذيفة
ونعاسِ ذاكرتي . . . التي اتعبتها الشوارعُ وغصونُ المواعيدِ المنكسرة
وصريرُ السرفاتِ والطيورُ المهاجرةُ عن أعشاشِ روحي ، إلى سماواتِ النسيان
تذكّرتُ - يا لحماقة قلبي -
أنني لمْ أقلْ لك حتى الآن
كلمةَ غزل واحدَة
لمْ أقلْ لكَ أيَّ شيءٍ . . .
واعتذرتُ . . .
فقد كنتُ محتشداً ومهووساً حدَّ الحنجرة
بصراخِ ذكرياتي على شارعِ الحربِ الطويلِ

حدٌّ أنني نسيتُ
أن أقولَ لك حتى وداعاً
عندما أخذوني في قطارِ الحربِ
إلى جنوبِ السواترِ البعيدة
ولكنني عندما عدتُ إليكِ
يا واسعةَ العينين . . .
تعثرتْ خطى حنجرتي بأغصانِ العشبِ
الذي نبتَ - في غيابي -
على ممشى الكلامِ
المؤدي إلى كلمةِ : أحبكِ

الوطن : شمس
وطوابع بريد .. وأنتِ

- فصل ثانٍ -

قلتُ لها :

الصقي طوابعَ البريدِ على مظروف الغيم

وابعثيه على عنوانِ أيَّةِ دمعةٍ أو محَطةٍ أَو شجرةٍ

لا بدَّ وَأن يعودَ إليَ

لمْ تصدقني . .

وجلستْ على حافة البحرِ

تترقبُ أسرابَ الطيورِ والمراكب

وخطى ساعي البريدِ الكهلِ . .

قلتُ لها :

انتظريني ، سأعود من قطار الحرب «المجنون»

لاحدثك يا فرحي المخبولَ عن كلِّ ما جرى

بالتفاصيلِ والقنابلِ والملاجيءِ الطويلة وسريري الوحيدِ والذكرياتِ والنسيان .

ستمرُّ علَيك أسرابُ النجومِ والذكرياتُ وظلالُ المدنِ

ستمرُّ عليكَ الطائراتُ وقنابلُ التنوير المحنّطةُ . .

سيمرُّ عليكَ نخيلُ البصرة والقصيدةُ الأخيرةُ والجنودُ العائدون من الإجازات القَصيرةَ

قلتُ لها اَنتظريني

وجلستُ على حافة قلقي

أترقّب خطى اشتياقك وهي تجوسُ أدغالَ قلبي

وتقتربُ . . تقتربُ . . تَقتـ . .

احذري أن تدوسي لغمَ أحزاني
فلا طاقةَ لكِ على التشظّي . . .
قلتُ لها :
حضورك أقسى من الفرح
كمْ هو قَاس فرحي بك
يا واسعةَ العَينين ، يا وَاسعةَ القلبِ ، يا ضيقةَ الصبرِ
قلتُ لها :
سأرهن نصفَ عمري لو تفهمين هذه المعادلةَ التي لا أفهمها
أدمنتُ غيابَك حتى وأنتِ قربي
ففيه أتأملك عَن قرب
وأكتَشفُ أبعَادَك . . وأَبعادَ قلبي . .
لمْ تقلْ شيئاً . .
ولمْ أقلْ شيئاً . .
وافترقنا . .

- فصل ثالث -

« . . يكفينا من الجملِ الرّنانة
فعند الانطلاقةِ ستصبحُ الساحاتُ
لوحاتِنا ، والحدائقُ ريشتَنا . . .»
- مايكوفسكي -

«سأرعى جسدَكِ ، مثلما يرعى الجندي الذي
فَقَدَ في الحربِ ، ساقَهُ الوحيدة . .»
- مايكوفسكي - أيضاً

(1)

أصداءُ المدافعِ تحاصرُ نعاسي المرتبكَ
وكذلك ذكرياتك
أخرجُ رأسَ أحلامَي من النافذةِ فتحاصرهُ سماءٌ مليئةٌ بالثقوبِ
ماذا أفعلُ؟
وأنا مجنونٌ برغبة التسكّعِ - هذا المساء البليد -
على رصيف اشتياقي لكَ
حتى آخرِ نهاياتِ العالمِ
*

(2)

أتصلتُ بكِ

كانت الخطوطُ متشابكةً إلى حدٍّ كدتُ أضيّع صوتكَ البعيد
في زحمة الاطلاقاتِ والبياناتِ والزعيقِ والأصدقاءِ
ماذا أفعلُ . .؟
أيتها الرائعةُ
وأنا أحتاجُ شفتيكَ ، هذه الليلة ، بشكلٍ غريبٍ
أقفلتُ السماعةَ . .
ونمتُ مبكراً
احتجاجاً على غيابكِ

*

(3)

من حدود الشلامجة
حتى حدود آخر القذائف
من ضفاف شط العرب . . . .
حتى أطراف شعرك المجنون الطويل
بهاتينِ الكفينِ الناحلَتين ، اللتينِ تنامان الآن تحت رأسي المتعبِ
جستُ غاباتَ شَعرك ، خَصلةً . . خصلةً
ومسامات بلدَي ، شاَرعاً ، شارعاً
وسواترَ الحَربِ ، جثةً ، جثةً
وقلّبتُ كتبَ العالمِ ، قصيدةً ، قصيدةً
فلمْ أجدْ ما أقولهُ
لكَ . . .
يا واَسعة العينين
سوى
أن لا أقولَ شيئاً

كل شيء هادئ تماماً في ظهيرة البصرة

- فصل رابع -

« . . . وإنّي وتهيامي بعزةَ بعدما
تخليتُ عما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظلَّ السحابة كلما
تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلت»
- كثير عزة -

ظهيرة البصرة ، ولا ملاذَ غير ظلِّ القنابلِ وأكياسِ الرملِ
ظهيرة صمتك ، ولا ملاذَ غير ظلِ الكلامِ
ظهيرة قلبي ، وَأنتِ على الشرفة
تنشرينٍ أيامنَا على حبلِ غسيلِ النسيانِ
لتجفَّ . .

*

قالتْ :
أرادوا أن يصادروا أحلامنَا كلَّ يوم
ويفردوا كفَّينا المتشابكتين ، إصبعاً ، إصبعاً
قلتُ لها :
ستظلُّ الشوارعُ ملكنا ،
وهذا الشجرُ المتطاولُ ، والمصطباتُ ، وهذا الأفقُ المفتوحُ
على اتساعِ عينيكِ الواسعتين . .
سيظلُّ لنا كلُّ شيءٍ . .

اطمئني . .
ما دمنا نملكُ ورقةً ، وحنيناً بحجمِ العالم

. . . .

ظهيرة البصرة . .
القنابلُ تأخذُ قيلولتها . .
فقدْ تعبتْ طيلةَ ثمانية أعوامٍ من الركضِ في أزقةِ الحربِ . .
بحثاً عن عنواني . .
شكراً للصدفةِ ، فهي وحدها التي أبقتني - في الحربِ - بلا عنوانٍ . .

شكراً لكافافي فهو وحدهُ الذي قالَ لي ، وأنا أعدُّ حقائبي :
(ما دمت قد خرّبت حياتك في هذا الركنِ الصغيرِ من العالمِ فهي خرابٌ أينما حللتْ . .)
شكراً للتلمساني ، شمس الدين بن عفيف ، فهو وحدهُ الذي اختصرني هكذا :
رأى ، فحبَّ ، فرامَ الوصلَ ، فامتنعتْ ،
فسامَ صبراً ، فأعيا نَيلَهُ ، فقضى

. . . .

ظهيرة البصرة . .
كلٌّ شيء هاديءٌ تماماً
وحدها ذكّرياتكِ وعزلتي يحاصرانني من كل الجهات . .

- فصل خامس -

غسقُ القنابلِ يتسربُ من شقوقِ الغيومِ ، لا مطرَ هذه الليلة ، فصيفُ الحربِ يقفُ على مسافة زهرة مَن ربيعِ السلامِ القادمِ . أقلّبُ أوراقَ يومياتي السرية التي كتبتَها في بطونِ السواترِ والأقبيةِ الممتدة على مساحة نصف عمري أو على مسافةَ عشراتِ الثكنَات ، فأجدكِ تتربعينَ على شَرفة ذكرياتي بشعركِ الطَويلِ ، تَسدين ثقوبَ الذاكرةَ بأغنياتك . . . يالكَ من طفلة مجنونَة . كيفَ لمْ تنتبهي إلى كهولتي المبكّرة ، فَتتركين يدَي تستلقّي هادئةً على حافة المصطبة الوحيدة ، وتأخذَين يديكِ فقط . . إلى حيثُ النوافير وأزهار الحدائق .

«أترين هاتين اليدين
لقد جابتا الأرضَ
واستخرجتا المعادنَ والحبوبَ ، وصنعتا الحربَ والسلمَ
وجمعتا بين البحار والأنهار
ومع هذا ، عندما تجوبان جسَدك
يا صغيرة ، يا حبةَ قمحٍ ، يا يمامَةً
لا تكفيان لاحتوائك
تعجزان عن أن تطالاَ اليمامتين التوأمين
اللتين تَرقدان أو ترفرفان في صدركِ
أنهما تجوبان ما بين ساقيكَ
وتلتفان حول هالة خصركَ
أنتِ عندي كنزٌ أكثر امتلاءً من رحابةِ البحرِ وعناقيدهِ

وأنت بيضاء وزرقاء ورحبة
كالأَرضِ في موسمِ القطاف
من أخمصِ قدميكِ . . حتى جبينكِ
سأقضي حياتي . .
أمشي . .
وأمشي . . وأمشي» .
- بابلو نيرودا -

غداً ، ستكبرُ زهرةُ عبادِ الشمس
وتدير رأسها الأصفرَ الصَغيرَ في كلِّ الاتجاهاتِ
ذاهلةً ، مرتبكةً ،
فثمة أكثر من شمس . .
وعندما لا تجد خياراً أو ملاذاً
ستلقي بنفسها بين يديكِ
لتغفو . .
تغفو . . تغفو . .
مثل قلبي الذي أتعبتهُ - ذات ليلٍ - قنابلُ التنويرِ المشرّشة في كلِّ الاتجاهات
فألقى بأحزانه وأحلامه
بين يدي ذكرياتك . .
ونامَ هادئاً ، مطمئناً
كأنهُ لمْ ينم منذُ دهورٍ

- فصل سادس -

على حافة «مجنون» أو على حافة الحرب ، كانتْ سرفاتُ أيامنا تمضي ثقيلةً ، مثَيرةً وراءها غبارَ الذكريَات والأَصدقاء والمواضع . . تزحفُ خلفها أحلامنا أيضاً - متوجسةً - . . فوق دغلِ الألغامِ والزهور البرية المنتشرة على طول جسد الجبهة المتغضّنِ الذي لوّحتهُ شموسُ ظَهيراتَ قائظة ، فامتزجَ لونَهُ مع أَجسادنَا

شمسٌ . . شمسٌ . . ، تمضي معك أينما تتجهُ ، وعندما تتعب من الركضِ أمام نافذةِ السيارةِ . . تودعكَ تاركةً إياكَ لليلِ القنابلِ الطويل

(في الطريق إلى . .)

قرصُ الشمس يخرجُ منِ تنور الأفق المحمر كرغيف ساخن مثقوب بالشظايا . . وأنتَ جائعٌ منذَ ليلة أو أكثرَ ، لا يهمُّ . . فالتّنقلاتُ السريعةُ لمْ تتركْ لكَ فرصة لتناول أيٍّ شيء أو كتابة أيٍّ شيء . . عدا قدح الشاي البارد من حانوت «السرية» . . الذي كان آخر الذّكريات والطعام . لا يهم . . ها هو قرصُ الشَمس يغيبُ مرةً أخرى في فمِ الظلامِ ، تطبقُ عليه أضراسُ المدافع ﴿الكريهة﴾ الجائعة . . وتلتهمه الحربُ أيضاً . قلتُ ذلك لصديقي فأنّبني : كفَانا صوراً سَريالية ، هذه الليلة ، تعال ، احزمْ «يَطَغَك» المبعثرَ فلمْ يبقَ على الساعةِ (س) سوى مرمى قذيفةٍ ﴿أو . . دمعةٍ﴾ . .

(مجنون قبلِ الفجر بـ . . .)

ظلامٌ كثيفٌ . . وبقايا جثثٍ ومعلباتٍ طافيةٍ . .

الاتصالاتُ مقطوعةٌ
يا للعزلة الخرافية ، ثمة أصدقاءٌ رحلوا بين أعواد القصبِ الطويلة . .
وتركوا لكَ مهمة اَلبقاء المريرة مع ذكرياتهم

(رالة . . إلى شعرها الطويل)
أعرف أنك زعلانة . . لأنني لمْ أتصلْ بكِ منذ أسبوعين
ما الذيِ أفَعلهُ؟ . .
يا أوسعَ قلبِ في الدنيا
وأنا محتشـ دً . . . (قطع . . .) . . .
قصفٌ شديدٌ ،
قصفٌ ،
قطعت الرسالة ، تركتها مبتورةَ الأحلامِ على يطغي المبعثرِ . . القصفُ شديدٌ جداً ، لا مجال لغلقِ المظروف . . أو اكمال الرسَالة . . قلتُ لنفسيِ سأبعثها هكذا . . وهيَ تفهمُ فوضانا . . . . نحن الذين علمتنا الحربُ أن نتركَ أشياءنا كما هي . . ونمضي . .

- فصل سابع -
في ليالي الحرب الطويلة
تبدو السماءُ أحيَاناً ، بلاَ نجومٍ ولا ذكرياتٍ
نلقي شباكَ الأرق
في بحيَرة الأحلاَمِ الإصطناعيةِ
نترقبُ ماَ يعلقُ فيهِا . . .
تتقافزُ الأسماك أمامكَ
تتقافزُ الدقائقُ والمدنُ والنساءُ والأصدقاءُ والثكناتُ ﴿والأسلاكُ﴾
والقصائدُ والأشجارُ والطرقاتُ ﴿والألغام﴾
ما من شيء في شباككَ الفارغةِ . . .
لا البحرُ يكفُّ عنَ لا مبالاته
ولا الشباكُ ترحمُ جوعَكَ . .
ولا الليَلُ أيضاً ، ولا الشايُ ، ولا الشجارُ المفتعلُ ، ولا مقهى الخضراء ، ولا جبالُ حمرين ، ولا نوباتُ الحراسة ، ولا مواويلُ مطرب السَرية ، ولا قصائدُ طرفة بن العبد ، ولا الطَهي ، ولا ترقبُ أيامَ أجازتَكَ ، ولا أغاني لوركا ، ولا حكمةُ اتونابشتم ، ولا المذياعُ ، ولا كتابةُ الرسائل أو المذكرات السرية ، ولا رباعياتُ حسب الشيخ جعفر ، ولا أعنابُ شقلاوة ، ولا الدومينو ، ولا التدخينُ ، ولا مناقشاتُ البنيوية ، ولا المجلاتُ القديمةُ ، ولا ساحةُ «مظفر» ، ولا مقدادُ عبد الرضا ، ولا الفراغُ ، ولا الأعشابُ البريةُ ، ولا . . .
ما الذي تفعله إذن . . .
كي تنامَ . .؟

*

ما من مرفأ
يا مركبَ روحي الهائم
أخذتها إلى عري البحر
وزرقةِ الأمواجِ العاتية . . .
فسحَبتني إلى السواحل الضيقة

آه . . يا روحي ، ما أضيقَ السواحل

*

أشرتُ إلى الشجر
فأشارت إلى شَعرها الطويل
أشرتُ إلى قلبي . . .
فأشارتْ إلى واجهةِ المخزنِ المضيءِ
آه . . . يا قلبي . . .
ما أزيف واجهات المخازن

*

ذات ظهيرة ندم
افترقنا . . .
- بلا كلمة ، أو زعلٍ ، أو وداعٍ -
أنا إلى فوضًى قصائدي
وهي إلى غرفتها المرتّبة . . .
. . . .
«ومع ذلك . .
فذراعاي على امتداد الكون
بانتظارها . .»(*)

(*) الشاعر محمد الماغوط

فصل.. خارج الفصول

«إلى أين تسعى يا كلكامش
ان الحياةَ التي تبغي لن تجدَ . .»
- من خطاب صاحبة الحانة لكلكامش -

«إذا كان المستحيل يجبُ أن لا يُرتاد
فلماذا أيقظتِ في قلبي الرغبةَ
التوّاقةَ إليه . . .»
- كلكامش -

لا شيءَ يهدّيءُ هذه الروحَ الملتاعةَ
لا الشوارعُ
ولا أنت
ولا الكتَبُ
ولا ظلالُ اليوكالبتوز
ما للمدينة ، تنسلُّ من بين أصابعي
تنفرطُ شوارعها كحباتِ الرمانِ الحامضِ
تاركةً دبقها
ما لروحي ، لا تستقرُّ على حجر أو كلمة
ما لأشجارِ اليوكالبتوز ، لا تفرّقُ بين ظلالِ قامتها ، وظلالِ حزني
ما للدقائقَ ، تكيلُ رمادي بملاعقها ، وتذروهُ في الريح
مالك . . . بل مالي - لمْ نتقاسمْ فجيعةَ كلِّ هذا ، بالتساوي
فتأخذين حصتك
من جنونِ التشرّدِ في شوارعِ روحي
وآخذُ حصتي

من جنونِ الحرب
في لافتاتِ العالمِ السوداء

*

أصفرُ . . .
أصفرُ . . .
كلُّ شيء أصفرُ . . .
من زهوركِ المكتظّةِ بالبوحِ . . حتى قميصكِ الأخيرِ
من بحيرةِ البجعِ . . . وحتى ورقِ رسائلكِ
يجتاحني حصارُكِ الأصفرُ
فألوذُ بغرفتي الصغيرةِ
تطالعني الجدرانُ
غابة يابسة من الخريف اللانهائي
وروحي أقدامٌ تائهةٌ تجوسُ الأوراقَ الصفراءَ المتساقطةَ
ما أجملَ خريفَكِ
ما أجملَكِ حتى في خريفكِ

*

يتمددُ الليلُ على سريري - هذه الليلة
تتبعهُ أيائلُ النجومِ
وعندما يطبقُ جفنيه أو يكادُ
تقفُ على مقربة منَ النافذةِ المفتوحةِ
تحرسهُ بهدوء ورهبة
بانتظار يقظتهً
لتعودَ أدراجها إلى مراعيها البعيدة
أذرعُ الغرفةَ ، جيئةً وذهاباً
وأنا أتفرسُ في جسدِ الليلِ الهائلِ

وهو يغوصُ في سريري
أسحبُ اللحافَ عن وجههِ ، فجأةً . . .
أتطلعُ إلى تقاطيعهِ جيداً
ياه . . .!!
أنهُ ميت!

تساؤلات...

نظرَ إلى الأفقِ . . طويلاً
ياه . . منذ متى لمْ يتملَّ هذه الزرقةَ الصافيةَ
منذُ كمْ وهو منسِيٌ في هذا الشقِّ الأرضيِّ . . كقطرةِ مطرٍ
من أجلِ أن يورقَ - ذاتَ ربيع -
عشبُ الانتظار
في الدربِ المؤدي إلى كلمةِ : سلام

*

أصغى إلى زقزقة النسغِ
وهو يتصاعدُ من أعماقِ الأرضِ إلى حنجرة شجرة
ياه . . منذُ متى سرقتَ الشوارعُ من جيبِ قميصِ طفولتهِ . . الغابات
فنسي نبضَ الغصون في دمه
وانشغلَ بالضجيجِ المتصاعد ، من كلِّ شيءٍ :
من ملعقةِ الطعامِ . . حتى مكيّفةِ الهواء . .
آه . . .
مَنْ يعيدُ للعالمِ غاباته التي . . . ابتلعتها معاملُ المدينةِ . .
نظرتُ إلى شعرها الطويلِ . . طويلاً
وتذكرتُ شلالاتِ بلادي
تتساقطُ على دفاتري قصائدَ حبٍ
ورأيتُ الأنهارَ تفيضُ على يدي
بساتينَ فرحٍ ، وسوابيطَ ضوءٍ
ياه . . منذ متى لمْ أقفْ على جسرِ الكوفة
لأرى ظلالَ شعرها الطويلِ

تتماوجُ على صفحةِ النهرِ
وظلال بيتنا القديمِ
تتماوجُ على مرايا ذكرياتي

*

نظرتُ إلى الأفق . . . ثانيةً
ما زالَ فضاؤه اللامتناهي
يفيضُ زرقةً هادرةً
رغم سحابة دخان أبيض
كانتْ تشقُّ السماءً نصفين :
أوشكَ نصفها الأولُ أن يميلَ إلى الغروبِ
تجرهُ سلاسلُ ظلام خفيّة
وتراءى من بعيد قرصُ الشمس ، معلّقاً بسنّارةِ الغسقِ
فاصطبغَ الأفقُ بدمه المطلول . . .
أما النصفُ الثاني فما زالَ ينبسطُ . . . .
بكلِّ عذوبةِ صيفِ الساعةِ السابعةِ عصراً
بعد دقائق
اختفى خيطُ الدخان الأبيض
وعادتْ صفحتا السماءِ المشقوقة . . . للإلتئام
ولكن الظلامَ بدأ يتسرّبُ رويداً ، رويداً
بعد قليل ستتصاعدُ قنابلُ التنوير . . .
بعد قليلٍ ستتكاثفُ نظراتنا «الوجلة» إلى الأفقِ
لننظر معاً عما سينجابُ ظلامُ المساء الطويل

الوطن على ساتر القلب..
وأنتِ في القصيدة..

«وتلفّتتْ عيني فمذْ خفيتْ
عني الطلولُ تلفّتَ القلبُ»
- الشريف الرضي -

«يا ريحُ يا ابراً تخيطُ لي الشراعَ - متى أعودُ
إلى العراقِ . . .؟»
- السياب-

انتظرتك . . .
كان مطرُ الرصاصِ يهمي قليلاً ، على الشبابيكِ والسواترِ والأشجارِ والقصائد .
فقد انقَشعتْ غيومُ المعاركِ الأخيرة ، وبلعتِ الحربُ «فاليومها»
واسترختْ على الأريكةِ بين اليَقظةِ والنومِ .
وحملنا حقائبَ ذكرياتناَ المثقّبة
ومضينا في قطارات الجنوب ، نحو مدننا المترقّبةِ
قلتُ ريثما تصحو ثانيةً من نعاسها المؤقّتِ
عليّ أن أهيّيءَ كلَّ شيءٍ :
خطاي للحدائقِ
وشعركَ للمرايا . . .
وذاكرتيَ للنسيان . . .
(وحقائبي للسفرِ . .)

انتظرتك . . .
نظرتُ إلَى عقاربِ عمري ، تشيرُ إلى منتصفِ الحبِّ
وأنت . . . يا واسعةَ العينين . . .
يا أجمَلَ عينين على الإطلاَق
يا انثيالَ أحلامي الخبيئة على نافذةِ اليوم
يا لقلبي
ما الذي تنظرين في غبارَ عيني
غبار الحربِ ، والذكرياتَ المنسية ، ونثيث الشوارعِ ، وآثار خطاكِ القلقةِ
على عشبَ القلب ، والندى الشحيح
ما الذي تنتَظرين في بريد الحرب
كلّ الرسائلِ لمْ تصل ، وقَلبي أيضَاً
ما الذي تنتظِرين في قطارِ الجنوب
عاد الجنودُ ﴿الممصوصَون﴾ مَن الفاو ، محمّلين بأخبار المعارك
الضارية ، وحناءَ ﴿الدمِ﴾ والتراب .
وعدتُ إليك . . .
غيمةً لزجةً . . .
محمّلاً بك والحرب
يا أجملَ كلّ ذكرياتَي وأقساها

«أزيحي الحجابَ عن قلبكِ
يتجلَّ لكِ قلبي . .»
- جلال الدين الرومي -

تأخرَ البريدُ هذا الصباح
وظلَّ قلبي معلقاً بين القنابلِ ، وغبارِ العجلةِ - الأملِ - ذاتِ المحركِ القديم
ما الذي سيأتي؟
غبارُ شعركِ يتناثرُ عبرَ هذه المفازات الشاسعة
مستصحباً معه أسرابَ الحَمامِ الزاجَلِ وقطعانَ النجومِ
ورسائل الأصدقاء تأتي متقطّعةً . .
وروحي يحاصرها الحنينُ والشظايا . .
كمْ قنبلةً عليكَ أن تحصي
لتقولَ : انتهت الحربُ
وكمْ زهرةً عليكَ أن تقطفَ
لتقول : يا للربيع
يا قلبي ،
يا مدينة بلا عصافير
كمْ تحتاجُ من الكلمات لتقول لها : كمْ أحبكِ
كم من الأحزان عليكَ أن تعتصرَ
من أجلِ خلقِ قَصيدة فرح . .
*
أيتها الحربُ

(يا رحمَ الحياة المتورمَ)
زرعنا في أحشائك كلَّ شيء :
طفولاتنا ، وأمنياتنا ، وقصائدنًا ، ومخاوفنا ، وأعمارنا القلقة .
من أجل أن تنجبي - ذات صباح مندّى -
طفلَ السلام القادم

*

أنت ، على بُعْد ساعي بريد كهلٍ ، من فرحي
ياه . َ. كمْ أنت َبعيدة إذن؟
ما الذي أخَّرَ حَنينك عني
قلتُ : ربما ساعي البرَيد
وجاء
ربما أزيزُ الرصاصِ
وهدأ الآن كلُّ شيء . .
ربما . . .
. . . .
مضيتُ أبحثُ عن شموع وحنين يليقُ بك
حجزتُ القطارات والمحطاتً وظلالًَ الشجرَ
قلّبتُ كلًّ بطاقاتِ العالمِ بَحثاً عن أسمكَ
آه . . .
ماً أطولَ صبري
وما أضيقَ القلب
وما أبعدكِ عني هذه الليلة . . .

صباحُ العيد ممتزجٌ ببهجة الشوارع ، حيثُ تتكدّسُ كركراتكِ
على الأرصفَة وأراجيحِ الَطفولة والورق
صباحُ شفتيكَ تقطرُ بوحاً وحمَرةً وقرنَفلاً
تلحسها نهاراتيَ الظامئة
حدَّ أن تترنحَ من فرط الثمالة
صباحُ العشبِ وهو يتَسلّقُ أصَابعي
ليصافحَ ربيعَ يَديك
صباحُ الفرحِ الذي بَاغتَ أحزاني فجأةً
وأقنعها بقصرِ العمرِ والفساتين
وراحا يتسكّعَان معاً غير عابئيَن لشيء . .
صباحُ قميصك المنقّط وهو ينفتحُ علىً الغابات
حيثُ يختبيءُ الحمامُ الزاجلُ خائفاً من عيونَ الصيادين
حيثُ رائحةُ الأزهارِ البريةِ تعبقُ تحت ابطيكِ فتثملني . . .
صباحُ الينابيعِ وهيَ تتدفقُ
باتجاه أيائلِ شعركِ
صباحُ القصَائدِ التَي تسلّلتْ من تحت وسادتي
إلى مرآتكَ . .
ففضحتني

*

في العيد الثاني
في كلِّ عَيد
أصفُّ شموعً عمري على الطاولةِ

وأشعلها بالشوق إليك ، واحدةً واحدةً
محتفلاً بعيدكَ ، أتأمل القطرات البيضاء
وهي تنسالُ بهَدوءٍ كالأيامِ
أو كالأحلامِ
أو كالدموعِ
وبعد أن تذوبَ آخرُ شمعة
سأجلسُ أمامَ ركامها - صفَّ ذكرياتي -
متأملاً خيوطَ دخانها المتلاشي
وأقولُ لعينيك
ياه . . إنها أجَملُ أيامي معكِ
كيفَ ذابتْ سريعاً . .

*

سأقولُ لساعي البريد
لا تستغربْ مني
إنك لا تحملُ بطاقةَ حبٍ
بل قلباً مغلّفاً
عليه عنوانها
في أقاصي الحنين
فلا تخطيء هذه المرة
أرجوكَ

أريدُ لغةً أكبرَ من هذا ، أكبرَ من هذا الصراخِ الذي يشقُّ حنجرتي ، أكبرَ منِ هذا الفرحِ المجنونِ الذي . . أريدُ يا ربِّ لغةً أكبرَ وأشرسَ وأدقَّ وأعذبَ وأكثرَ قدرةً على التعبيرِ (والتمويه) تماماً بعيداً عن قوانينَ الإعرابِ الصارمة وزخارف البَلاغة التَي أماتتْ كثيراً من أحاسيسَي . . أريدُ لغةً أكبرَ من لغتيَ هذه ، وأعتذرُ لقلبي ، فما عودتني أحزاني السابقةُ على طاقة الفرحِ هذه التي تدفّقتْ في شرايين الشوارع فجأةً . . حتى كادتْ تغَصُّ . .

شوارع للفرح ، شوارع لشَعرك الطويلِ المجنون ، شوارع لعينيك الواسعتين ، لأجملِ عينين علَى الإطلاَق ، شوَارع لنشر الرصاصَ عالياً بريئاً لأول مرة ، شوارع للحمامِ ، شوارَع للساعة الخامسة فجراً ، شوارع لا تعرفَ الزعلَ ، شوارع بلا نوم ومذيعين ، شوَارع للسيَر حتى ساحة الاحتفالات ، شوارع للأقدامِ الحافية ، للرقص ، للرقص ، للرقصَ ، (مذبوحينَ من الألمِ ، أو منَ الفرح)َ ، شوارع لَسكب المياه من نوافذ السيارات ، للطقوسَ الشعبية ، للبكاء الأبيضِ ، للهلاَهلِ ، للخوذ الَتي دبكتْ ، للفتياَت المخبولَات علَى سطوحَ السياراتَ ، للشموعِ ، للأسمر الزعلان الذيَ لا يقول مَرحباً - كما تَقول الأغنيَةُ الشعبيةُ - ، لمدينَة لا تنامَ على بيانات «الحرب» ، لنشرات الفرح من كلٍّ محطات العالم ، لوجهك العذبَ الذي لمْ أرهُ منذُ أيامٍ طويلةٍ طافحاً بالكركراتَ يعاتبني ، ويرضَى .

وأتذكر يفتوشنكوَ : «لا يمكن أن يتضحَ معنى محدد لكلمة سلام إلا لهؤلاء الذي عرفوا ما هي الحرب . .» . .

وأتذكر ريتسوس : «السلام هو رائحةُ الطعامِ عند العشيةِ ، عندما تعني

الطَرَقَةُ على الباب صديقاً . السلام هو كأسٌ من الحليب الدافيء ، وكتابٌ أمام الطفلِ الذي سيستيقظُ . . يا أمهاتُ . إنَّ أَفرانَ الخبزِ تنتظركنّ لتعجنَّ فيها أرغفةَ السلام . .»

مَنْ عرفَ معنى الحربِ غيرنا؟

مَنْ دخلَ مساماتها؟ مَنْ لاكته بين أسنانها ثمانيةَ أعوامٍ؟

مَنْ تركَ أحلامَهُ معلقةً على مشجب الانتظار ، وحملَ حقيبةَ الحربِ وأمشاطَ الرصاصِ وغابَ طويلاً في الأفواجِ المتَقدّمة . .

وها نحنُ نعود الآنَ ننفضُ بقايا غبارَ امعارِكِ عن أجسادنا وأرواحنا ، ونجلسُ قليلاً في انتظارِ صوتِ المذيعِ المتهدّجَ وهو يعلن البيانَ الأخير للحرب ، لنخرج أو قُلْ لنتدفقَ إلى الشوارعِ بكلِّ جنونِ الفرحِ المخبوءِ طيلةَ ثمَانية أعوامٍ ، بكلِّ هذا السيلِ الذي أكتسح كلَّ شَيء . .

يا ربُّ . . أريدُ لغةً غير هذه . . أريدُ كلمات . . كلمات فقطْ . . كلمات غير هذه التي تخثرتْ على فمي طيلةَ الأعوام الماضية كبقعةِ دمٍ يابسة . .

ماذا أفعلُ الآن بكلِ نزيف ذاكرتي . .؟

ماذا أفعلُ بكلِّ أحزانِ التاريخِ التي شربتها مساماتي منذ نعومةِ أحلامي ، وأنا على مقاعد الدراسة . .؟

ماذا أفعلُ بكلِّ تأريخ قصائد البكاءَ والرثاء والهجران . . يا ربُّ

ماذا افعلُ بكلِّ فرحِ الشوارعِ وهي تتدفقُ فجأةً كنافورةِ سوى أن أفتحَ صدري العاري المجرّح للقطرات الباردة ، وأتركها تنسابُ على جروحي

ماذا أفعلُ سوى أن أعلنَ انتمائي لهذَا الفرح

ولا تقولوا أن الشعراءَ أميل للحزن ، حاشا ، . . . فلمْ تعدْ مثل هذه الكذبة الملفّقة ، طيلةَ قرون البكاء ، لَتنطلي الآن . . لا عليَّ ولا عليك هاتوا لي فرحاً بحجمِ فمي ، واتركوا لي حريةَ أن أحوّلهُ - هذا الفمَ المتيبّس - إلى حقولِ مطرٍ ، ونوافذِ ياسمين

هاتوا لي شوارعَ غاصةً بكلِّ هذا الكرنفالِ الراقصِ حتى الصباح ،
وسأريكم كيف أغني . .
هاتوا لي ، كلَّ هذا . .
وسأريكم كيف تكركرُ لغةَ الشعراءِ ، كأطفالٍ عراةٍ ، يركضون وراء المطرِ

وإذا كنا صبرنا على كلِّ هذا . . فذلك من أجلِّ وطن . . ليس إلاّ . . ،
وها نحن نراه الآن عائداً من طين الجبهات ورصاص السواتر البعيدة ،
يخلعُ خوذَتَهُ متعباً ، فرحاً . ويستريحُ من عناءِ الحربِ إلى الأبد

الخامسة فجراً . .
بل السادسة . .
والشوارع لمْ تنمْ بعدُ
لا تريد أن تنام

بغداد ١٩٨٨/٨/٨

كركوك

كركوك . .
شوارع تؤدي إلى القلعة
وقلعة تنفرطُ - كعنقود مدهش - إلى شوارع ، وظلال بيوت ، ونساء ، ومآذن ، و«حَبِّ الشمّس» ، وجنودٍ مستجدين ، ومقاهٍ مكتظةٍ ، وشراويل براقة ، وفنادق باردة . .
أعود إلى كركوك بعد خمسة أعوام
ياه . . كمْ تتغير المدنُ . .
أزقةٌ تتناسلُ كالقطط ،
وأخرى تنقرضُ كأحلام قديمة
ومحلاتٌ تغيّرُ عناوينها بتغيّرِ المواسم
ووجوهٌ تشيخُ
وجوهٌ تحييكَ ولكنك لا تعرفها
وجوهٌ تحدّقُ فيكَ ولا تعرفكَ . .
كمْ شختَ إذن ولا تدري
أم أنّهُ قلبكَ المثقوب الذي تبرر به نسيانَكَ دائماً
أهي المدينة التي تغيّرتْ أم الذاكرة
ذهبتُ أفتشُ عن المكتبة التي تعوّدتُ في أيام النزول (كلّ اثنين وخميس) أن أتزودَ منها بالكتبِ والمجلاتِ ، وأحياناً الصحف التي لا تصل . . .
عندما وصلتُ ، وجدتُ مكانها مطعماً . .
تحسّرتُ من كلِّ قلبي . . وقلتُ : لأدخل أيضاً . أتعشى إكراماً لذكرياتي

تأملتُ الحيطانَ المزيّنةَ بالصورِ، والمرايا التي تعكسُ الأفواهَ الماضغةَ . .
وتذكرتُ مكانها :
الجدران التي كانتْ تنوءُ برفوف الكتب
هنا كان دانتي يحتسي قَهوته معَ أبي العلاء المعري
هنا مر جبران خليلِ جبران ، وسعدي يوسف
هنا ، على هذا الرفِّ المائل قليلاً
كان مايكوفسكي يصغي باهتمامٍ لصديقه أراغون
وهو يقرأ قصائده عن عيون إلزا
في هذه الزاوية سقط الجاحظ على رأسي
فتناثرتْ أوراقه وأفكاري
في هذا الركن رأيت زوربا فهربتّهُ معي إلى المعسكر . .
علّقتُ ساخراً وأنا أغادرُ صاحبَ المطعم ذا الكرش المربع :
- إنها فئرانُ المطاعمِ التي تقرضُ المكتباتِ ، والمقاهي أحياناً . . . .
أين أمضي؟
لا أتذكّر عناوينَ أصدقائي القدامى
ولا عناوينَ أفلامِ السينمات تغريني بالتدافعِ مع الآخرين . .
والهاتفُ الوحيدُ في المدينةِ يكتظُ على أسلاكهِ حنينُ الجنودِ إلى أهاليهم ،
أغلقَ إذنيه عن ندائي المبحوحِ . . .
مضتْ ساعتان
وأنا أجوبُ الطرقات وحدي . .
ما أوحشَ المدن بلاَ أصدقاء
قلتُ : لأتصل بجليل القيسي
كان مسافراً إلى أربيل
قلتُ : لأتصل بمحمود جنداري

كان مسافراً إلى الموصل
قلت لأتصلِ بمرشد الزبيدي
كان مسافراً إلى بغداد . .
يا لحماقة المصادفات المجنونة
ما هذا؟ كأنهم اتفقوا على أن يتركوني وحيداً مع خطاي وذكرياتي . . .
جرّبتُ الكتابةَ . .
في السطرِ الثالث توقفتْ أفكاري تماماً
بدأ أخطبوَطُ الكأَبة يزحفُ على أوراقي
أوقفني جنديٌ علىَ الرصيف :
- أينِ مقرُّ «السَرِيةِ الثانيةِ»؟َ
تأملتهُ صامتاً :
عينين وحيدتين مثلي ،
و(يطغَاً) صغيراً يختصرُ تأريخَ معارك طويلة ومدن وشهداء وأفواجٍ ،
مثل (يطغي) الذي كنتُ أحملهُ في تنقّلاتيً ، بين الأًفواجِ والمعاركِ
وحقيبةً جلديةً سوداء . . ، كتلك التي أضعتها في القطارِ
قلتُ له :
- هيا بنا . . .
أنا ماض إلىِ هناك
لنقطع الطّريقَ بالثرثرات

١٩٨٨ معسكر كركوك

أنتَ تملكُ الصكوكَ . .
وأنا أملكُ القصائدَ . .
ورغم ذلك فأنا أكثرُ سعادةً منكَ
حياتُكَ : بنوكٌ ، ومسابحُ من الفسيفساء ، وسكرتيرات أنيقاتٌ ،
وكونياك ، وملاعقٌ من ذهب ، وصفقاتٌ ، ودَم . . .
وحياتي : شوارعٌ من الريحِ ، وكمبيالاتُ مستحقةٌ ، وأصدقاءٌ ، ومطرٌ ،
وخبزٌ منقوعٌ بالباقلاء . . .
ورغم ذلك . .
فأنا استطيعُ أن أضعَ رأسي على الوسادة وأحلمُ
أما أنتَ فلا تستطيع أن ترى غير الكوابيسِ

*

أنا الشاعرُ عدنان الصائغ
رأيتُ من الخنادق والمساطرِ والأكواخِ والمعسكرات
أضعافَ ما رأيتَهُ أنتَ . . من الصالوناتِ والسهراتِ والمطاعمِ
الفخمة . .
وبيدي هاتين ، . . اللتين كثيراً ما خدشتا أصابعَكَ الناعمةَ
وهما تصافحانكَ . . .
بيدي هاتين ، . .
حملتُ عشرات الجثث من ساحات المعارك
وبعتُ السجائرَ والصحفَ على أرصفة المدنَ . .
ونقلتُ الصناديقَ ، في مخازنِ الشالجيَةِ ، . . والطابوقَ والجصَّ ، لبيوتِ
الأثرياءِ . .

وغسلتُ الصحونَ في المطاعمِ الرخيصة
وعملتُ في المجاري والمقاهي والمكتباتِ
من أجلٍ لفّة همبركر . . .
أستطيعُ أن أَمضغها ملتذاً
وأنا أجوبُ الشوارعَ عائداً إلى البيتِ
أما أنتَ . . .
فما أكثر ما كنتَ تشكو المللَ والتخمةَ
وأنتَ تنبشُ أسنانَكَ المنخورةَ
بعيدان الثقاب
لتستخرَجَ . . . لحمَ الآخرين
*
أعرفُ أن في شرايينكَ يجري ماءُ الكولونيا
وفي شراييني شوارعٌ من الوحلِ
وأن ثمنَ حذائك
يعادلُ أضعافَ راتبي من المجلة
ورغمَ ذلك . .
فأنا أكثر سعادةً منكَ . .
أستطيعُ أن أغمضَ عيني
لأرى حشداً من النجوم تحطُّ على سطحِ بيتنا الطيني
وأن بين أصابعي تترقرقُ الآف الينابيع
وهي تنحدرُ إلى القرى
ما الذي نفعلُ
نحن الفقراءَ المنتشرين على أرصفة المدن
الفقراء الذين لا نملك سوى التسكّعِ والطيبةِ والحبِّ
ما أكثر ما نظرتَ إلينا بازدراء

وأنتَ تمرقُ أمامنا بسيارتكَ الفارهة
لقد قاتلنا بضراوة . .
من أجلٍ أن يكونَ لنا وطنٌ ،
وشوارعٍ ، وشمسٌ ، وأشجارٌ ، وكرامةٌ ، وخبزٌ ، وقصائد
وتاجرتَ بشراهة
من أجلٍ أن يكونَ لك رصيدٌ
وصكوكٌ وعمارات
ماذا نفعل؟
إذا كنا قد انشغلنا بهموم الوطن
وانشغلتَ بهموم الصفقات
إذا كنا قد غصنا في طين الجبهات . . حدَّ الركب
وبقيتَ تتفرج على ثيابنا المبقّعة بدَمِ المعاركِ وغبارَ القنابلِ
- من خللِ زجاجِ مكتبكَ الأنيقَ -
دون أن تجرؤَ حتى على لمسها
ورغمَ ذلكَ ،
فأنت تستطيع أن تشتري القلاعَ والذممَ والشققَ المكيّفةَ
ولكنك لن تستطيعَ أن تشتري حلمَ شاعرٍ
وذلك ما يؤرّقكَ طويلاً . .
طويلاً جداً . .

أيها الناي
لي سلطانُ الكلام ، وحاشيةٌ من الأحلامِ والريحِ
وجندٌ من المعاني والأشجارِ
مملكتي تمتدُ إلى ما لا نهايةَ الحلم . .
يرسمونها على الخريطة أحيَاناً علَى شكلِ لافتةٍ . .
أو مكتبٍ صغيرٍ في إحَدى الصحفٍ . .
أو رصيفٍ
وأرسمها عًلى شكلِ قلب أو ناي
وترسمينها على شكَلِ مصًطبة لشاعرِ مجنون
لي هذا البحرُ بتعرجاتَ أغانيه ًعلى رمًلِ الموجًةِ
البحرُ وشعرُك الطويلُ ودَيوني أَخر الشهرِ . .
ثمة ما يوصلنَي إلى الخراب
وثمة ما يوصلكَ - أيها الناي ًّ، يا صديقي - إلى قرى القصيدةِ
وهي تنأى من خلالِ النافذةِ . .
نافذة بكائي . .
آه . . كيف لمْ ألتفتْ إلى النافذةِ ، حيث تجلسُ هي ساهمةَ النظرات والأحلام
تفكرُ بالشاعرِ وقرص الأسبرين
قلتُ لها : غيَابكِ نافوَرةُ حرقة . .
ولكنها لمْ تعد
قلتُ لقلبيِ : سأذهبُ إلى البصرة ، أفلّيها شارعاً شارعاً ، بحثاً عنكِ . .
سأقفُ أمامَ تمثالِ السيابِ - بلا زهورٍ ولا عنوان -

هكذا بكلِّ انكساري وغربتي
أسائلِ المارين عنك
وأبعثُ بطاقاتي فيَ بريد البحرِ
يا لحماقاتي . . التي أورثتني كَلَّ هذا التشرّد . .
تشرّدي فيٍ شوارعِ حبكِ . .
أيها الناي . .
ساعةُ الحائط تتكتكُ . .
كمْ مضى منَ الوقت على عطلي
نظرتُ إلى فوضى مكَتبتي ، وعرفتُ لماذا مضى نصفَ حياتي
بلا ترتيب . .
أيها النايٌّ . .
كم بأسمكَ من التأوهات والقرى
وكم بأسمي من الفقرِ والغَيوم
لنا أن نأخذَ القطارَ ، نفَسَهُ ، النَازلَ إلى الجنوبِ
غريبينِ على مقعدين متقابلين
أنت تحَدّقُ من النافذة لنباحِ أعمدةِ الهاتفِ وفوانيسِ القرى النائيةِ
وأنا أكتبُ . .
وعندما نصلُ المحطةَ . .
لن نجدَ أحداً في استقبالنا
سنذهبُ إلى أقرب حانة في المدينة
هنالك - وقبل الكأسِ الأخير - سأبوحُ لكَ بشيءٍ خطيرٍ
أيها النايُ . . يا صديقَي الوحَيد
سأبوحُ لك بأسمها . .
فهل ستكتمُ السر!؟

ملتقى السياب - ١٩٨٩ البصرة

فصل.. في أول الغياب

غيابُك نافورةُ حرقة
وأنا الضاميءُ (لمْ ترويني شفتاكِ) أجلسُ على حافةِ حوضِ السيراميك
أمام مبنى دار الفنون
أتابعُ قطراتِ الماءِ . . وهي تتصاعدُ بقوةٍ ، كأسلاكٍ ذهبيةٍ لا متناهيةٍ ، سرعانَ ما تنحني . . .
وتعاودُ السقوط ثانيةً :
غيماً من الرذاذِ المتناثر - كشعركِ الطويل -
على المارةِ
وقميصي . .
وغيرة الفتيات
أو تنحدرُ دوائر ، دوائرَ - كسنواتِ عمري -
تتفرقُ . . تتسعُ . . تتسعُ ، وتضيعُ ، في الزحمةِ
لا شيءَ على السطحِ
غير فقاقيعِ الذكرياتِ تلوّنها أضواءُ الطرقِ الشاحبةِ
يا سيدتي . . يا ذاتَ العينين الواسعتين
تعرفين كمْ من الكلمات ضاعتْ
وأعرفُ كمْ من السنواتَ ستضيعُ
لا أحدَ ، يوقف هذا الضَياعَ المستمرَّ . . الذي يسمونهُ - خطأً - أيامنا
لا أحدَ ، يوقف هذين العقربين المتراكضين على ميناءِ عمري
وهما يقضمان في طرِيقهما كلَّ شيء :
الشوارعَ ، والكتبَ ، وأمنياتي . .

المطرَ ، والرسائلَ . .
الأصدقاءَ وإجازاتي القصيرةَ ،
والمشاريعَ المؤجلةَ ، والمطاعمَ . .
إلاّ أنت . .
يا أنتَ ، يا غيابكِ نافورةُ ندمٍ وحرقة واشتهاء . .
أينما تَذهبين . .
ستطاردك الذكرياتُ . .
أقولُ لكَ :
ما الذي ستفعلين غداً؟
حينما تنبشين شوارعَ بغداد ، حنيناً وغربةً وبكاءً
ولا تجدينني . .
أقولُ لك :
ما الذي سأفعلهُ غداً
بأيامي . .
حين لا أجدكِ . .

أحتفلُ بذكرى غيابك ، لوحدي
أشعلُ - في صفٍّ واحَد - شموعَ حنيني إليك
وأرقبُ قطراتِ أيامي وهيَ تنحدرُ ببطء على الطَاولةِ
بعد قليلٍ ، سيَنطفيءُ آخرُ خيوطِ اللهبً الحزين
وأبقى معً ركامِ الشمعِ المتجمِّدِ ، رَكامِ سَنواتي المنطفئة
محاطاً بالبرد والتشتّتِ
أين أنت الآنَ؟
في هذه الساعة من ضياعي
في شوارعِ ذكرياَتكِ . .
أين أنت الآن؟
غرفتي بكَاءٌ ،
جدرانها من جصٍّ ودموعٍ
ونوافذها من أحلامٍ ذابلةٍ وياسمين
أين أنت الآن؟
يا من ترَكتني أذرُّ رمادَ قصائدي في حاناتِ الأرقِ
فيشربُ نخبها الأصدقاءُ الثملون
وهم يودعونني إلى بيوتهم
وأودعهم إلى بردِ المصاطبِ
أين أنت الآن؟
لا شوارع اليوكالبتوز تدلّني عليك ، ولا نوافير نصب الحرية ، ولا حدائق إتحاد الأدباء ، ولا مصابيح الجسر الحديدي المطفأة ، ولا الهاتف القلق ، ولا ساحة الأحتفالات ، ولا لوحات ليلى العطار ، ولا

نميمة الأصدقاء ، ولا صوت ناظم الغزالي ، ولا دير العاقول ، ولا قطار المربد ، ولا عبد الرزاق الربيعي ، ولا المعارض ، ولا صياح الباعة المتجولين ، ولا أول الجنون ، ولا حزن المحطات الأخيرة ، ولا الشقة رقم «١» ، ولا مكتبات السراي ، ولا طاق كسرى ، ولا نوارس الكوفة ، ولا حنين رابعة العدوية ، ولا قباب الذهب ، ولا خرير الزاب ، ولا قيثارة أور الذهبية ، ولا كروم أبن الفارض ، ولا شرود صلاح القصب ، ولا منارة الحدباء ، ولا نساء عبد الستار ناصر ، ولا ألواح الطين ، ولا مؤلفات علي الوردي ، ولا حيل العرافات ، ولا معابد إينانا ، ولا قلق المتنبي ، ولا عيون المها بين لرصافة والجسر ، ولا أمطار الزعل ، ولا حانات أبي نؤاس ، ولا عبق الشبّو ، ولا مقهى الزهاوي ، ولا صفير القطارات ، ولا شناشيل البصرة ، ولا أغاني الصيادين ، ولا ضريح السهروردي ، ولا حماقات الباص رقم «٤» ، ولا مسودات القصائد الضائعة ، ولا الديون المتناسلة ، ولا قلق الإنتظار ، ولا . . ولا . .

مالي استنجدُ بكلٍ ذكرياتكِ

فلا أزدادُ إلاّ ضياعاً . . .

ولا أعرفُ أين أنت؟

مالي أراكِ في كلٍ الشوارعِ . . . ولا أراكِ

مالي أراكَ في كلٍ الملامحِ . . . ولا أراكَ

مالي أراكَ في كلٍ المرايا . . . ولا أراكَ

مالي أراكَ في كلٍ الكلماتِ . . . ولا أراكِ

[رأيتكَ . . .

توهمتُ أنيَ رأيتك - ذات صباحٍ مندّى برائحتكِ -

تدلفين إلى القاعةَ بشعرك الأسودً الطويلِ

بينما كنتُ أقفُ خَلفَ المنصة ، محتشداً بالجمهور والقصائد

اختضٌ تاريخي كلُّهُ ، فجأةً

وأحسستُ بأصغرِ خليةٍ في كياني ترتجفُ
أحسستُ بقلبي يَدقُّ
يدقُّ بعنف
يدقُّ كمئة ًطبلٍ في قاعة مغلقة
أحسستُ أنك تَسمعين الَدقاتً
تسمعين المارشَ الاحتفالي الكبَير
فتمشين علي دقةِ الطبولِ بغنج الملكاتِ . . .
عندما أفقتُ :
كانتْ طبولي ممزقةً
والشوارِعُ مزدحمةً بالخطى . . .
ولا أثرَ للعشبِ ورائحتكِ . .]
قولي :
أين أنتِ الآن؟

تَذَكُّر

وقفتْ أمام مرايا قصائدي
تمشّطُ أحلامَ شَعرها الطويلِ الأسودِ
وتتمايلُ بغنج لذيذ
وتتذكّرُ - وهيَ تتأملُ من علىٍ شرفةِ الورقةِ -
شريطَ يومياتها الذي مرَّ سريعاً
تذكّرتْ جنوني الذي تركتهُ على شفتيها
تذكّرتْ كلَّ حرف وفوضى وقرنفل فاضح
تذكّرتْ غرفتنا الّتي لا يملُّ المؤجّرُ من طرقِ أبوابها ، حتى منتصف الشهرِ التالي
تَذكّرتْ رمال يدي اللتين كانتا
تحتضنان تلاطم أمواجٍ خصرها
تذكّرتْ سنوات الحبِّ الثماني ، وسنوات الحربِ الثماني ،
التي أخذت من عمرنا الكثير
تذكّرتْ بريدَ القنابل الذي كان يحملُ رسائلي إليها من السواترِ البعيدة
تذكّرتْ كلَّ التفاصيل التي عشناها معاً :
الشوارع الوجلة ، الشوارع اللامبالية ،
الشوارع الضاجة ، الشوارع السعيدة ،
الشوارع المقفرة ،
الشوارع التي تشبهُ أيامنا ،
وأحلامنا المتشّعبة التي تشبهُ الشوارع :
تتفرعُ ، وتلتقي ، وتنتهي ، ولا تنتهي ، وتضيقُ ، وتتسعُ ، وتسكرُ ،

وتشيخُ ، وتتناسلُ ، وتكذبُ ، وتنامُ ، وتبولُ ، وتحلمُ وتموتُ . . .
الشوارعِ التي تحفظُ عن ظهرِ قلبٍ يومياتنا السرّية ، وخطى العشبِ ، ومواعيد زعلكِ . .
تذكّرتْ :
قيلولةَ الشاي ، وأزهارَ الشقّة رقم (١) ، وكذبَ الأصدقاء ، وقصائدَ سان جون بيرسِ ، وقائمةَ الديون ، وأمطارَ الندمِ ، والصباحات المشاغبةَ ، والباص المتأخرَ دائماً ، والقَلقَ النامي على سياجِ أحلامنا ، وأغاني قطارِ البصرة تحت رذاذ المطرِ والشظايا ، والحماقات التي كنا نرتكبها معاً ، والمصطباتِ الوَحيدةَ التي عندما نودعها لَا تطالبنا بفاتورة الحسابِ . .
تذكّرَتْ :
تسكعنا الطويلَ على الجسرِ الحديديِّ ، البكاءَ الطويلَ أمامَ يتيمٍ عابرٍ ، سرياليةَ أحلامنا ، بيانَات الحرب «السوداء» ، معارضَ الفنِّ التشكيلي ، الكتبَ المستعارةَ ، فتياتَ المدارسِ المشاكسات ، المصاعدَ العاطلةَ ، أزقةَ الهذيان ، الندى الليلي ، خرائطَ الجوعِ ، أسرّةَ الضحك ، صافرات الإنذار ، مَصابيحَ البقِّ ، عواءَ الإذاعات ، غربةَ الرازقيِّ ، فنادقَ الثرثرة ، أزَمنةَ الكلمات المتقاطعة والأماني المتقاطعة ، شموعَ الخضرِ الطافيةَ على موجِ الَدعوات الأزرق ، بكاءَ النايَات في الأعراسَ ، زقّورات بابل ، شباكَ وفيقة ، ثلوجَ سَرسنك ، قصرَ العاشق والمعشوقَ ، كورنيشَ الأعظمية ، أزقةَ الموصل التي ضللنا بها ، ديوانَ المنصف المزغني المحلّق معنا فيَ الطائرة ، ظلالَ اليوكالبتوز البخيل ، مسرحيات عوني كرومي ، استنساخَ الأحلام الممنوعة «والكتبَ الممنوعة» ، أفلامِ كوداك ، تيهَ المعريِّ ، أعمدةَ شارع الرشيد ، سراديب النجف ، عشبَ يدينا. النامي بينَ أحجارِ البازلت الأسود في قصر الملك نبوخذنصر الثاني ، حشرجةَ سيارتي قربَ بيتكم ، حصى التون

كوبرى ، ملويةَ سامراء ، رمادَ الحلاج ، نهرَ روحي الذي يمضي بين أصابعك وأنت تمسّدين أسدَ بابل الحزين ، تينَ «الشفاف» المتشقّق ، رائحةَ الزعلِ ، كشكَ المواعيد ، أسلاكَ البوحِ ، هواتفَ الحنين المتشابكة ، مدنَ السهر ، حدائقَ التسكّعِ ، جرائدَ الشرودِ ، أعمدةَ اللوعة ، نوافيرَ الوداعِ ، لافتات الفرح ، أنهارَ التذكّر . . .

تذكّرَتْ كلَّ هذا

كلَّ ما يمكنها أن تتذكّرَهُ

فبكتْ . . .

بكتْ طويلاً . . .

بكتْ طويلاً جداً

بكتْ عمراً كاملاً كما بكيتُ أنا

القطارات تتشابه دائماً

ما الذي تريدُ أن تراه بَعْدُ
أكثرَ من كلِّ هذا الذي . . . رأيتهُ
ها قد انتصفَ الليلُ وأقفرتِ المحطة
واختفى آخرُ بائع سجائر
وآخرِ بائعة حبٍ
وآخرُ شرطيٍّ
(بائع السجائر ، قلتَ له : إنَّكَ لا تدخن غيرَ أحزانكَ
وبائعةُ الحبِّ أدركتْ - يا لخيبتها - أن آخرَ ما تفكرُ به هو جسدها
وآخرُ شرطيٍّ ألقى عليكَ نظرةَ ارتياب
وعندما لمْ يجدْ فِي عينيكَ غيرَ الدموعِ والأحلامِ
وفي حقائبكَ غيرَ الأرصفة . .
أطلق صافرتَهُ واختفى في الظلامِ . . .)
ما الذي تريدُ أن ترى . .
أكثر مما رأيتهُ
رغم أنكَ ، لمْ تسافرْ
أو تدخن
أو تضيعِ فيِ سوهو مثل كولن ولسن
حياتُك سفرٌ في الأحلام
وضياعٌ على الورقِ
وتسكعٌ طويلٌ . .
تحتَ أمطارِ القصائدِ والضفائرِ الطويلةِ
ما الذي تريدُ أن ترى . .

أكثرَ من هذا؟
كتبكَ تباعُ على الرصيف
ورغم ذلك لا تجد في جيوبكَ المملوءةِ بالريحِ ، ما تشتري به :
كتاباً جديداً ،
أو قميصاً رخيصاً لطفلكَ
أحزانك تتناسلُ كالقطط
وأنتَ من نافذة غرفتك
ترقبُ الفتيات الجميلات
متأففاً على نصف حياتكَ
مشاريعكَ الكتابيةُ كالمصعد الكهربائي
دائماً تعطلُ في الطابق الرابعَ
قريباً من غرفة رئيس التحرير
(حيثُ مقصّاته بانتظاركَ) . . .
ما الذي تريدُ أن تراه إذن!؟ أكثرَ من هذا الذي رأيتهُ
ها قد انتظرتَ طويلاً . . .
طويلاً جداً
ولم يأتِ القطارُ (الذي وعدوك به في طفلتك ،
محملاً بالحلوى وبالونات السعادة والجواري والنقود)
مرت عشراتُ القطارات المملوءة بالجنودِ والبضائعِ والعرسانِ والنفطِ
والأشجار والأجانب والمسافرين
مرّتْ آلافُ الوجوه . . . وآلاف الأقنعة
مرّتْ آلافُ الأنهار والطيور والمدن والكتب والهموم والشوارع
وما زلتَ تنتظرُ قطارَ فرحك
حتى أعشبتْ قدماكَ من الوقوف
(. . بائعُ السجائرِ هزَّ كتفيهِ ساخراً . . ومضى

الشرطي اكتفى بشتيمة عابرة
بائعةُ الحبِّ التفتتْ مرتيًن . . . ثم بصقتْ
مفتشُ المحطة . . . قال :
لقد رأيتُ فيَ حياتي كثيراً . . . من أمثاله :
هؤلاء المجانين . . ماذا ينتظرون!؟)

سماء في خوذة

. . وما طاوعتني القصيدةُ
كان الوطنْ
على الساترِ المتقدّم . . .
..يحصي شظاياهُ والشهداءَ
وصحبي يعدّون للمدفعية بعضَ الفطارِ المقيتِ
وينتظرون لمائدة الحربِ ، أَن تنتهي . .
سقطتْ خوذةٌ . .
فتلمّستُ في رئتي موضعَ الثقبِ منها
امتلأتْ راحتي بالرمادْ
سقطتْ خوذةٌ
فتلمّستُ في وطني موضعَ الثقبِ منه
شرقنا معاً بالدمِ المتدفّقِ
مَنْ يوقفُ الدم . .
مَنْ . .؟
سقطتْ خوذةٌ . .
ثم أخرى
وأخرى . .
وأخرى
نظرتُ لموتي المؤجّلِ . . يرمقني ببرودٍ
ويخلعُ خوذتَهُ . .
وينام

- هي . .؟
- لا . . . .
في الطريقِ المؤدي لموتي الأخيرِ
انكسرتُ علىِ حافة النافذةْ
فتشظّيتُ فوقَ المقاعدَ
لملمني نادلُ البارِ - وَهو يلوكُ أغانيهِ - والفضلاتِ
تلوكُ المدينةُ بعضي
وبعضيٍ توزّعَ في الثكناتِ
(السنينُ شظايا . .
ولحمي عراءْ . .)
ما الذي صنعتْ فيكَ هذي المدينةُ
أين ستمضي بهذا الخرابِ الذي هو أنتَ . .
(تتكيءُ الآن فوق الأريكةَ
. . ساهمةً
ربما هي تصغي لنبضِ العصافيرِ فوق الغصونِ
ربما ستقلّبني كالمجلاتِ . .
أو ربما . . .)
- سأقنعُ نفسي بأنكِ لستِ التي . .
- . . . .
ها أنتَ منكسرٌ كالمرايا
ومنتثرٌ كالشظايا
تحاولُ أن تنتقي وطناً للجنونِ

فيفاجئكَ الحرسُ الصلفون
ينامون
بين قميصكَ ، والنبضِ
(- ماذا تحَاولُ . .؟
أو تحلمُ الآن . .؟
- . . . . .
لا شيءَ . . . .)
أنتَ ، يا أيها الولدُ الصعبُ ، مالكَ محتدماً هكذا
تفتشُ في المصعد الكهربائيِّ عن وطنٍ
وتنامُ على حجرٍ فَي الرصيف
كأنَّ الذي
بين جنبيكَ . . .ز . . .(ئـ(بـ(ـقـ[لا]ـقـ)ـلـ) . . . ـب . . .
. . . .
. . . .
- هي . . .؟
- لا . . .
- شَعرها . .!
. . انكسارُ الندى في الجفون!
وهذا الطريقُ اللذيذُ إلى الشفتينَ . .!
- قد تتوهمُ . . أنتَ تراها بكلِّ النساءِ
- ولكنها . . .
- ربما يخطيءُ القلبُ - يا سيدي - مرةً
إذْ يزاحمهُ الهمُّ . .
- لا
. . الرمادُ يغطي المدينةَ والقلبَ . .

(ها أنني في شظايا المرايا ، أُلملمُ نفسي
مقعدٌ فارغٌ
وزمانٌ بخيلْ . .)
– . . إنما حدسي لا يخيّبني
سأقولُ لكلِّ الشوارعِ : إنّي أحبك
أهمسُ للعابراتِ الجميلاتِ فوقَ مرايا دمي المتكسّرِ :
إنّي أحبَكِ

للياسمينِ المشاغب ،
للَذكرياتِ على شرفةِ القلب :
. . . . . . إنَي أحبكِ

للمطرِ المتكاثف ،
للَواجهات المضيئة ،
للأرقِ المرِّ في قَدحِ الليلِ ،
لَلعشب ،
للَشجرِ المتلفّعِ بالخوف ،
للقَمرِ المتسكّعِ تحَت جفونك :
إني أَحبكِ . . .

. . . .

. . . .

. . . .

الصبيُّ المشاكسُ شاخَ . . .
وأنت . . .!؟
أما زلَت مجنونةً برذاذِ النوافيرِ
أذكرُ كنّا نجوبُ الشوارعَ
نحلمُ في وطنٍ بمساحةِ كفي وكفكِ

لكنهم صادروا حلمَنا . .
ها أنا الآنَ ، أنظرُ من شقِ نافذةٍ
للشوارعِ
وهيٍ تضيقُ . .
تضيق
تضيقُ
فأبكي . . .
(غرفةٌ موحشة
ورقٌ وذبابْ
وبذلةُ حربٍ . . علاها الترابْ)
. . . .
. . . .
اجلسي ، ريثما تستردُّ القصائدُ أنفاسَها
فأحكي لعينيك
حتى يحطَّ علىَ شرفةِ الرمشِ
طيرُ النعَاسِ
سأبدأُ من أولِ الحربِ
أو آخرِ الحبِّ
هل نبَتدي هكذا :
غيمةً في كتاب يقصُّ الرقيبُ عناوينَ أحزانها
زهرتين تضجانً من فرحٍ أبيضٍ . .
وغماماً بخيلْ
أم ترى ننتهي بالزمان القتيلْ
سأبدأُ :
مرَّ المحبون

- تحت غصونِ المواعيدِ ، ذابلة -

وانتظرتكِ . .

مرَّ الجنودُ المستجدّون للحرب

مرّتْ خطى الفتيات ، فساتينُهنَّ القصيرةُ كالأمنياتِ

نيونُ الشوارِعِ ,والحافلَاتُ . . .

فما التفتَ القلبُ . .

إلاّ لهمسِ خطاكِ

على شارعِ الذكريَاتِ الطويلْ

اجلسي ، ريثما تستردُّ دموعيَ أنفاسَها

والزمانُ فواتيرهَ

(كأنَّ الذي مرَّ

سبعُ دقائقِ

لا سنواتٌ مثقّبةٌ

بجنون انتظاري)

لا الذكَرياتُ

ولا الشعرُ

لا الندمُ المرُّ . . .

يرجعُ ما قد تساقطَ من ورقِ الحب

اجلسي ريثما . . . .

. . . .

عيوني دوارٌ كثيفٌ

وأرصفةٌ

ونثيثُ مطرْ

(سأحكي لها عن بصاق المدينة

عن صحفِ اليومِ ، وَالحربِ ،

والمصطبات الوحيدة ، مثلي . . .)
وأقولُ لكلِّ المحطاتَ : إنكَ باقيةٌ
وأقولُ لقلبي : بانكَ لنْ تتَركيني كما الأخريات
فيوهمني الصيفُ أنَكِ محضُ سحابٍ
وأنك أبعدُ مما توهمتُ
إنَّ القَصيدةَ أبعدُ مما تصوّرتُ

أرتبكتُ أمام الرصاصةِ
كنّا معاً
في العراءِ المسجّى على وجههِ ,
خائفينَ من الموتِ
جمّعتُ عمري في جعبتي...,
ثم قسّمته :
بين طفلي . .
ومكتبتي . .
والخنادق
(للطفولة ، يتمي . .
ولامرأتي ، الشعرُ
والفقرُ . .
للحربِ ,هذا النـزيفُ الطويلُ . . .
وللذكريَات . . الرمادْ)
وماذا تبقى لكَ الآن من عمر
كنتَ تحملهُ - قلقاً - وتهرولُ بين الملاجيءِ والأمنياتِ
تخافُ عليه شظايا الزمان
قالَ العريفُ :
هو الموتُ
لا يقبلُ الطرحَ والجمعَ
فاخترْ لرأسكَ ثقباً بحجمِ أمانيكَ
هذا زمانُ الثقوبْ . . .

أو . . .
فأهربَ
الآنَ . .
من موتكَ المستحيلْ
(-لا مهربٌ . . .
هي الأرضُ أضيقُ مما تصورتُ
. . . أضيقُ من كفٍّ كهلٍ بخيلٍ . . .
فمَنْ ذا يدلُّ اليتيمَ على موضعٍ آمنٍ
وقد أظلمَ الأفقُ . .
وأسّودَ وجهُ الصباحْ)
. . . .
ولا بأسَ . .
كوّمتُ ما قد تبقى من السنواتِ البخيلةِ
ثم اندفعتُ . . .
- إلى أينَ . . .؟!
بينكَ والموتِ ,فوهةٌ لا تُرى
وتساؤلُ طفلَين :
- «بابا ، متى ستعودُ . .؟»
انكفأتُ...,
فصاحَ عريفي : هو الوطنُ الآنَ . . . . . .
فأرتجفَ القلبُ من وهنٍ أبيضٍ
واختنقتُ بدمعة ذلي :
- يا سماءَ العراقَ . .
أما مَن هواءٍ
تلفّتُ . .

كانتْ سماءُ العراقِ مثقّبةً بالشظايا
وكانتْ . . . .

. . . .

تعثّرتُ في صخرة
فرأيتُ حذائي الممزّقَ يسخرُ مني . . .
(- لا بأسَ . . .
فليكتبِ المتخمون وراءَ مكاتبهم
...عن لحومِ الوطن)

. . . .

في غرفة ، قبل عشرين
كانتْ ترتِّقُ - في وجلٍ - بنطلوني العتيقَ
وتمسحُ ذلتها بالدموع

. . . .

- أبي ، أين يوميتي . . .؟!
الصحابُ مضوا لمدارسهم . . .

. . . .

(الصحابُ مضوا للرصاص
والزمانُ أصمْ . . .)
الصحابُ . . .
الصحابُ . . .
الصـ . . .
سقطتُ . . .
فلملمني وطني . . .
وركضنا إلى الساتر الأول
نتحدى معا موتنا

- أيّنا سيخبّيءُ

يا وطني -

رأسَهُ . . .؟

ولنا خوذةٌ . . .

واحدة

بريد القنابل

إلى الشاعرة أ . . .

ربما بلا مناسبة

أنت لا تفهمين إذنْ
رجلٌ في كتابْ
سوف يعبرُ مبنى الجريدة ، شَعرُكِ هذا الصباح
فيشغلني عن دوارِ القصيدَةْ
أتأملُ فوضاكِ من فتحةٍ في القميصِ
وفوضايَ في الورقةْ
سيمرُّ بي العطرُ
يأخذني لتفاصيلِ جسمك
أو لتفاصيلِ حزني
مَنْ سيرتّبُ هذا الصباحَ القلقْ!؟
الفناجينُ باردةٌ كالصداقاتِ
والحربُ تعلكُ أيامنا
وأنا في انتظارِ الندمْ
اقلبي الصفحةَ الآنَ
برجُكِ تشغلهُ الوفياتُ
وبرجيَ تملؤهُ الطائراتُ
. . . .
. . . .
. . . .
أنت لو تفهمين إذنْ
كيفَ يربكني خجلي
حين تفضحُ وجهي مرايا النساء

كيف يكسرني زعلُ الأصدقاءِ
فأجمعُ كلَّ نثاري
وأختارُ زاويةً للحنين
هي : الوطنُ - الكأسُ - والمرأةُ الواحدةْ
(في بريدِ القذائفْ
أوزّعُ قلبيَ على الأرصفةْ
وأنتظرُ العائدين من الموتِ في عرباتِ الصدَفْ)
....
....
أنت لو تفهمين إذن
كيفَ تجمعني الحربُ في طلقةٍ
ثم تنثرني في شظايا المدنْ
اقلبي الصفحةَ الآنَ
لا وقتَ . .
إنَّ القنابلَ
تقتسمُ
الأصدقاءْ

غابةٌ من أكفٍّ
وهي من فتحةِ الكشكِ
من أفقٍ ضيّقٍ
تقطّعُ ساعاتِها سأماً وتذاكرْ :
(أكفٌّ بلونِ التراب ،
المَواعيدِ ،
والتبغِ ،
أو كاللهاثْ
أكفٌّ مرابيةٌ ،
أو منمّقةٌ ،
خشنةٌ ،
لا مباليةٌ ،
أو مشاكسةٌ
نصفُ مفتوحة ،
نصفُ جائعة ،
نصفُ آه . . .)
. . . .
. . . .
يمرُّ على الكشكِ - كلَّ صباحٍ -
أصابعُ ناحلةٌ
تتوهجُ حين تلامسُ شباكَها
ثمَّ في عجلٍ ، تنطفي عند نافذةِ الباصِ

تبصرُ في كفِّها وردةً . . .
أو رمادْ

. . . .

. . . .

تمرُّ الدقائقُ . .
والطرقاتُ . .
سرابُ الأكفِّ . .
وحافلةُ الحربِ . .
[قربَ باب الإعاشة
سينادي اعريفُ (أصابعُهُ خشنةٌ كالشظايا)
سيمدُّ له اصبعين يتيمين . .
- . . . في أول الحربِ ، واختصروا من اجازتهِ موعدَ الياسمينِ
ومن كفِّه ثلاثَ أصابعَ . . -
لا بأسَ . . .]

. . . .

. . . .

. . . سوفَ يمرُّ على الكشكِ مرتبكاً
- ربما سوفَ تشهقُ حين تراني
غصوناً مقطّعةً
- ربما علمتها القذائفُ
إنَّ الأصابعَ - في الحربِ -
. . . . مثل التذاكر

سأم ...

في الغرفة
الوقتُ . .
يسيلُ ضجرْ
يتشكّلُ نافذةً من أرق
أو جوراباً مثقوباً بالأحلامْ
أو ورقاً لكتابة آخرِ أخطائي في الحبِّ
أفتحُ دولابي الخشَبي . .
أعلّقُ - في المشجبِ -
. . . قلبي
. . . وأنام

زعل

. . . نفترقُ الآنَ

. . . .

سيشيخُ الوردُ . .
وتساّقطُ أوراقُ الوقت على نافذة الموعد
أتأملُ فستانَك - فيَ المشجبِ -
متكئاً فوق ذراَعي
أسحبُ حزني بهدوء
كي لا أوقظَ طيفَك
العشاقُ يمرون على مَصطبةِ القلبِ . .
وأنتَ وحيدٌ . .
لاشيءْ . .
وخريف
تتوزعكَ الطرقاتُ ، ويومياتُ الحربِ ، وضحكتها
يا قلبي . .
نفترقُ الآنَ ,إذن
كفين غريبين على طاولةِ الحبِّ
وفنجاني زعلٍ باردْ

. . . .

. . . .

في البدء ،
سيفترقُ الكرسيان ، قليلاً.
ويجفُّ العشبُ النامي فوق أصابعنا المتشابكةِ الأحلام

في البدءِ ، ستذبلُ أزهارُ الأشياء
في البدءَ ،
سنبكي في صمت

صورة مرتبكة

(1)

فيِ الحديقةْ
ستجلسُ - كلَّ مساءٍ -
وفيِ كفِّها
زهرةٌ من حنين
تقطّعُ أوراقَها . .
دمعةً ، دمعةً ،
أو مللْ
حينما تنتهي . . .
ستلملمُ أوراقَ خيبتها
وتغادرُ بابَ الحديقةِ . .
لا طيفَ . . .
لا زهرةً . . .
لا أملْ

(2)

في الحديقة
كرسيُّها فارَغٌ
وعلى مصطبةْ
زهرةٌ من حنينٍ ، مقطّعةٌ

وقصاصاتُ قلب

. . . .

. . . .

في الممرِ المؤدي . .

إَلى دغلِ الحبٍّ

ظلَانِ ملتصقانِ . .

وفي البابِ . . .

ظلي وحيدَ . . . . . .

. . . .

أمسية شعرية

دخلَ
الشعراءُ الـ« . . . .»
إلى القاعة
واكتظَّ الحَفلُ
لكنَّ الشعرَ،
. . . غريباً
ظلَّ أمامَ البابْ
بملابسه الرثَّة
يمنعهُ البَوابْ

إلى ايمان فقط....

ريثما . . .
تنتهي من عناقْ
زهرةٍ وفراشة
دعينا ,نمرْ على العشبِ
محترسين
خوفَ
أن
نوقظَ
العاشقَينْ
من ندى الاشتياقْ

إرتباك

ما الذي سيقولُ صحابي
إذا ما رأوني في ساحة الموعد
أهشُّ ذُباب الدقائق عَن صحنِ وجهي الدَبقْ
الشوارعُ تنفثُ سمَّ عماراتها في الوجوهِ الغريبةْ
وبغداد لا مصطبةْ
(ها أنني أتحسّسُ همسَ الأصابعِ ,
- خلف النوافذِ -

حمراء

تشعلني رغبةٌ مبهمةْ . .)
وأرقبُ في زحمةِ الوهمِ
وجهك
يبسمُ لَي ،
أو يقدّمُ أعذارَهُ
أو يهمهمُ . . .
(أنت تسيلين فوقَ المرايا
فيشربَك العابرون
ووحديَ ،
ضللتُ الطريقَ
إلى شفتيكِ)
دمي يتفصّدُ فوق الزجاجِ
وأنت . . (- أعدتَ إلى السكر . . .؟)
(- إنَّ الرجالَ بذيئون جداً أمامَ الجميلاتِ)

..قلتُ لها :
- أين يمكنُ . . .
فارتبكتْ
وأشارتْ إلى الشجرِ الملتصقْ
قربَ نبضي . .
رأيتُ النوافذَ مفتوحةً . .
والسماءَ تنفّضُ أوراقها من بقايا الغسقْ
قلتُ : نشربُ بعضَ العصيرِ المثلجِ
أو نتحاورُ . . .
مالكِ واجمةً هكذا . . . . .!؟
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
كان . .
خلفَ
الشجيرات . .
ظلٌّ قميءْ!!

قصيدة حزن كلاسيكية

الفتى اللاهي الذي قد تذكرينْ
صارَ أبْ
وله طفلانِ أو ذنبان ، آه
ودَيونٌ ً . .
ووظيفةْ
سرقتْ منه أراجيحَ الحنينْ
وأغاني الدربِ
والأمطارَ
والوجدَ الدفينْ
الفتى . . آهِ ، الفتى
لو تعلمينْ
ما الذي قد صنعتْ فيه ، مداراتُ الليالي
واحتراقاتك
والحلمُ الضنينْ

الفتى شاخَ
قُبيل الشيبةِ البكرِ
فهلا تبصرينْ
كيفَ عافتهُ المرايا ,والصبايا
كيفَ لمْ يجنِ من العمرِ سوى هذا الأنينْ
فوقَ أوراق . .
ستطويها السِّنينْ

ناقد

مرَّ من قِربنا
واستدارَ بغليونه
لمْ يحيِّ أحدْ
نهضَ الحاضرون له . . .
ما نهضتُ
صفّقوا لمقالاته ,
والرباط الأنيقَ
فلملمتُ سخريتي . . .
. . . وانصرفتُ . .
. . . .
في الجريدة . . .
- في أول الصبحِ -
أبصرتُ ناقدنا
يتربعُ منتفخاً ، فوق إحدى المقالاتِ . .
يشتمني . .!

إلى شاعر برجوازي

أوصلتني القصيدةُ للفقرِ
- هل أوصلتكَ القصيدةُ . . . للفقرِ؟
هل أسلمتكَ إلى حارسِ السجنِ
أو للتشرد
أو للجنونْ؟

. . . .

. . . .

كنا معاً نستفزُّ الأزقةَ
دشداشتين مشاكستين
وقلبين دون حذاء
وحلماً صغيراً
بديوانِ حبٍّ ،
وكسرةِ بيتْ
فكيفَ افترقنا إذنْ . .
في دروبِ القصيدة . .؟
ها أنني . . بعد عشرين عاماً من الشعرِ
لا أملكُ الآنَ
غيرَ نظافةِ قلبي
وجيبي
وحلمي القتيلْ
فكيف حصلتَ على
شقة فارهة
وكرشٍ ثقيلْ

صحبٌ كالكراسي . .
وطاولةٌ من نعاسٍ رخيص
نتكاثفُ . . ،
أو نتقطّرُ ، فوقَ الزجاجِ اللصيقِ
لساقِي فتاة تضجان
قربَ العمارةِ - حيثُ المداخلُ واحدةٌ ،
تتشابهُ كالغرباء -
رأيتكَ تسألُ بوابَها عن سماءِ المدينةِ
زرقتها ،
والنجومِ الخفيضة . .
يلتفتُ الطفلُ منذَهلاً
ويشيرُ :
سماءٌ من الكونكريت . . . . . .
على الشرفة الجانبية ،
حيثُ انكسارُ الغروب علَى حبلِ أحلامنا والغسيلِ . .
فتاةٌ ترشُّ دمانا على الأصصِ النائمةْ
فيثّاءبُ العطرُ بين انحسارِ القميصِ . . ،
وجوعي
إذن ، أنتَ لا تشبهُ الآخرين
قميصٌ يتيمٌ . .
وقلبٌ يتيمٌ . .
وذاكرةٌ شاردةْ
كلهم غادروا الشقةَ الباردةْ :

«علي» المهذّبُ في زيّه الجامعيِّ (المعري الذي
يرتدي في الصباحِ رباطاً
وفي الليلِ مشنقةً)
و«مهدي» المعذّبُ في جرحهِ العربي . . .
أبقى ,وأنت . . .
وحيدين فوقَ رصيف المساءات
ننتظر الباصَ ,والراتبَ المتقطّعَ والـ . . . . . .
(شققٌ أو أشعارْ
للبيع ,وللإيجارْ
فلماذا أنتَ بلا مأوى . . .!؟)
. . . .
. . . .
كلهم غادروني . .
الصنابيرُ ثلج
وعلى الطاولة
قطةٌ تتلصصُ - لا شيءَ غير الجرائدِ -
تقفزُ مستاءةً نحو شقة جارتنا
وانطفى في الزوايا الحوَارْ . .
وظلتْ ملابسُ صحبي معلقةً في المساميرِ
كالذكرياتْ

(*) علي ومهدي : الشاعر العراقي علي الشلاه ، والشاعر المصري مهدي مصطفى . وقد جمعهما مع الشاعر الصائغ سكن مشترك في غرفة صغيرة في حي الطالبية ببغداد قبل نهاية الثمانينات .

لا أسم للحرب

يبدأ الوطنُ - الآنَ - من جملةٍ
نصفها مضغتها المطابعُ
فالتمسي في دمي كلمةً ، لا يشوهها أحدٌ
أغني بها وطني ، من شقوق المواضعِ والقلب
حيث ينامُ الجنودُ على يطغاتَ الحنينِ المبلّلِ
ملءُ جفوني ، انكسارُ الندى ، والبلادُ
وملءَ البلاد ، افترشنا أغاني الخنادقِ والعلبَ الاجنبيةَ
تحطبنا الحربُ :
مرَّ عريفُ الاعاشة ، والطائراتُ الوطيئةُ
مرَّ شتاءُ الطفولة ، والقملُ
مرَّ الصباحُ الحديديُّ فوق زجاجِ النعاسِ
فشظّى ترقبنا لنهار جديد
لمْ يغتسلْ بعدُ منً طمث القصفِ
مرَّ ثلاثون موتاً على موتنا ،
وقنبلةٌ واحدةْ
فاقتسمنا على طاولات التوابيت ،
خبزَ البقاء المثقّبَ ،
والشاي
مرَّ الندمْ
إصبعاً ، إصبعاً ،
ستقطّعُ كفً طفولتنا ، الحربُ
تمضي بنا - في غرورِ المقاولِ - نحو مساطرها

وتبيعُ الذي لن نبيعَ
تجوعنا ، ونكابرها بالوطنِ
وتشتّتُ أيامنا ، فنشاغلُ أيامها بالتمني
وإذْ تستجيرُ طيورُ الحنينِ
بأعشاش أحزاننا
سوف نبكي على (وطنٍ)
ضيعوه . . .
فضعنا

جائع

يترنّحُ من جوعهِ
ويدور
ربما مطعمٌ في رصيفِ المروءةِ
لا يطردُ الغرباءْ
كسرةٌ أغفلتها كلابُ المدينةِ
أو ربما
آه ، لو يُؤكلُ الشجرُ المتباهي بخضرتهِ
واَلخدودُ بحمرتها
والكروشُ التي . . . . . .
والعماراتُ . . . . . .
لو يستسيغُ رغيفَ المذلةِ . .
لو . .
لقمةَ الدم . . . لو
. . . .

. . . .
في البعيد ، رأى قطعةً من نيونٍ تشعُّ
فحثَّ الخَطى مسرعاً
يتعثّرُ في جوعهِ
. . . . . . ويدورْ
لمْ يجدْ في الرصيف
سوى معرض َللزهورْ
فبكى عند عتبتهِ ، شاتماً
ثم بالْ

متسولان

في كفيها ، ايمانٌ أبيضْ
وبعينيه ، كفرٌ مفضوحْ
في آخرَة الليلِ
ينحشرانَ ،
كقططٍ شريدين
لصقَ جدارِ الجامعِ
يدنو . . .
تترددُ . . . . . .
يدنو . . .
تتـ . . . . . .
فيشوبُ
آذانَ الفجر
خيطٌ من آهٍ مبحوحْ

(1)

طَرَقاتٌ ناعمةٌ

- مَنْ . .!؟

- . . . .

ينهضُ منِ كرسي تأملهِ

هاهوِ يسمعُ . .

قربَ البابِ

هسيسَ خطَاها

في أدغالِ الروح

تتقدمُ . . .

يصغيٍ

تتقدم . . .

يصغي . . .

تتـ . . .

يصغي . . .

. . . .

يصغي . . .

يصغي

يصغي

لا شيء ، . . . . .

. . . .

غير هسيسِ تنفّسهِ

(2)

امرأتان . .
تنسلان ،
إلى قلبِ الشاعرِ
واحدةٌ . . .
تسرقُ من خزانته
الأضواءَ ، وربطةَ عنقه
والأخرى . . .
يكفيها أن تحظى بمسوّدةٍ لقصيدة
لمْ تُكملْ

(3)

خمسُ نساء يدخلنَ إلى بيتِ الشاعر
خمسُ نساءٍ يخرجن
ويظلُّ الشاعرُ في منفاه
وحيداً

(4)

ثياب . . .
أنا أكثرُ حزناً منك
لكني لا أرتدي قَميصاً أسود
حين تصادفين على رصيفِ دمعكِ الطويلِ
قلباً وحيداً يتسكّعُ
بقميص أبيض
وربطةِ عنقٍ سوداء

فهذا أنا . . .

. . . .

. . . .

أنا أكثر حزناً منك

لكني لا أرتدي ثوَباً أسودَ

بل قصائدَ سوداء

يقلقني..

إنَّ العالمَ

منقسمٌ

نصفين:

نصفٌ أنت

ونصفٌ قلقَي

مطر النساء

في انتظارك
كان النثيثُ الأخيرُ لغيمة قلبي
يبلّلُ أرصفةَ الحبِّ والحافلَاتِ
يمرُّ بي العاشقون ، سراعاً
كفاً بكفٍّ
وكفين ترتعشانِ على طاولهْ
وكفاً وحيدةْ
أنتَ يا أيها القلبُ مالكَ لا تستقرُّ
على حجر
أو رصَيفْ
الشوارعُ بين يديكَ
أغانٍ مهربةٌ
ومطرْ
الشوارعُ بين يديكَ . . . .
لكنكَ لا تملكُ الانَ تذكرةَ الباصِ
أو ثمناً لعشاء بَسيطْ
كأنَّ المدينةَ منفىً وجوعْ
يبلّلُ وجهَكَ والشجرَ المتلاصقَ ، هذا الرذاذُ المسائي
فتجلسُ مرتعشاً ، هكذا
تمرُّ بكَ العابراتُ
مظلاتهن وعطرُ المعاطف
مَنْ تتلفّتُ - لو لحظةً -

للقميصِ المبلّلِ بالبردِ والطرقاتْ

. . . .

. . . .

المظلاتُ واسعةٌ

ويداكَ تضيقانْ

والمطرْ . . .

حلمٌ راعشٌ

وخطاكَ رهانْ

والطريقُ . . .

احتمالٌ

أخيرْ . . . .

العصافير لا تحبُّ الرصاص

طلقة

يهبطُ الغصنُ . . ثانيةً
ثم يصعدُ
والبلبلُ المتأرجحُ منشغلٌ بالغناءْ
طلقةٌ . . .!
جثةٌ . . .!
يقفُ الغصنُ ، مرتجفاً
لحظةً
ثم يسكنُ . . . .
تصمتُ ـ في الغابِ ـ
كلُّ البلابلْ

١٩٨٥/١/٢٤ السليمانية

غرفةٌ منٍ ورقْ
أو صريرُ سريرٍ على سطحِ ليلِ الفنادقْ
رغبةٌ في قطارٍ طويل
جمرةٌ . . .
عبثٌ . . .
أو قلقْ
في مساءِ الشظايا الأخيرِ....,
سَأجمعُ – مثلَ القصائد – عمري
أبوّبهُ . . .
ربما سوفَ أشطبُ – في لحظة – نصفَهُ
ربما سوفَ تشطبهُ طلقةٌ عابرةْ
اتصلتُ بكَ اليومَ في . . . . . .
في الجريدةِ . .؟
لا
منتدى الأدباء . . . .؟
لا . . .
في الجنون . . .!؟
. . .
موضعٌ ثقّبتهُ الشظايا . .
وفأران يختصمان على لحمِ يومي الطريٍّ . .
وقطٌ أرَقْ
يتلمظُ منشغلاً بمراقبتي

أتشاغلُ والصحبَ (كلٌّ الأحاديثِ مكرورةٌ)
بالقصائد (. . . مكرورةٍ)
بالنساءِ . . . . [أجرّدُهنَّ .
قطعةً قطعةً ،
وأجفُّ
- ككلِّ مساء -
على بِرْكةٍ من لهاثْ]
. . . . . .

. . . . . .
مرتْ ثلاثُ قذائف . . .
عشرون . . .
هل سوف تحصي - كما اعتدتَ - موتَكَ . . .
أمِ ستنامُ على حجرٍ
ربما في الثلاثين . . .
أو . . .
فالمدافعُ لا تحسنُ العدَّ . . .
. . . . . .
هل تحسنُ الحبَّ . . .؟
وأنت . . .؟
سأنتظَرُ الباصَ . . .
لا شيء في أفقكَ - الآنَ -
غير المطرْ . . . . . .
. . . . . .
الشظايا موزّعةٌ في دمي كالرغيفْ
وعطركِ . . . يمضي بدون اتجاهٍ . . . كقلبي

(كلما عدتُ من سفرٍ أو رصيفْ
رأيتُ المسافات تنأى
(كلما عدتُ مَنِ امرأةْ
رأيتُ النساءَ فماً واحداً . . .
وخريفْ)
. . . . .
سأجلسُ عند المحطةِ ، منتظراً
طلقةً
عسساً
أو نساءْ
قطارُ التوهجِ يرحلُ في الأربعينْ
نظرتُ إلى ساعةٍ في الجدارْ
ما الذي ظلَّ لي . . .
غير عشرِ دقائق . . .
أو سنواتْ . . .

الثالثة بعد منتصف الليل ١٩٨٦/٦/٢٩ بغداد

ساحة ميسلون...

على قلق . . .
أو على موعدٍ من رمادْ
يعبرُ الباصُ . . .
(هل تذكرين حماقاتِ قلبي . . .؟)
على مقعدين نديين ، مرت بنا الطرقاتُ . . .
. . . . . . سماءُ المدينة
. . . . والأثلُ
ما كنتُ أذكرُ غيرَ الرذاذ اللذيذِ لشَعرِكِ
هل أوصدُ النافذةْ . . .؟
لا . . . . . .
(نوافذُ قلبي بدون رتاجٍ
وأنت بلا قلب
والحافَلاتُ بلا ذاكرة . . .)
يبطيءُ الباصُ حيَن يمرُّ على ميسلون
يتلفّتُ للواجهاتِ,
لمبنى الحكومة,
للشجرِ المتشابكِ ،
. . . لَلمنتهى . . .,
للغريبِ ببنطاله الرثِّ (ماذا جنيتَ من الشعرِ . . .؟
قال المفوضُ ليَ ....,
والفتاةُ الأنيقةُ . . .)
يلتفتُ الراكبون . . .

إلى زهرةٍ من دمي
ذابلةْ
تتناثرُ أوراقُها . . .
تحتَ وقعِ خطى الوقتِ ، والعابرينْ
إلى رجلٍ من ضبابٍ ، . . وحيدْ
يشيرُ لعابرةٍ
(تشيرُ الفتاةُ . . .
إلى واجهاتِ المخازن
أوَ . . .)
اتفقنا إذنْ . . .!؟
في الخميس . . .!؟
الخميسُ التصاقُ دمي في المرايا
الخميسُ له نكهةُ الذكرياتِ القديمة, والطرقِ الهائمةْ
الخميسُ انكساري الجميلُ على قمرٍ . . .
أو على نافذةْ

. . . . . .

. . . . . .

تتقاطعُ كلُّ الشوارعِ ، في ميسلون
وقدْ تتقاطعُ في راحتي ، ميسلون : مخازنُها ، والبيوتُ الأليفةُ
قد ننتحي جانباً . . .
أرقاً ، في انتظارِ القصيدة
أو قلقاً ، في انَتظارِ النسَاء الجميلاتِ
أو ننتشي بالأَغاني الَأخيرةْ
. . . .
. . . .

قلتُ يمضي بي الباصُ، حيثُ النهاياتُ . . . .
يمضي إلى أيّما حانة
أو إلى طرقٍ لا تؤدي ًلشيء
. . . . . .
(النهاياتُ موحشةٌ كالعدمْ
النهاياتُ مثل المحطات
مثل النساءِ الجميلاتِ
مصطبةٌ،
أو فمٌ،
أو سأمْ)
قلتُ يمضي بي الباصُ، أو . . .
لا . . . .

. . . .
(إلى أين تمضي بروحِكَ حافلةُ العصرِ . . .
والعجلاتِ)
تتشابهُ كلُّ المدائنِ والطرقات
في عيون الغريب
وقد تتشابَهُ - في راحتيه - الدقائقُ، كلُّ الفنادقِ
والأوجهُ العابرةْ
غير أنَّ لكلِّ شريدٍ، هواهُ وغربتهُ
. . . . .

. . . . .
ووحدي، تغربلني الطرقاتُ
تغربلني نظراتُ النساء
فيسّاقطُ القلبُ مثل النَدى (ألا تذكرين الندى

ومصاطبَ قلبي . .؟)

على عشبِ الذكرياتِ . . .

فترتعشُ النجمةُ النائمةْ . . .

. . . . . .

غيّرتكَ المدينةُ ، حاناتها ،

وجرائدها ،

والنساءْ

أترى حينَ تأوي إلى كأسِكَ المرِّ في آخرِ الليلِ

تذكرُ نخلَ القرى

وتحنُّ إلى قمرٍ في الجنوبْ

١٩٨٦/٥/٢٥ بغداد الجديدة

تمرين لكتابة قصيدة

إلى صديقي الشاعر عبد الرزاق الربيعي

في زحمة الطرقات ، آهْ
في زحمةَ الكلماتَ ، آهْ
في زحمةَ الآهاتَ ، آهْ
في ضجةَ المتدافَعين إلى القصيدة ، في المرايا ، في التفاصيلِ الصغيرة ، في عواء الروحِ ، في الصفعاَت ، في الغرف الرخيصة ، في مقاهي العاطلين ، وفي انكفائي آخرَ الليَلِ المعتّق ، في شظايا الروحِ تحت موائد البارات ، في حزن المحطات الأخيرة ، في الندى المذبوحِ ، في إغواءِ بنَتِ الليلَ ، في الشعَرِ المشاكسِ ، في التذكرِ ، . . . ألفُ آهَ

. . . .

. . . .

(- يا صاحبي ماذا جنيتَ من القصيدة؟
غير هذا الفقرِ والسفرِ المبكّرِ والجنونْ
ماذا جنيتَ مَن النساء؟
أوَ كلما أحببتَ أخرىَ . . .
...صادفتكَ على الرصيفِ
نسيتَ أنكَ جائعٌ ومشتّتٌ
ونسيتَ أنكَ دون بيتْ . . .!)

. . . .

. . . .

. . . .

في زحمة الوجه الجميل
وناهديهاَ ، والجنَون

وأنتَ منكسرٌ أمام قميصها المفتوح

. . . . .

. . . . .

(- أقرأتِ ديواني النحيلْ؟

- . . . .

. . . .

. . . .!)

في الليلِ ، أحصيتُ التأوّهَ ، ألفَ آهْ
في الليلِ ، أحصيت النقودَ
وكنت مدهشةً بفستانِ التوهّجِ والتغنّجِ
تبسمينَ لوجهي المصفرِّ ،
للأضواء
للكهلِ الثريِّ . . .
وترقصين

. . . .

. . . .

(- وأنا وأنتَ . . .
على الطريقِ :
ظلاّن
منكسرانِ
في
الزمن
الصفيقِ . . .
إنْ جارَ بي زمني
اتكأتُ على صديقي . . .)

. . . .

فـي زحمـة الحـرسِ المدجّج بـالـشتـائـمِ ، في اللـيالـي الـكـالحات بـلا بصيص ، في أغانيكَ الحزينة خلفَ نافذة القطارِ ، وفي بقايا الزاد والسفرِ الموحّد نحو حامية المدينة ، في الرشاوى ، في المكاتب ، في الدفاعِ المستميتِ عن القصيدةِ . . .في التحمّلِ ، في التجمّلِ ، في العراء . . .

في زحمة المتدافعين ، أضعتُ أولَ خطوتي
في زحمةَ المتراكضين ، أضعتُ آخرَ خطوتي
وبقيتُ وحَدي في الطريقِ . . .
مشتّتَ الخطوات
أبحثُ عن خطايَ المستحيلةْ

۳-۱۰/۱۰/۱۹۸۵بغداد

توهمتُ أنَّ النساءَ سيحفظنَ ودي
وأنَّ المدينةَ - تلكَ الضياعُ الكبيرُ -
ستذكرُ وجهي،
إذا ما تغرّبتُ عن ليلِ حاناتها - ذاتَ يومٍ -
وأن المقاهي ستسألُ صحبي
لماذا تأخّرَ
عن شايه والجرائد؟
في أيِّ بارٍ تشظّى . . .؟
بأيِّ الزحامِ أضاعَ أمانيه والخطوات؟
على أيِّ مصطبة داهمتهُ طيورُ النعاسِ المفاجيء
فأنسلَّ من بين أحلامهِ والجنونِ . . .
ونامْ
توهمتُ أنَّ الجرائدَ - يا للحماقةْ -
سترثي رحيلي المبكّرَ . . .
إنَّ عيونَ التي قايضتنِي الندى ، باللظى
والقصيدة ، بالبنطلونِ القصيرِ
ستغسلُ أخطاءَها بالدموعِ ، ورائي . .
توهمتُ أنَّ الحمامَ الذي كان ينقرُ نافذتي ، في الصباحِ
سيهجرُ أعشاشَهُ ، في الحديقةْ
إذا ما رأى مقعدي فارغاً . .
والكتابَ الذي فوق طاولتي
مطبقاً ،صامتاً

والأزاهيرَ كالحةً لا ترفُّ

. . . .

. . . .

توهمتُ . . .

يا ليتني ما صحوتُ من الوهمِ ,يوماً

فأبصرُ كلَّ المرايا مكسّرةً

والمساءاتِ فارغةً ، في المدينةِ ، حدَّ التوحشِ

لكنني . . .

- بعد عشرين عاماً مضينَ (. . وماذا تبقى؟) -

سأمضي مع الوهمِ . . .

حتى النهايةْ

آب ١٩٨٥ بغداد

الثلاثون

ثلاثين أطفأتَ . . . يا صاحبي
وها أنتَ منكفيءٌ فوقَ طاولةٍ ، آخرَ البارِ
بين القصيدة, والحزنِ
ها أنتَ من دَونِ بيتَ
تكدّسُ كتبَكَ تَحتَ السّريرِ
وتحلمُ في بنطلون جديد
وفجر جديد ، بوسعِ مجاًعات عمركَ
تحلمُ أَنْ يتصدَّرَ أسمُكَ بعضَ الجرائد
أنْ تتسكّعَ تحتَ رذاذَ الصباحِ اللذيذِ مَعَ امرأةٍ
أنْ تنامَ بدون ديونْ
وها أنتَ بين الفنادقِ ,والبردِ
بين الليالي ,ونافذة
كنتَ تحلمُ من خلفَ قضبانها ,
والزجاجِ المكسّرِ
- كالأمنياتَ -
ببيت صغير ، يسيّجهُ الشعرُ والبرتَقالُ
ومكتبةً ، . . .
وصغارٍ ، يضجّون في باحةِ البيتِ باللعبِ والزقزقاتِ
ثلاثونَ مرّتْ
فما ترتجي بعد هذا العناءِ الطويلِ
أَلمْ تقتنع بعدُ
أنَّ الأماني سرابٌ

وأنَّ حياتَكَ . . . محضُ احتراقْ
شمعةً تنطفي . . .
إثرَ أخرى
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وأعرفُ أنَّ ثلاثين عاماً ، . . . يمرُّ
هو العمرُ . . .
لكنني لا أبوحُ
وما بعدهُ؟
غير أنْ تتوكّأ عكّازةَ الشيبِ
متجهاً . . .
نحو قبركَ
قبلَ الأَوانْ

١٤ كانون الثاني ١٩٨٥ - السليمانية

هواجس لا تعني أحداً

يكفيني
- في هذا العالمِ -
يكفيني
بيتٌ من طينٍ :
بنوافذَ من بحرٍ
وشجيرات وارفةٍ
لا يقفُ الدائنُ في عتبةِ بابي - آخرةَ الشهرِ -
ولا . . .
تكفيني كسرةُ خبزٍ بمساحةِ قلبي
وكتاب . . .!
فلماذا يحتجُّ الناسُ على حلمي؟
ويكيدُ لي الأصحابْ
أنا لا أطمحُ في كرشٍ منفوخٍ
وعمارات
لا أطمعُ أَنْ أتسلّقَ أعناقَ الخلاّنِ
...إلى طاولةٍ فخمةٍ
ورباط للعنقْ
فلماذاً تتسلّقُ عنقي المهزول؟
يا خلي . . .!
وتفكّرُ، من أيّة منطقة،
يصَلحُ للشنَقْ

*

لكَ كلّ الأشياءِ
ولِي هذا الحلمْ َ
لكَ - يا خلي - صخب العالم ,
هذا المجنون على إيقاعِ الديسكو,
. . . والأضواء
ولي صمتُ اللَيل
فلماذا حاولتَ بأنْ تسرقَ مِن بيتي
ضوءَ الشمعة؟
لكَ كلّ الصالات ،
الحفلاتَ ،
النسوةَ ،
والَندل الليليين . . .
ولِي مصطبةٌ باردةٌ في آَخرةِ المشتل
لكَ أموال الدنيا . . .
- آه -
وليَ فقرُ الشعرِ
فلماذا حاولتَ بأنْ . . . .
. . . .
. . . . .؟!

١٩٨٥/٦/٤ السليمانية - جوارتا

أغنيات العريف صباح

في وميضِ الرصاصة ، كانتْ عيونُ الجنود ، وراءَ السواترِ
تثقبُ جنحَ المساء المخيّمِ ، تزدادُ وهجاً . . .
كجمرِ السجائرِ ، في هبّةِ الريحِ . . .
مَنْ أوقدَ النارَ . .!؟ . . . . . .
إنَّ الأوامرَ تمنعُ - في حلكِ الليلِ -
أيَّ وميض . . .
سوىً جمرة القلب ،
تلك الّتي تتوهجُ
مثل المواقد «تشجرها» الذكرياتُ . . .
إذا حلّقَ الصحبُ ،
كان «صباح» ، العريفُ ، يغني بصوتٍ رخيمٍ
- كبوحِ السواقي الحزينة -
يقطرُ وجَداً :
«اللي مضيّع ذهبْ . . . . . .
بسوق الذهب يلقاه . . .
واللي مضيّع محبْ
يمكن سنه وينساه . . .»
تقاطعُهُ رشقاتُ المدافع
«بس المضيّع وطن
وين الوطن يلقاه . . .!؟»
ثم يجلسُ فوق سريري
يحدّثني عن هواهُ . . .

فيأتلقُ الليلُ : نجماتهُ والرصاص

. . . . . .

. . . . . .

قيلَ كان صباحُ العريفُ إذا أطبقَ الموتُ فكّيهِ ,غنى . . .
وَقيلَ صباحُ المشاكسُ في الحبِّ والحربِ
طلقتهُ لا تخيبُ
يشمُّ النخيلَ ,فيعرفُ أنَّ الحبيبةَ
مرّتْ - قبيلَ الغروبِ - بفستانها البرتقاليِّ
يعرفُ ماذا يخبّيءُ - خلفَ السواترِ - هذا المساءُ الثقيل
فيحملُ رشاشَهُ - صامتاً - ويغيبُ
بجوفِ الظلامْ

بغداد ١٩٨٣/٦/١٨

موت طلقة...

أعرفُ أنَّ الطلقةَ
قاسيةٌ حدَّ اللعنة
ـ حين تمرُّ أمامَ المَوضعِ . . ـ
لا ترحم . . .
لكني . . .!
سأغني - رغماً عنها -
موالاً لـ«حسين نعمة»
وأمدُّ برأسي
كي أبصرَ أيَّ زهورٍ
نبتتْ هذا الصبحَ . . .
على سفحِ «خليفان»
وأنثرُ بعضَ فتاتِ الخبزِ . . .
لسربِ عصافير
حطَّ عَلى «خزّانِ الماء»
وأصلي لله . . .

*

أعرفُ أنَّ الطلقةَ . . .
رعناءٌ حدَّ الموتِ
وميتةُ القلب
لا ترحمُ - في الحربِ - أباها
لكني . . .!
أسخرُ منها

وأمدُّ لساني - حين تمرُّ - بهزءٍ
أتحداها . . .
أنْ تغتالَ منٍ القلبِ . . .
قصيدةَ حبٍ . . .
ولدتْ - هذا الصبحَ -
ببابِ الموضع
أتحداَها . . .
أنْ تمنعَ طيفَ امرأة . . .
ينسلُّ إلى جفني المتعبِ
كلَّ مساء
أتحداها . . .
أنْ تسكتَ في غابةِ روحي
تغريدَ عصافيرِ الفجرَ

١٩٨٤ بغداد

عن الفتى كريم ...

إلى الشهيد كريم يوسف الذبحاوي

على نخلة . .
في «المحاجير»(*)
حطّتْ ثلاثُ حمامات
كان الصباحُ ينفّضُ أغصانَهُ من بقايا الندى
فيرتعشُ العشبُ . . .
كان أبوهُ بزهوِ عباءته ,والعقالْ
يسرّحُ عينيه نحو الفَضاءات
نحوِ الدروبَ التي نبتَ الدغَلُ فيها
لعلّ غريباً ببَاب «المضيفِ» يؤجّجُ جمرَ الدلالْ
لعلّ كريماً يجيءُ
بنجماته اللامعات على الكتفين , وضحكته الآسرةْ
ينفّضُ عَنه شجونَ المشيبِ ,وصمتَ الليالْ
لعلَّ . . . . . .

*
إلىِ نخلة في «المحاجير»
طارَ الحمامْ
يرفُّ على موكبٍ عابرٍ في الأثيرِ
اشرأبّتْ له
كلُّ أعناقنا
والنخيلُ المكابرُ
كلُّ المدى ,

وعيونُ الرجالْ

*

يا عذارى «أبي صخير»(*) إنْ جاءَكنّ الفتى القرويُّ
على كفِّه قمرٌ وعراقْ
محنىً بدَمٍّ شهادته
فاحملنَّ صواني الشموعِ إلى عرسه
ثم حنّينَ من دمه المستطابِ جدائلَكنَّ
فما كان يعشقُ إلاّ الأقاحيَ
ونخلَ «المحاجير»
والخصلات المحنّاةَ في ليلةِ العرسِ
ما كانَ يحمَلُ في روحهِ
غيرَ وهْجِ العراقْ

*

يا رجالَ العشيرة ، لا تكسفوا «يوسفاً»
انحروا لمجيء كريمِ الذبائحَ
لا تقلقوا شيبَهُ والعقالَ الوقور
فالمضيفُ امتلأ بالرجالْ
وما زالَ دربُ «المحاجير»
يقطرُ بالناسِ من كلِّ فجٍّ
إلى بيته
ويا «أمَ كَريم» ، أما قلت : إنْ جاءَ - دينٌ عليَّ -
أزفُّ لعينيه أحلى صبايا «المحاجير»
ها هو جاءَ
فما تنظرين
والعذارى،

جميع العذارى ,تقاطرنَ من كلٍّ بيتٍ ، إليكِ
على خفرٍ
كنٌ يرفعنَ ألحاظهنَّ ،
لصورتهِ

*

. . . .

. . . .

إلى نخلة . . .
فيِ «المحاجًير»
طارَ حمامُ العراقْ

الكوفة ١٩٨٥/٤/٢

(*) المحاجير : قرية هادئة تقع على ضفاف نهر الفرات ، في قضاء المناذرة (أبي صخير) جنوب مدينة النجف ، نشأ فيها الشهيد كريم يوسف الذبحاوي .

نجمة..

إلى حميد الزيدي

ولوجه صديقي . . .
لونُ النَهر
وأكواخُ الَفقراء
وحزنُ مواويلِ َالريف
. . . .
لوجهِ صديقي . . .
كتبٌ . . .
وملابس . .
للعيد الآتي
خبّأهَا في صندوق صدئٍ
وطيورٌ يعشقُها . . .
وجسورٌ من ألواحٍ ناتئة
عبرتها قدماهُ الحاًفيتانً . . .
إلى غاباتِ الحلم

لوجه صديقي
إذْ ألقاهُ يحدّقُ في الفتيات
عذوبةُ نهر الكوفةِ - في اللَيلِ الصيفيٍّ -
ورائحةُ الآَسْ
يسألُ عذّالَ الطرقات المجنونةِ . . .
عن تلك الفارعةِ الطَولِ
يقولُ لها :

إنَّ قصائدَ كلِّ العالمِ . . .
لا تكفي ضحكة عينيكِ

لوجه صديقي . . إذْ يحتدُّ
سماءٌ ممطرةٌ . .
وزوابعُ لا ترحم
مَنْ قالَ بأنَّ حديقتَهُ الملأى بالأزهارِ
- إذا زحفَ الغرباءُ إليها -
لا تتحولُ أشواكاً وحرابْ؟
مَنْ قالْ . . . . . .!
. . . .

*
هذي النجمةُ ، . . .
- يا جدي . . . -
ليستْ كالنجمات!؟
- . . . .!
- هذي النجمةُ ، . . . تمشي . . . ، يا جدي
تمشي ، تمشي . . . .!!
تعبرُ فوق سطوحِ القرية ، . . .
بيتاً . . . بيتاً!؟
- بل هي - يا ولدي - طائرةٌ
تتجسّس - في الليلِ - على أحوال مدينتنا
- . . . . . ولماذا لا نسقطها يا جديَ . .!؟
. . . .!

*

الدوشكةُ . . .
تعرفُ أحزانَ صديقي
ولوجه صديقي - خلفَ الناظورِ -
عيونٌ تَثقبُ قلبَ العتمةْ!
. . . . . .
-آه . . .
لو تعبرُ - ليلَ مدينتنا - تلك النجمةْ!

بغداد ١٩٨٣/٤/٢٩

لدمي . . .
هذا الوجدُ،
الضوءُ الراعشُ في كلِّ مصابيحِ الطرقاتِ الليليةِ
كنتُ أطاردُ ظلي
وأسابقُ صحبيٍ حتى آخر مصباحٍ في المشتلِ
ثم أعودُ – مساءً –
تعباً ،
أتمدّدُ فوق السطحِ . . . وأحلمُ
أحصي النجماتِ . . .
. . . وأغفو!

لدمي . . . آه
أنْ يسقي أعشّابَ الكلماتِ
ويزهرُ – كلَّ صباحٍ –
وردةَ قدّاحٍ
فوق قميصِ التلميذاتِ . . .
وفي راحاتِ العمالَ الخشنةِ . . .
. . . يمضونَ إلى الشَغلِ
وفي الثكناتْ

لدمي . . .
حلمٌ فضيٌّ . . .

ونوافذُ بيضاء . . .
. . . وكراسةُ رسمٍ . . .
. . . وصبيٌّ كان يشاكسُ حتى الريحْ
امتلأتْ كراساتُ الرسم . . .
كبرتْ نافذةُ الحلم . . .
ولمْ يكبرْ هذا الولدُ اللاهي في الطرقاتْ!

١٩٨٤ بغداد

ما بين الطلقة ,والطلقة
ثمةَ متسعٌ للَحلمِ
ألا تجلسَ ، سيدتي ,فوقَ الهدبِ المتكسّرِ
- بعضَ الوقتِ -
أقاسمها أرقي
وأحدّثها عن نجمٍ مغتربٍ . . . يدعى قلبي
سافرَ بين جدائلهاً . . .
منذُ سنين . . .
وما زال وحيداً ,يبحثُ في غاباتِ المدنِ المقهورةِ
عن عصفورته المجنونة
هل تكفيِ ماَ في جعبَةِ هذا العالم من كلماتٍ
كي أكتبَ عن عينيكَ . . . وحزنِي؟
أمْ أشتلَ روحي زهرةَ قدّاحٍ في شَعرِكِ
هذا المنسّابِ رخيَماً ،
متئداً ،
مجنونَ العطرِ,
كنهرِ الكوفة . . .
ثم أموتْ!؟
هل تجلسُ فاتنتي . . .!؟
- خمسَ دقائق أخرى . . .
فالليلُ طويلٌ . . .
أطول من ليلِ العاشقِ ,منتظراً

وجهَ الفارعة القامة ،
يشرقُ مشتعَلاً بالخجلِ القرويِّ . . .
- كعادتها -
حين تمرّ على دكّانِ أبيهِ
. . . .
. . . .
هل تفزعُ سيدتي . . .!؟
حين تمرّ الطلقةُ من فوق الجفنِ
فتلملمُ أذيالَ الفستانِ الورديِّ
وتهرعُ راكضةً . . .
كغزالٍ مذعورٍ نحو الريحْ
فأصيحُ :
- اللعنة . . .أنْ تغتالَ الطلقةُ . . .
. . . حتى الحلمْ!

بغداد ١٩٨٣/٨/٢

في الليلِ ،
كانتْ نجمةُ القلقِ الشريدةُ
تقتفي خطويْ إلى بيت التي
منحتْ دمي هذا التوهجَ والجنونْ
كانتْ تقاسمني التسكعَ في الطريقْ
حتى إذا تعبت....,
ستتركني وحيداً . . .
بين نافذة تضيءُ ,
وزهرة حمراء تذبلُ . . .
بين قلبي ,
والقصيدةْ . . .
في الليلِ . . .
أسترقُ الخطى
وأمرُّ كالقمرِ المغني
كالغريبْ
بين النوافذ
والأزقّة
والسطوحِ النائمةْ
مالي ، ونافذة تضيءُ . . . وتنطفي
مالي ، وسيدة لها شعرٌ من الأبنوسِ
توعدني
وتتركني ببابِ حديقةِ الأملِ الموارب,

ذابلاً
وحدي ، وزهر الياسمينْ
وحدي ، ونجمة روحي البيضاء في ليلِ القصيدةْ
وحدي ، أضيء!

٢٣ آب ١٩٨٤ كركوك

تداعيات رجل حزين في ليلة ٩ آب ١٩٨٣

(1)

هل تبحثُ مثلي . . . في خارطةِ
الكلماتِ المنسيّةِ عن وجهك
هذا المغبرّ . . .
من التجوال . . .
وأتربة الغربةَ
أمْ تبقى تحتَ رذاذ الحزن . . . وحيداً
- كشجيرة صفصاَف يابَسة -
تتسكّعُ بحَثاً عن امرأةٍ . . . تؤويكَ
بمنتصف العمر
تقاسمُكَ الرغبَةَ في تهذيبِ العالمِ
بالكلمات
أو الموت ، وحيدَين ، . . .
على أرصفة الأشعارْ
أيّ بلاد تعرفُ حجَمَ حنينكَ في هذا القبوِ المظلمِ
تعرفُ أنَّ الشرطي . . . . .
في ساحات العالمِ
يبقى أكثرَ ظلاً من كلٍ الأشجارْ

(2)

كلٍّ همومكَ . . . تغرقْ
كلّ حروفِكَ . . تغرقْ

كلُّ خرائط قلبكَ . . . تغرقْ
حين تكونَ أمامَ عيونِ امرأة زرقاء
فلا يطفو فوقَ الساحلِ غيرً جنونكَ . . .
والزبدِ الأزرقْ

(3)

أعرفُ أني سأموتُ ,بدون رثاء ،
مجهولاً في أحد المنعطفاتْ
لكنَّ قصائدَ قلبيَ ستظلُّ
كجرحِ مسيح -
تنزفُ ،
...فوق صليبِ عذاباتِ الفقراء

وتنمو ،
كظلالِ اليوكالبتوز
بساحاتِ بلادي
هل أملكُ غيرَ الشعرِ . . .
فيا صافيةَ العينين . . .
دعيني أمطرُ أشعاري فوق رصيفك
قبلَ رحيلِ غيومي ، نحو بلاد لا تعَشقُ رائحةَ الأمطار
ولمْ تفتحْ - يوماً - دفترَ أشعارً
ولم . . .!
آه . . يا صافيةَ العينين
لماذا لا تفتحُ بعضُ المدنِ الحجرية . . .
غاباتَ للعشاق!؟
وتفتحُ - كلَّ صباحٍ - زنزاناتٍ أخرى

(4)

هل يكفي – ما في العالمِ –
من أنهار؟
كي أغسلَ أحزانَ يتيم
هل يكفي ما في هذا العصرِ من القهرِ
لأرثيِ
موت الإنسان
بعصرِ حقوق َالإنسان!!؟

(5)

أتركُ متسعاً في صدري ، لشجونٍ أخرى
سوف تجيءُ
فهذا الزمنُ الآتي . . . لا يأتي
– قلْ عني المتشائمَ –
إلاّ بشجون أخرى
أتركُ متسعاً في آخرِ أوراقي . .
لقصيدة حب . . قد تأتي
فالكلماتُ – كَكلٍّ امرأةٍ تركتْ موعدَها وارتحلتْ –
قد تأتي . . .
أو . . . .
لا تأتي

(6)

من أينَ يجيءُ الحزنُ
وقلبي ، أوصدتُ جميعَ نوافذهِ

لكنَّ الحزنَ . . . «لعينٌ»
يتسلّلُ أحياناً بثيابِ امرأةٍ لا أعرفها
أو بكتاب ممنوع
أو بمواويلِ الغربةِ في ليلةِ صيف قمراء
مَنْ ذا سأقاسمهُ حزني . . . في هذي الساعةِ من آخرةِ الليلِ
ولا شيء سوى مصباحي الواني,
والبقِّ . . .
وأحزان الدنيا تتكاثرُ كالطحلبِ,
فوق ضَفاف دمي . . .
هذا الآسنَ . . في الزمنِ الآسنِ
لكني ، لو أملكُ شيئاً غيرَ الشعرِ
لأطفأتُ المصباحَ . .
ونمتْ!

١٩٨٣/٨/٩ بغداد

ذلك البكاء الجميل

إلى ١٩٨٥ . . و«وارد بدر السالم»

«ستكون حياتُكِ خاويةً . . إذا لمْ تجربي يومياتنا . .»

- وارد . . . -

. . . .

وكمْ نتحسّرُ - في آخرِ العامِ . .!؟

نبكي على السنواتِ التي ارتَحلتْ

مثلما سوفَ نبكي عَلى السنواتِ التي سوف تأتي

وكمْ نستعيدُ عذاباتها في المقاهيَ الكسولةِ . . .

حلماً بعيداً

تجرجرنا حسرةٌ نحو ساق فتاة تمرُّ . . .

وأخرى ، . . . إلى حانة . . .

نتذكّرُ - من خللِ الكأسِ -

نزْواتنا ,والحدائقِ . . .

يا ما لهوتَ وراءَ الجسورِ البعيدة

يا ما نصبتَ فخاخَ الهوَى للبناتِ الغريراتِ . .

يا ما ركضتَ . . .

ويا ما عبثتَ بلحية جدِّكَ . .

(. . كمْ كانَ يعبثُ في شَعركَ الذهبيِّ

ويرنو إليكَ بحسرتهِ ,والمشيبَ . . .)

ويا ما . . .

وتذكرُ - بين الوظيفة (يا لرتابة ساعاتها المبطئاتِ!) . .

وبين ضجيجِ صَغاركَ فيَ البيتِ -

«قاطَكَ»

والشيبةَ البكرَ
والاندفاعَ اللذيذَ وراءَ الأغاني الرديئةِ والأصدقاء
وراءَ سرابِ الوظيفة والفتياتِ
وراءَ القصيدَة والحلمِ . .
يا للحماقاتِ . . .
يالي . . .
. . . .
. . . .
ستبصرُ . . .
إذ تدخلُ - الآنَ - «مقهى الزهاويِّ»
أيامَكَ القادمات :
انحناءَةَ ظهركَ،
تقطيبةَ النسوَة العابراتِ،
دخانَ (النراجَيلِ)،
موتَ المروجِ الخصَيبةِ،
وقتَ الدواءِ . . . .
. . . .
. . . .
فتبكي على عمرِكَ المتسارعِ
تبكي لوحدكَ . . .
في آخرِ العامِ . . .
ثمّ . . . . . .!
. . . .
. . . .

١٩٨٤/١٢/١٣ السليمانية

في المكتبة

هدأتْ قاعةُ المكتبةْ
والضجيجُ المهذّبُ ، والهمهماتْ
الفتاةُ التي ابتسمتْ
إذ دخلتُ
وكانتْ تبادلني النظراتْ
غادرتْ . .
ها هو كرسيُّها فارغٌ مثلَ روحي . .
وما عادَ ذو النظّارتينِ ، المكبُّ على الأسطرِ الصفرِ
يسعلُ . .
أو يرقبُ البابَ ، منتظراً حلماً لا يجيء
والمقاعدُ
ما عادَ يربكها الازدحامُ الجميلُ . .
وهمسُ التلاميذِ من خللِ الصفحاتْ
. . . .

. . . .
تلفّتُّ . .
كنتُ وحيداً ، أمامَ الكتابِ الذي بعدُ لمْ ينتهِ
وكانتْ «موظفةُ الاستعارةِ» ، ترمقُ ساعتها
ثم ترمقني بارتباكٍ لذيذْ
. . . . . .

. . . .

كانون الثاني ١٩٨٥ ـ السليمانية

ليستْ هي مرثية... لي

الأَسرّةُ غربةْ
والمنافي جوعْ
وزّعتني الأَسِرّةُ - لا فرقَ -
أو شتّتَتْني القصائدُ
بين المحطات ، والكتب المستعارة
بين ثيابِ النساءِ القصيرةِ ، والضحكةِ المستعارةْ

الأَسرّةُ شبهُ وطنْ
الأَسَرّةُ نصفُ وطنْ
الأَسَرّةُ نصفُ عواءْ
الأَسِرّةُ . . ، عمري الموزّعُ
بين الفنادق ، والقرية - الحلم
. . . بين الخنادق ، والوطنِ - الحلمِ
(لا حلمَ . .! في زمنِ اللوعةِ المستعارة)
والقصائدُ نزفْ
. . . .
. . . .
(على الطاولةْ
ورقٌ ، ودمي . .
تجلسُ امرأةٌ ، . .
تتسلى بصبغِ أظافرها . .
أتسلى بصبغِ القصيدةِ . .

. . . أو
بالنـزيفْ)

. . . .

. . . .
البكاءُ أسرّةْ
الجنونُ أَسَرّةْ
النساءُ أَسَرّةْ
والرجالُ . . مطرْ
(قميصك ، هذا اللئيمُ الذي لا يبوحُ
قميصكَ ، هذا اشتعالُ المرايا
فكيفَ سَأتركهُ
في السريرِ وحيداً
وأمضي وحيداً . . .)

*

هامش (١)
مَنْ ذا يعيدُ إليَّ سريرَ الطفولةِ
والأنجمِ الحالماتِ . . . ،
وهدهدةَ الأمِ . . . ،
مَنْ ذا . . .!؟

. . .
غرّبتني الأسرّةُ . . أو
غرّبتنا الليالي معاً . . .
أفي كلِّ يومٍ ، سريرٌ جديدٌ
ومنفى . . .

وجوعْ
أفي كلِّ يومٍ ، . . سأوقدُ نفسَ الشموعْ
وأطفئها بالدموعْ
شمعةً . .
شمعةً
. . . وأنامْ

*

هامش (٢)

إذا ما تعبتَ من الوهمِ . .
أو أتعبتكَ دروبُ الزمانْ
إذا شتّتكَ النساءُ . .
إذا رفضتكَ الجرائدُ والأصدقاءُ . .
إذا ما تذكّرتَ أنّكَ . . .
لا تملكُ - الآن - بيتاً ، ولا شرشفاً
فنمْ . . في عراءِ الرصيفْ
التحفْ حلمَكَ الشاعريَّ
ولا تستدنْ حلماً أو سريراً ذليلاً . .
من الآخرينْ

بغداد ١٩٨٦/٥/٦

انطفاء

رغبةٌ عارمةْ
لذةٌ من جنونْ
. . وانكسارُ مرايا
رغبةٌ كاللهاثِ على جسدٍ أو حجرْ
لذةٌ كالنصالْ
. . . . . .
هكذا ، والدقائقُ جمرْ
هكذا ، والشوارعُ خالية من خطى امرأة
. . أو ظلالُ
هكذا ، أطفأَ الرغبةَ المستريبةَ ، بالحلمِ
ثم انطفا
لاهثاً
منهكاً
فوق صمتِ الأريكةْ
. . . .
. . . .
بعد عشرِ ثوانٍ
على موتِه
جرسُ البَابِ يُقرعُ . . .
. . . ها أنّهاَ قادمة . . .!

١٩٨٦/١٠/١١ بغداد

تتمايسين كسنبلةْ
وأنا سكونُ الصخرِ - في المنفى -
وموتُ الأسئلةْ
الريحُ مرّتْ ، لا مباليةً
وقلبي لمْ يعدْ تشجيه أوراقُ الخريف الذابلةْ
ما عاد يشعلهُ انحسارُ قميصك الشفّافِ . .
. . عن تلك التلال المذهلةْ
أنا يا صديقةُ . . ، لمْ أزَلْ
متغرّباً ، تحت النوافذَ
في المدائن ضيّعتنيَ ،
في أزقّة ذكَرياتك . . .
تحت أحَلامِ الرموشَِ المسبلةْ
قيثارتي روحي . .
شددتَ بها
أعصابي المتآكلةْ
لاشيء عندي غير موّالٍ حزينٍ
. . ضيّعتهُ الجلجلهْ
فلمنْ أغني . .!؟
والستائرُ مُسدلهْ
والشارعُ الملغومُ بالخطواتِ
نامَ على رصيف المقصلةْ
وصديقتي قد فضّلتْ فيْلمَ المساءِ . .

على جنون قصائدي
وخطى اشتَهائي المثملةْ
فلمَنْ أغني . .؟!
مَنْ أغني . .!؟
. . تلك روحُ المشكلةْ

١٩٨٥/٥/٣٠ جوارتا - السليمانية

جسر

كنتَ تمتدُّ . . .
بين المدينة ، والحلمِ
بين القرى ، والبساتين
جذعاً نحيلاً من العمرِ
كمْ عبرتكَ خطى العابرَين
وتفرحُ إذْ تبصرُ الناسَ ، تمضي إلى شغلها
تتحدثُ . . .
أو تتلصّصُ للفتيات الجميلاتِ
أو تتدافعُ في زحمةِ الآهِ
أو تشتكي
أنتَ لمْ تشتك مرةً . . .
وقْعَ أقَدامهم ،
فوق أضلاعكَ الناحلةْ

*

أنتَ شققكَ العطشُ- القيظُ
ترنو إلى النهر يسقي البساتينَ والناسَ . . .
كمْ هي أظمتكَ هذي المياهُ التي
تترقرقُ تحتكَ . .
منسابةً ، في برود لذيذْ
فإذا ما هممتَ بأنْ تحتسي قطرةً
انكسرتَ . .

على الجرف ،
منقطعاً ، ووَحيداً
وعافتكَ . .
- آه - . .
خطىً العابرين ، إلى آخرٍ . . . . .
سوف تبنيه . . .
. . . جسراً جديداً

*

. . . .

. . . .

بلا ضجةٍ . .
ستموت
ويجرفكَ الموجُ ، . . . .
نحو النهاياتِ . .
. . يا صاحبيَ . .

١٩٨٥/٦/٢ السليمانية - جوارتا

وحدة

دائماً . . .
عند كشك المحطاتِ
أبتاعُ تذكرتَين
دائماً ، كنتُ أرنو لمقعدها الفارغ
للحكايا التي كنتُ أعددتُها للطَريقِ الطويلْ
دائماً ، كنتُ أجلسُ ملتصقاً ، قربَ نافذةٍ
في القطارِ المسافرِ ، وحدي
وأتركُ
فوقَ
رصيف المحطة . . .
. . . تذَكرةً ذَابلةْ!

١٩٨٥/٦/٢٨جوارتا - السليمانية

كنتُ أحدّقُ
من خللِ الأسطرِ –
في عينيها الزرقاوين
فيغرقني هذا اليمُّ الممتدُّ ، إلى مرفأ روحي الفارغِ إلاّ
من سفنٍ راسيةٍ للأحزانِ وأشرعةٍ مضغتها الريح . . .
وأبحرُ حيناً
من خللِ الجوعِ وخصلتها –
في أوراقي المنثورة
مجنوناً ، بالضوء المرتعشِ الهابطِ من أبعدَ نجمٍ بسماواتِ بلادي . .
حتى نافذة القاعَة ، حيثُ يعرّشُ حزني
– فوق القَضبانِ –
وريقات بيض ،
منّ زهرِ القَدّاحِ ،
تنفّضُ عنها الطلَّ ،
فترعشُ روحي . . . . . .
(كانتْ تقرأُ أشعارَ نزار قباني . .
وأنا اقرأُ ناظمَ حكمتْ
تتركُ خصلَتها ، تتدلى ، بدلالٍ
فوق الأوراق
وإذْ أنسى نظَراتي ، ساهمةً
تتأملُ ربطتها الورديةَ ،
والعِقدَ الذهبيَّ المتأرجحَ

. . ما بين الزرِّ المفتوحِ . . .
..وبين جنوني
تحدجني – دون مبالاة – ثمَّ تتابعُ . . .
أتركُ روحي ، تنـزفُ فوقَ الأوراقِ
وأحلمُ . . . .)
ها أني مرتعشٌ ،
ووحيدٌ ،
كغريق أتشبّثُ بالأهدابِ
فرفقاً – يا أمواجَ العينين الزرقاوين – بعدنان الصائغ ،
هذا المثقوب الروحِ ، كقاربِ صيّادٍ منسيٍّ
لمْ يصطدْ – منذُ سنين –
غيرَ مواويل ، ودخانَ سجائر لفٍّ ، ومجاعات . . .
ها أني ، بينَ جنونكَ والأسطرِ ، منفيٌّ وحزينٌ . . .
(أتأملُ وجهي البائسَ ، في مرآةِ القاعةِ
حين أراها تبسمُ لي . . . . . .
فأقلّبُ جيبي المثقوبَ . . .
وأبسمُ . . .)
كيف سأدعوها للنـزهةِ في مشتلِ قلبي
وسمائي ممطرةٌ بالحزنْ
كيف سندلفُ للمقهى
لتناول كأسين
وأحشائي تصفرُ فيها الريحْ . . .

١٩٨٥/٢/٢ السليمانية

تساؤل خاص

بينَ الكرسيِّ المكسورِ، وطاولةِ القلب
فكّرتُ بحالِ الشعرِ، وحالي
ما جدوى أنْ تَسَعَ العالَمَ
في بيتٍ شعريٍ
وتعيشُ بلا بيت
ما جدوى أنْ تحتضنَ الفتياتُ دواوينَكَ
لكنكَ لنْ تحضنَ، في آخرةِ الليلِ . . .
سوى الأحلامْ
ما جدوى أنْ يتصدرَ أسمُكَ أعمدةَ الصفحاتِ . .
ويعرفكَ القرّاءْ
لكنكَ حينَ تمرُّ أمامَ المطعم
لنْ يعرفَ منك سوى بنطالٍ رثٍّ
يجلسُ - كلَّ مساء - منعزلاً، قلقاً
لا يجرؤ، أنْ يطلبَ . . .
أكثرَ من صحنِ حساءْ

الثانية بعد منتصف الليل ١٩٨٥/٦/٢٨ جوارتا - السليمانية

هدأتْ
زوبعةُ العطرِ ،
على المقعدَ
عشرُ أناملَ ،
من بلور ، حائرةٌ
حطّتْ فوق حقيبتها
وابتدأ العالمُ يلهثُ . .
. . . .
. . . .!
تتململُ
إذْ تضبطني ، أتلصّصُ مرتبكاً
تسحبُ للأسفلِ ،
تنورتها الضيقةَ المحسورةَ ، عن ساقيها
في خجل ,
أو ضيقٍ
. . . .
. . . .!
(- هل تسمحُ ، سيدتي ،
لوِ . . . .)
كانتْ عيناها - عبرَ زجاجِ الباصِ -
تجوبان ، الأوجهَ ،
والأضواءَ ،

الأسواقَ ،
محلات التجميلِ
وقد تتوقَفُ - دونَ مبالاةٍ -
في وجهي . . .
. . . .
. . . .!
(- . . . . كأساً أخرى . . سيدتي؟
ندلفُ للمشتلِ
ملتصقين ، ومحترقين ، من الوجد
- احترقي يا أيامَ الوحشة والبرد -
نختارُ - بعيداً عن صخبَ الناس ،
بعيداً تحت ظلال الشجرِ المَتشابكَ -
مصطبةً فارغةً . .)
. . . .
. . . .
. . . .
- . . . . . . سيد . . . تي . . .!!
كانَ الباصُ ، يحشرجُ ،
في الموقفِ ،
مرتجفاً
وأنا كنتُ ، لوحدي . . .

٢٣/١١/١٩٨٤ السليمانية

أحزان عمود الكهرباء

إلى ص . ن . . !

هاكَ عمري ،
وفلّه . .
يا صديقي
لن ترى فيه غيرَ الشجونِ ،
وهذا البياضِ الوقور
الذي يقفُ - الآنَ - بينَ المكاتب ، والحلم . .
بين اشتهاءاتِ روحكَ ، . . . والنظَرة المطفأةْ
لن ترى - بعدَ هذا العناءِ الطويلِ -
سوى قلمٍ ناحلٍ
يتآكلُ
شيئاً ،
فشيئاً
كنتُ أبصرهُ
- في زحامِ المدينة -
مندفِعاً في شَرود . .
إلى بابِ إحدَى الجرائدَ
أو حاملاً كيس صمونهِ ، والكتابَ . .
إلى بيتهِ
ما الذي ترتجيه من الركضِ
ها أنتَ قطّعتَ عمرَكَ
بين الوظيفة ، والشعرِ
ها أنت وزّعتَ عمرَكَ . .

لا . . .!
أنتَ وزّعكَ العصرُ
بين الدوائرِ ، والشغلِ ،
بين القصائدِ ، والجوعِ . . .
بين الصحابِ ، النساء ، المقاهي ، المخافر ، أبنائكَ الخمسة ، طاولة البار ، قائمة الكهرباءَ ، الغسيلِ على شَرفاتَ الفنادق ، مَنتصفَ الفيلَمِ ، لغطَ الإذاعاتَ ، طعمِ الفلافلِ ، باصَ الحكومَة ، سبورةَ الدرسِ ، صفَّارة الشرطيَ ، الجرائد ، لائحة اليانصيب ، الأغاني العقيمَة ، كتْبَ الحضارات ، برد المصاطب ، لَيلِ العواء الطويلِ ، أزيزَ المراوحِ فَي القيظَ ، شاي المقَاهي ، الذباب ، المطابعِ ، بطء البريد ، زعيقَ المراكبِ في الشارعِ المتدافعِ ، كذْبِ المحلاتِ جمعيةِ الأدباءَ ، دخانَ المصانعِ ، بائعة الحبِّ تعلكُ ضحكتهَا . . . ،
الوردة الاصطناعية ،
الهاتف المتقطّعِ ،
بابِ البنوكِ ،
المعارضِ . . . . . .

. . . .

. . . .

قلْ لي متى تستريحُ إذنْ . .؟
هي أعصابُكَ – الآنَ – مشدودةٌ
بين أعمدة العصر
مكتظةٌ بعواء المشاغلِ واللغط . . .
مَنْ يمنحُ العصَبَ المتآكلَ ، بعضَ الهدوء الجميلِ ،
على مقعَدِ البحرِ
مَنْ سوف يتركُ طيراً طليقاً

يتأرجحُ منفرداً ,
فوق أسلاك أعمدة الكهرباء
مَنْ يُبدلُ - الآنَ -
هذا الموظفَ ذا الربطةِ الأرجوانيةِ اللونِ
بالحلمِ . . .!
بالأرجلِ الحافيات على ضفّةِ النهرِ . . .
بالدفترِ المَدرسيِّ المَمزّقِ . . .
بالـ . . . . . .
حلمٌ أنْ تعودَ العصافيرُ ,ثانيةً
بعد موت الحدائق في الروح
أنْ تفتحَ المَدنُ الكوَنكريتيةُ القَلب شبّاكَها للقصائدِ
أنْ تستقيلَ من الحزن ,يا صاحبيَ!
حلمٌ أنْ تغني كما تشَتهي
وتسيرَ كما تشتهي
وتموتَ كما تشتهي . . .!

١٩٨٥/٦/٦ السليمانية - جوارتا

المدينة

تتمطى المدينةُ ,في الفجرِ
ناعسةً ،
بثيابِ الضبابِ الشفيفة,
والكسَلِ العذبِ . . . .
تفتحُ شبّاكَها
لرذاذ الصباحِ اللذيذ
وإذا انشغلت بتأملِ لغط العصافيرِ فوق الغصون
وأحسّتْ دبيبَ الشوارعِ بالعابرين
سوف تحملُ مسرعةً ،
. . يومها
. . وحقيبتها
وتضيعُ بموجِ الزحامْ
. . . .

. . . .
في المساء الأخيرِ,
ستجلسُ متعبةً
قربَ مصباحها
وتشيّعُ فوق رصيف انكساراتها ، آخرَ الراحلين
وتمسح عن فخذيهاَ بقايا المساء
ستحصي مرارتها ,والنقودَ
ورجْعَ غناء السكارى على بابها
لذلك كانتَْ تغطي تجاعيدها بالمساحيقِ,

والدمعة الذابلةْ
وتذوبُ أمام المرايا . . . . ببطءْ

بغداد ١٩٨٦/١/٢٢

رغبة

تومضُ
في سطحِ الفندقِ ، نجمةُ روحي . . .
أو تخبو
في صحنِ رماد الغربة ، والكلماتْ
وعلى حبلِ غسَيلِ الأَحلامِ ، نشرتُ قميصي المبتلَّ وقلبي
تخفقُ في أحزانهِما الريحْ . . .
قلتُ : سأهبطُ للشارعِ
أذبحُ نصفَ الليلِ بقنينة خمرٍ مغشوشٍ
أو حبٍّ مغشوشٍ - لا فرَق -
أو أبحثُ عن أيِّ كتابٍ ينسيني قملَ الفندقِ
والضحكات الفجّةَ عبرَ الحائط
فالنومُ صديقٌ لا يأتي في أوقاتِ الشدّةِ والحزنِ
وآخرُ امرأة في الشارعِ
فتحتْ بابَ التكسي ....
تعلكُ ضحكتها
وتوارتْ
بين الرغبات
وبين الأضواءَ
وسكارى البارات انسلوا
لا شيء سوى الرَيحِ ، ووجهي . . .

في مرآةِ الفندقِ أبصرتُ شحوبَ الأشجارِ بغابةِ وجهي المنسيِّ

تلمّستُ تجاعيدَ النهرِ ، فنقّتْ ضفدعةٌ
لمْ أبصرْها في البدء . . .
نسيتُ على طاولةِ الفندقِ ، آخرَ أشعاري
وترددتُ بفتحِ البابَ . . .
فمَنْ يمكن أنْ يأتي
- في آخرِ صمت الليلِ -
سوىَ الذكرى
والريح . . .
. . . الطَرَقاتُ على البابِ
الطَرَقاتُ . . .
الطَرَقاتُ . . .
ورائحةُ القدّاحِ المتوهجِ ، تفضحُ خطوَ امرأةٍ
تتقدمُ ساهمةً بقميصٍ شفاف
قلتُ : لعلّكِ - سيدتيَ - . . . أخطأتِ الرقمَ . . .
ابتسمتْ . . .
لا أحدٌ يخطيءُ في الحبِّ . . .
سيدتي
لا أحدٌ . . .
. . . .
. . . .
لا أحدُ . . .
. . . .
. . . .
. . . . . .)
مَنْ تلك المجنونةُ ،

تطرقُ بابَكَ
في هذي الساعة ،
من منتَصف الكأسْ!؟ . . .)
قد يحدثُ أنْ تتوهمَ َحتى في وهمكَ . . . . . .
. . . .
. . . .
لكنيٍ أبقى - من فرجة نافذةِ الفندقِ -
ألتصٍ النظراتِ ,وحيداً َ
ألهثُ ,
مصلوبَ الأنفاسْ
يقفزُ قلبي بين عيونيِ في الظلمةِ
أرهفُ سمعي ,والقلبَ
لعلً امرأةً قادمةً . . .
. . . في الممشى

١٩٨٥/٢/١٩ السليمانية

(1)

ورقة ساقطة من الطلاسم

كيف يا ربُّ . . . خرجنا من تبوكْ
ووقفنا - كالمساكينِ - بأبوابِ الملوكْ
كيف بدّلنا الرماحَ السمهرياتِ بأوراقِ الصكوكْ
إنْ تكن
تدري . . .
فأني
لستُ
أدري . . .!

١٩٨٥/٦/٢٦ السليمانية

(2)

حادثة مبكرة جداً

في زمان قديمْ
بينما كنتُ أبحثُ عن دفترٍ أبيضٍ
للكتابةْ
عثرتُ على جثةٍ للقصيدةِ
مرمية
في الطَّريقْ . . .!.

١٩٨٥/٦/٢٩جوارتا - السليمانية

(3)

أفق

قلْ :
ما أوسعَ أفْقَ العالمْ
بلْ
قلْ :
ما أضيقَ صدرَ الإنسانْ

بغداد ١٩٨٦/٣/٢٦

(4)

«. . . .»
غابةٌ يابسةْ
وصبيٌّ عنيدْ
يجمّعُ ألواحَها ،
ويفرّقها
يبتني منـزلاً ،
ويهدمهُ
جسراً ، ويهشّمهُ
. . . .
. . . .
. . . .
غابةٌ مورقةْ
وصبيٌّ قتيلْ

١٩٨٦/٥/١٠

(5)
أحتمالات

هكذا تنتهي
زقزقاتُ المطرِ . .
زَغَبٌ أخضرٌ . .
أو حجرْ

١٠/٨/١٩٨٥ في الطريق إلى بغداد

ديوان..!

مـنـزوياً ، وحزينْ
بين مئات الكتبِ المرصوفة
مَنْ يتلفّتُ نحوكَ يا ابن الصائغ . .!؟
ولناسُ أمامَ زجاجِ المكتبة اللمّاعِ
يمرونَ بحزنكَ ـ دونَ مبالاَة ـ
قدْ تتصفحُ إحداهنَّ أغانيكَ على عجلٍ
يتقافزُ قلبُكَ بين أناملها . . .
هاهي ـ كالحظِّ ـ تقطّبُ في وجهكَ . .
تبتاعُ «دليلَ الطبخِ»
. . . وتمضي
ويضيقُ أبو المكتبة الكهلُ ، بديوانكَ . . .
يرميكَ بقاعِ المخزنَ
تبقى بين الأكداسِ الصفراء ، المنسيةِ ،
منذ سنين . . .
تحلمُ . . . .
بالواجهة اللمّاعةِ ،
بالنظراتِ ،
وبالمارين
فتبكي أيامكَ . . . .
ثم تموتُ . .
بصمتْ !

١٩٨٥/٢/٢١ السليمانية

حكمة مؤقتة

في ضجيجِ الطبولْ

لكَ أنْ تنتحي
جانباً
وتؤجّلَ ما . . . . ستقولْ

٢٨/٦/١٩٨٥ السليمانية

أغنياتٌ على جسرِ الكوفة

مدخل..

مشكلتي ، أني لا أعرفُ حداً للعالمْ
حين أحبُّ . . .
وحين أجوعْ . . .

مدخل ثانٍ...

كالوردة . . .
يذبلُ قَلبي . . .
. . ويموتُ
لو تقطعهُ . .
من غصنِ الشعرْ

١٩٨٤/٤/٢٠ الكوفة

مصادفة

قلمٌ
مرَّ على ورقةْ
مرّ وما سلّمَ ،
ما أحنى لمفاتنها عنقهْ
لمْ يعرفْ ما بين حناياها القلقةْ
من شوق أخّاذ
للحّبِّ ،
ولمْ تفهمْ نزقهْ
كغريبين ، معاً ،
مرّا . . .
وافترقا . . .
رجلاً يتسكّعُ
وامرأةً محترقةْ

الكوفة ١٩٨٤/٦/٢

كلمات...

قالتْ سيدتي . . .
وبعينيها فرحُ الكلماتِ يضيءُ سماواتِ عذاباتي الزرقاء
كقوسِ قزح :
- أكتبْ شعراً عن عينيّ السوداوين
تملأً مفاتنَ روحي الحلوة . . نرجسةً
. . نرجسةً
وارسمني - في دفترِ عمرِكَ ,هذا المصفرِّ من الجدبِ,
وأحزانَ الدفلي- ...,
. . . . نهرَ فرحٍ
كانتْ أشجارُ الليمون تفوحُ شذىً
وجداولُ روحي تنسابُ - كشَعرِكِ -
في ظلمة هذا الليلِ . . .
تفيضُ مواويلاً . . .
تتصاعدُ من أكواخِ البردي ,كالنجماتْ
تومضُ بين الخصلاتِ المضفورةِ - يا لله - بأحلامي
فأهيمُ مع الريحِ . .
مع الدبكَاتِ الريفيةِ في الأعراسِ
مع القمرِ السَكران
مع الكلمَاتِ الأولَى لقصيدةِ حبٍّ لمْ تُكملْ بعدُ . .
مع الخصلاتِ تظلّلني . . .
تحت رذاذِ الأمطار .
ما أروعَ أنْ تضفرَ شعرَ امرأةٍ . . . تهواها

خيمةَ حب . . .
. . . تسكنهًا حتى الموت!

*

آه . . سيدتي!
الوردةُ تكبرُ في سندانةِ روحي
تغدو وطناً . .
يضحك للناسْ
والضحكةُ تزهر في شفتيكِ
تغدو وطناً . .
مشتعلاً بالجوري
والآسْ
وأنا بين الوطنِ الزاهرِ . . .
والشفتين
أزرعُ - تحت الشمسِ -
. . . بذورَ الكلماتْ

١٩٨٤/٣/٣٠

(*) نشرت في جريدة «الجمهورية» ع ٥٣٣٥ في ١٩٨٤/٤/١٢ وترجمها إلى جريدة «هاوكاري» الكردية الشاعر لطيف هلمت، ع ٨١١ في ١٩٨٥/١٠/٢٤

محترقاً بالشعر . . وبالنظرات الأولى . . ، أتسكّعُ في مدن الكلمات . . وحيداً . . . أفتَحُ قلبي للريَح . . تمرُّ طيورُ النورسِ زاهيَةً بسماوَاتِ بلادي ,أسألها : لَم يرتعش القلبُ ,إذا مرَّ على دكّةِ محبوبته ، وتفوحُ الأزهارُ . . ولا يرتعشُ العاذلُ حين يمرُّ ، ولا . . .!!

يا جسرَ الكوفة حدّثني عن بستانِ اللوعةِ هلْ أزهرَ؟

عن آخرِ أشعارَ «كزار حنتوش»

أقول لجَسرِ الكوفة : محترقٌ قلبي بالشعرِ . . . ومحترقٌ دمعي بالعشقِ . . . ومحترَقٌ هذا العمرُ على أرصفةَ العينين الماطرتين . . . أفتّشُ فَي أروقةِ الروحِ المهجورةِ عن خصلَةِ شَعرٍ تركتها امرأةٌ وارتحلتْ . . . عنَ قمرٍ منسيٍّ . . . عن أبياتَ لمْ تُكملْ بعدُ . . . سأمنحُ هذا العشبَ صلاتي . . . ولهذا الكحلِ المتساقط من جفنيها ألقي وجنوني . . . وأمرُّ قُبيلَ الفجرِ على أزهارِ حديقتَها ، ألثمها غصناً ، غصناً . . وأقولُ لعصفورٍ مرَّ يغني : خذْ قلبي تحت جناحيك . . وحلّقْ بسماواتِ بلادي المغسولة بالزرقة والمطرِ الصيفيِّ . . ازرعني حرفاً مفتوناً فوقَ سحابة ضوء ، اسَاقطْ وجَداً . . وسنابلَ من ذهبٍ . . وقصائدَ تعشبُ بين البردَي ورغيف الفقراء . .

أقولُ : صباحاً . . للعينين السَوداوين الغافيتين على شطآن القلب . . .

صباحاً يا «ميم» الحلوة . . يا أحلى من ورق الحزن الشفّاف على طاولة الشاعرِ . . يا ضوءَ فوانيسِ الغربةِ في روحيَ . . يا مَطري . . يا كلماتي . .

مازلتُ - كعهدي الأولِ - أرقبُ خلف زجاجِ المقهى . . خطوتَكِ

المسكونةَ بالدهشة . . أنسى قدحَ الشاي الساخن . . أنسى وجعي . .
وقصاصات الورقَ البيضاء على طاولتي . . . وأظلُّ أطاردُ خلفَ
شرائطك الحَمراء ,غَريباً . . كالريحِ . .
أقولُ لقلَبي : يا قلبي الضائع بينَ ضفاف الكوفة حيث الفاتنة
العينين ، وسوق السراي . . أضعتُ سنينيَ . . ألهثُ خلف عناوين
الكتبِ البرّاقة ,بَحثاً عن نجمٍ منفيٍّ لمْ يمسكْهُ أحدٌ . . يُدعى الشعر . .
ويُدعى . . . . . .!
قلتُ لعلَّ الفاتنةَ العينين تجيءُ بفستان الدفلى . . . قبل مغيبَ
الشمسِ . . لتتركَ فوق العشب ندى الخطوَات الخجلى . . . أو تنسى
فوق المَصطبة الخلفية بعضَ اَلحبِّ . . . وتتركَني محترقاً بالأحلامِ
ككلِّ العشاقَ المجنونينَ ، بهذا العالم . . .
أو قدْ تنسى - أعرفُ عادتها - موعدَنا . . وتمرُّ على بيت صديقتها . .
لا شيءِ سوى تزجية الوقت . . . ووحدي أبقى مشتولاً كَالصفصافِ ،
أحدّقُ في ساعةِ عودَتها . . . وككلٍّ قصائدِ هذا العالمِ . . .
قد تأتي . . .
أو . . .
لا تأتي!!

١٩٨٣/٦/١٩ بغداد

تداعيات.. أمام باب القصيدة

إلى الناقد يوسف نمر ذياب

بعيداً . . .
عن الشعراء . .
اتخذتُ لحزَن ركناً قصيّاً . .
بمقهى القصيدةْ
بعيداً عن الندواتِ ,وثرثرةِ الصحبِ . .
حاورتُ قلبي :
ألا أيها المتسكّعُ في المكتباتِ
وفي الطرقاتَ . .
وحَيداً
كثيرَ التلفّتِ والاشتهاء . .
كثيرَ القَراءة ،
تحتَ ضياءِ المصابيحِ ، والَبقِّ . . .
في حارة ، لمْ تَصافحْ جريدةْ
وتجمعُ فيَّ «دخْلك» الخشبيِّ ،
النقودَ . . .
لكي تشتري «البؤساء» ،
و«شرح الحماسة» ،
و«المتنبي» . . .
وغيرُكَ يلهو بـ «خرجية» العيد ،
منتفخَ الجيبِ حلوَى
وها أنتَ منتفخُ القلب ،
شكوَى . . .

تراقبُ طفلاً كسيحاً . .
وتعطي لشحاذة كلَّ ما في يديكَ . .
وحين تمرُّ أمامَ الأراجيحِ . .
يغريكَ صاحبها بالصعودِ مع الصبية العابثين ،
ستبني لوحدكَ . . أرجوحةً من خيالٍ . .
وترحلُ نحو ضفاف النجومِ البعيدةْ
وها أنتَ تكبرُ بين السطور . .
وبين الطفولة ، والكتبِ المدرسيةِ . .
بين الأزقة ، والحلمِ . .
تكثرُ كتبكَ . .
يكثرُ صحبكَ . .
تطرقُ بابَكَ
- ذاتَ صباحٍ بهيٍّ -
فتاةٌ ، بعمرِ المحبة . .
كي تستعيرَ كتاباً . .
فتمنحها قلبكَ القرويَّ ، كتاباً . .
يضجُّ بشعرِ المروجِ
وصدحِ البلابلِ
والأغنياتِ الشريدةْ
- أأعجبَ آنستي . . يا ترى؟!
فتضحكُ في خجلٍ انثويٍّ لذيذٍ . .
- أنا . . . . . .!؟
وتدري بأنكَ كنتَ تجوعُ الليالي . .
لكي تشتري في الصباحِ . . كتاباً
وأنكَ كنتَ تراسلُ كلَّ الجرائدِ . .

علّكَ تبصرُ أسمَكَ هذا المشتّتَ . .
يحتلُّ يوماً مكاناً صغيراً بإحدى الجرائدْ
وتبقى تعاندْ
حروفَ المطابعِ . . والحظَّ . .
تبقى ولا شيءَ غير شماتةِ هذي اللعينة ، هذي القصيدةِ ،
وهي تمدُّ اللسانَ بسخرية . . .
فتمزقها - حنقاً - ثمَّ تلعَنُ كلَّ حروفِ المطابعِ . .
تلعن حظّكَ . .
تلعنُ أنّكَ - ياللضياعِ - قد اخترتَ هذا
الطريقَ المشاكسَ ، هذا الطريقَ الطويلَ المريرَ إلى غابة الكلمات . .
وحين يمرُّ بك الصحبُ ، منطلقين . . إلى اللعبِ ، سوفَ يرونكَ - مَن
فتحة البابِ - منشغلاً بالقراءةِ ، حدَّ الجنون
فيصرَخُ أحَّدَهم هازئاً :
ما الذي سوفَ تجنيه
غيرَ المجاعات . .
يا فيلسوفَ الزمان . .؟

*

بعيداً . .
عن الشعراء . .
اتخذتُ لقلبي ركناً نديّاً . .
بمقهى القصيدة
وكنتُ وراءَ الزجاجِ المضبّبِ أبصرهم ، واحداً ، واحداً : بالرباطِ
الأنيق ، ومحفظة الجلد ، واللغةَ المنتقاة . .
وما كنتُ أملكُ غيرَ قميصي الوحيدَ ، ويتمي . . وما كنتُ أملكُ غيرَ
ترابِ البلادِ ، سافرُ بين الضلوعِ ، وبينَ القصيدةِ . . بين الجفونِ ، وبين

حنينِ الطفولة للجسرِ والأمسيات . . وما كنتُ أفتحُ نافذتي لسوى الرازقيِّ ، وسرَبِ النوارسِ . . . ما كنتُ غيرَ المتيّمِ بالشعرِ حتى الجنون . . .
أصافحهم ، واحداً ، واحداً . . الأناملُ ناعمةٌ ، ربما خدشتهم خشونةُ كفي . .
وأبصرُ أشعارهم ترتدي بنطلوناً من الجنز ، طُرِّزَ بالبنيوية . . ترطنُ بالمفرداتِ الغريبة ، وهي تمرُّ بحارتنا . . . فأسألُ : هل يشتريَ البسطاءُ القواميسَ . . كي يفهموا ما تقولُ القصيدةُ؟ يا وطني . .
وإذ يصعدُ الشعراءُ لأبراجهم ، متخمين يلوكون عصرَ الحضارةِ . . و«اليوت» . . أنسلُّ للنهرِ وحدي
أذيبُ همومَ القصيدة في الموجِ . .
تطفو على السطحِ رغَوةُ قلبي وأشربها . .
أيها المتعبون . .
اشربوا نخبَ قلبي . .
ثم أمضي مع الريحِ . . .
حيث الشوارعُ مغسولةٌ برذاذِ الصباحِ ، ورائحةِ الناسِ والياسمينِ ، وسرب الجميلات
حيث المصانعُ ، والشجرُ المتطاولُ
حيث البلادُ تفتّحُ في كلِّ قلبٍ :
سماءً من اللازوردِ . .
ونهرَ أمان . .
ومرجَ قصائد! .

١٩٨٣/٣/١٩

الدربُ طويلٌ ، يا بنتَ حميد المرعب ، يبدأُ من نقطة حبرٍ سقطتْ فوق قميصك – هذا المترف ، كالثلج ، كزهرة قدّاحٍ لمْ تتفتّحْ – ذاتَ صباحٍ تشرينيٍّ ،في الصفِّ . . ويبدأُ من سحبٍ ماطرة ، رحلتْ من بين أصابعِ كفي ، وهي تمدُّ إليكِ بأُولى أشعاري ، المسكُونةِ باللوعةِ ، والرعشات الأولى . . .

كانتْ أشجارُ الرمّان ببستانِ أبيكِ ، توشوشُ للحارسِ عمّا نفعلهُ تحتَ الأغصان! وتحفظُ أشعاري

وأنا أذكرُ – ما زلتُ – خطانا الحيرى في «حي الأنصار» ، وخفقَ نوارسِ قلبي حين تحطُّ على جسرِ الكوفة قبل ذبول الشفق الورديِّ ، وهمسَ الجارات أمامَ بيوت الحارة ، حين أمرُّ غريباً متشحاً بالوَجدِ أرقبُ شباكَك – من بُعدَ – وأحدّثُ قلبي :

يا هذا المتشرّدُ تحتَ نثيثٍ الأمطار . . تمهلْ

هل مازالَ بصدرِ العالمِ متسعٌ للحبْ . .؟

*

الدربُ طويلٌ . .

يا نفسي الصاعدَ والنازلَ . .

والعمرُ قصيرٌ . . أقصرُ من فستانِ مراهقةٍ ، عبرتْ واجهةَ المقهى ، تتبعها النظراتُ الولهى . .

وأنا أتبعُ خيطَ دمي . . . ينسابُ على الأوراق البيضاء ببطء أخّاذٍ

وأنا مالي ، ومراهقة عبرتْ ـ قبلَ قليلٍ ـ واجهَةَ المقهى

أوشكَ أن يفرغَ كيسٌ العمر

ولمْ أكتبْ للآنَ قصيدةَ شعرٍ تسعُ الحزنَ البشريَّ ، وجوعَ العالمِ . .

لكنَّ العالمَ
ينسى في زحمته المنكودةِ ,أحزانَ الإنسانِ المنكودِ
وينساني . . .
وأنا أعرفُ أنَّ الوردةَ حين تموتُ
ستسحقها الأقدامْ!!
لكنَّ العطرَ سيبقى يملأُ قارورةَ قلبي . . .

*

الدربُ طويلٌ ، يا بنتَ المرعب ، يا شجرَ الحزن المورقَ في روحي
فضعي كفَّك في كفي . . نمضِ تحت الأمطارِ المجنونةِ ، مرتعشين من الوجد ,وبوحِ اللَمسات الأولى . . .
ندخلُ سوقَ «السراي»
نفتّشُ بين رفوفِ الكتبِ المصفرّةِ . .
عن حزن العالمْ . .
عن أشعارٍ لمْ تُنشرْ للسيابْ
وعن موتٍ الكلمات بهذا العصر . .
فتغيمُ الأَمطارُ المنسَيةُ في عينيها ، . . وهي تقلّبُ بؤسَ العالمِ في الأوراق المصفرّة
هل تعبَتْ سيدَتي . .؟
هل تعرفُ أنَّ حضارةَ هذا العالم يحكمها السكين . .؟!
لكنّا نختارُ ـ قريباً من جسرِ الصرّافية ـ مصطبةً فارغةً ، نجلسُ – تحت رذاذ الحبِّ لناعمِ – ملتصقينَ
تتماَوجُ دجلة . . . خيطاً أزرقَ
يمتدُّ – وديعاً – من عينيها الصافيتين
. . . . حتى قلبي

٨/١٠/١٩٨٣ الكوفة

أمي

لأمي ـ إذا انسدلَ الليلُ ـ حزنٌ شفيفٌ ، كحزنِ الحدائقِ . . وهي تلملمُ
في آخرِ الليلِ ، أوراقَها الذابلةْ
لأميَ ، سجادةٌ للصلاة
وخوفٌ قديمٌ من الدركَيِّ
تخبّئنا ـ كلما مرَّ في الحيِّ ـ تحت عباءتها
وتخافُ علينا عيونَ النساء ،
وغولَ المساءَ ،
وغدرَ الزَمانْ
لأميَ ، عاداتها . . لا تفارقها
فعندَ الغروبِ ، ستشعلُ «حرملَها» ، عاطراً بالتمائمِ ،
يطردُ عن بيتنا الشرَّ -كانتْ تقولُ- وعينَ الحسودْ
وكلّ ثلاثاء . .
تمضي إلى مسجدِ السهلةِ
توزّعُ خبزاً وتمراً
وتنذرُ «للخضر» صينيةً من شموعٍ ،
اذا جاءها بالمرَاد
ستوقدها - في المساء -
على شاطيء الكوفة
فأبصرُ دمعتهَا تتلألأَ تحت الرموشِ البليلة
منسابَةً . . .
كارتعاشِ ضياءِ الشموعْ
ألا أيها النهرُ . . .

رفقاً بشمْعاتِ أمي
فنيرانها . . . بَعدُ لمْ تنطفِ
وياسيدي «الخضر» . . .
رفقاً بدمْعاتِ أمي
ففي قلبها . . .
كلُّ حزنِ الفراتْ

*

لأميَ ، مغزِلُها
يغزلُ العَمَر . . .
خيطاً رفيعاً ، من الآه
كانتْ تبلُّ أصابعَها ـ اذا انقطَعَ الخيطُ من حسرةٍ ـ
ثم تفتلهُ . . .
فمَنْ ذا الذي ، سوف يفتلُ خيطَ الزمانِ . . .
إذا ما تقطّعَ بالآهِ ـ ياقرةَ العينِ ـ
مَنْ ذا . . .؟
فما زلتُ في حضنها . . .
الناحلَ القرويَ المشاكسَ
أبكي إذا دارَ مغزلها بالشجونِ . .
وأسمعها في الليالي الوحيداتِ تشدو
بصوتٍ رخيم :
"لبسّ خصّر العجيج وخصر ماروجْ
أنا روّجني زماني قبل ما اروجْ
ولكْ لا تخبط الماي . . . ياروجْ
بعد بالروح عتْبه ويه الأحباب . .
. . . .

لبس بالراس هندية وشيلهْ
ودموع العين ما بطلنْ وشيلهْ
تمنيت الترف . . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وأبصرها خلسةً . . .
ثم أرنو لقلبي . .!
أما زال يشجيكَ موّالُها
كلما دارَ فيكَ الزمانُ . . . ودارَ
ومرتْ على دربك الآنساتُ الأنيقاتُ . . يا صاحبي
وهي ترنو لمرآتها!!
جدول الشيب ـ ياللشماتة ـ
ينسابُ متئدأَ في المروجِ
فمَنْ يرجعُ العمرَ – هذا السرابَ الجميلَ –
ولو مرةً . .؟!

الكوفة ١٩٨٣/٦/٢٨

أحاديث خاصة ليست للنشر

إلى مدني صالح

تحدّثني النفسُ . . أني سأتلفُ عمرِي الطويلَ العريضَ . . على كتبٍ ،
ونساء ، وحانات حزن ، وصحب يمرّون مثل السحاب . .
تحدّثنيً النفسُ - يا ويلَتي - منً حديث اللعينة ، تلك التي
تقودُ خَطاي الَضليلةَ . .
نحو الغواية والمشتهى . .
فإنْ مرَّ عشرونَ عاماً من النثرِ ، والجمرِ ، والسفر البكْرِ ، هذا الضياع
المهذّب خلف خطى الفتياتِ . . وخلفَ دخانِ المَكاتبِ ، والشعرِ . . .
أوقفني ندمٌ نازفٌ في الضلوعِ :
أهذا إذن كلّ ما قدْ حصدت من العمرِ . . . يا صاحبي
وأسمعُ تقريعها قاسياً ، شاحباً
وهي تحصي أمام المرايا . . تجاعيدَ وجهي ،
وأسناني الساقطة!

*

تحدثني النفسُ - في بوحِها - عكسَ ما قدْ يطيبُ لصحبي الحديثُ
المثرثرُ عن أيٍ شيء سوى جمرةِ النفسِ ، تلك الخبيئة ، خلفَ رمادِ
التذكّرِ ، واللغة المنتقاة . . .
ولكنني حين أنبشُ فَي موقد القلب . . عن خصلةٍ تركتها امرأة . . .
وعن دفترٍ مدرسيٍ نزفتُ به أولَ الكَلماتْ
وعن نخلتَين ، . . . وأرجوحة لاصطيادِ القمرْ
سأبصرها في ليالي العذابْ
تقاسمني غرفتي ، والكتابْ
وكعادتها ، في الحديثِ الطويلِ أمام وجومي . . .

ستجلسُ فوق سريري
وتسألني فيِ اضطرابْ
عن مواعيد خائبة . . .
ووجوه نساء نسيتُّ - بوسط الزحامِ - ملامحَها
وعناوينَ فيً صحف قذفتها المطابعُ
عن آخرِ الأصدقاءِ
وعن . . . .
. . . بوحِ نفسي
وللنفس ، هذا الحديثُ الفضوليُّ . . .
لائحةُ اَللومِ حين تقدّمها . . .
- مثلما عودتني بكلٍّ مساءٍ - كفاتورةٍ للحسابْ
ثم تسبقني في الهواجس
تسبقني في التخيّلِ ، والمَفردات ، الغوايات ،
هذا الطريق الطويل إلى آخرِ العمَرِ . . . ، والَذكرياتِ
وماذا تبقّى من العمر . . . يا صاحبي؟!
حفنةٌ منِ سنين ، وكَدسٌ من الكتبِ المنتقاة ، ستحشو بها رأسَكَ الفوضويَّ . . . وتمْضي تثرثرُ . . . في اَلجلساتَ ، وفي الندواتِ : عن الشعرِ ، والموضة الألسنية والنقد في حلبات الجرَائد . . .
حتى إذا مرًّ عشَرون عاماً . . . وعَشرون أخرىَ
وقلّبتَ بين يديك دواوينَكَ الخمسةَ ، النائمات على الرفِّ . . .
تلك التي استنـزفتكَ السنينَ الجميلاتِ ، والحَلمَ . . .
يا صاحبي
سيوقفني ندمٌ قاتلٌ في الحنايا . . .
وأسمعُ تقريعَها هادئاً ، هازئاً
وهي تحصي أمام المرايا ، حرائقَ رأسي المشوبِ بأحلامهِ البيضِ ،

والصلعة الناصعة

- أهذا اَلذي . . . كلّ ما قدْ جنيتَ من العمر . . .

يا صاحبي!؟

١٤/٤/١٩٨٣ بغداد - كازينو في شارع أبي نواس

(1)

تجيئين مسكونةً بالهواجسِ
تفترشين حدائقَ قلبي
وتمضين للنهر . . .
قبلَ مجيءِ الصبياتِ
تغتسلين بماَءِ حنيني
وأمضي أنا َ. . .
أمشّطُ غاباتِ شعَرِك
أركضُ خلفَ الفراشَاتِ . .
. . والحلمِ
ثم أعودُ وحِيداً
أجوبُ الشوارِعَ
أبحثُ تحتَ رذاذ القصيدةِ
. . والمطرِ الحلو
عن شفتيَك . َ.!
وأشربُ نخبَ ضياعي اللذيذ
لماذا يطاردني الحزنُ
- حين أكونُ وحيداً -
بكلِّ الشوارِعِ . .
كلِّ الحدائقِ
والمكتبات َ. . .
وخلفَ زجَاجِ المقاهي . . .

فأبحثُ عنك
وأسألُ كلَّ صَبيات حارتنا
وأسألُ كلَّ العصافيرِ في غابةِ الوجدِ . . .
أسألُ حتى . . .
إذا أنتصفَ الليلُ . . يا حلوتي . . .
وأقفرت الطرقاتُ من الناس
وانطفأتْ في البيوت ، المصابيحُ . .
والهمسات
وعدتُ إلى غرفتي . . متعباً
خائبَ الخطو . .
منطفئاً بالرياحْ
سوف تقحمُ نافذتي!
وتنامُ - كما الحلم - بينَ القصيدةِ ، والجفنِ
. . . حتى الصباحْ

(2)

تجيئين في هدأة الليلِ
بيني ، وبين الرصاصةَ
وجهك . . .
والثرثراتُ
وهذا الوميضُ القتيلْ
وبين دمي ، والقصيدةِ
نافذةٌ . . . . . .
طرزتها زهورُ البنفسجِ
كانتْ طيورُ الصباحِ . . .

. . . . . . تحطُّ أمامَ سريركِ
مفتونةً بانثيال الضفيرة
مجنونةً بالغصَون البليلَة
ثمَّ تحطُّ على موضَعي
وتموتُ . . . بلا ضجة ، أو رثاءْ
أكانتْ طيورُ الصباحِ الجميلةُ
- وهي تغني على خشبِ الموضعِ المتآكلِ -
تعرفُ أنَّ الرصاصةَ
لا ترحمُ الزقزقات ،
ولا تتنشقُ زهرَ البَنفسجِ
حين تمرُّ . . على غصنِ روحي البليلْ
أم ترى أنها . . .
وقفتْ! فوق كوّةِ موضعنا
تتحدى الرصاصَ اللعينَ
تشاكسهُ بالغناءِ الجميلْ
ثم تشتمهُ . . .
وتموتْ!

منتصف الليل ١٩٨٤/١/٣١ بغداد

يا بريدَ الدمِ العربي!
ماذا ببيروت؟
إنَّ المحطات موصدةٌ
والقطاراتَ ملغومةٌ بالجثثْ!
وبعض الجَرائدِ ، مشغولةٌ
- لا تزالُ -
بتمجيد حكّامها
فماذا تقَولُ القَصيدةُ؟ . . . بيروت!
إنَّ صيارفةَ العصرِ منتشرون بكلٍّ زوايا المدينة
إنَّ رجالَ المباحثَ ملتصقون بكلٍّ خلايا القصَيدةِ
ماذا ببيروتِ . .!؟َ
- لا شيءِ . . .!
- لا شيء . . .
- لا شيءِ . . .
- لا شيءٍ! يدعو لإطفاءِ غليونكَ الذهبيِّ
فثمة ناسٍ يموتون . . .
يا سيدي!

١٩٨٣/٩/٢٣

في المقهى...

ودلفتُ إلى مقهى الأدباء . . وحيداً ، مرتبكاً ، أتحاشى نظرات الشعراء الملتفين على بعضهم ، وحوارات النقاد . . . وجدتُ لنفسي كرسياً مهترئاً . . أترددُ بعض الوقت ، وأجلسُ منحشراً قربَ دمي المتوجّس ، أرنو لوجوههم ملتذاً . . أتذكرُ أني أبصرتُ ملامح بعضهم تتصدرُ أعمدة الصحف اليومية ، والكتبَ الزاهيةَ الألوان . . . سعلتُ قليلاً من برد الطرقات ، وأقبيةَ الأعوامِ الرطْبة ، والريحِ! . . . خشيتُ بأني سأعكّرُ صفو تأملهم بشحوبي وسعالي . . .

حاولتُ بأن أتلهى بتصفحِ ما بين يدي من صحف المقهى . . .

كانتْ نفسُ الأوجهِ تبرزُ من خللِ الأسطرِ ، تحدجني ببرودٍ لمْ أفهمْهُ! . . .

جاءَ النادلُ . . . لمْ «يتواضعْ» أحدٌ أنْ يطلبَ لي شاياً!

فطلبتُ من النادل . . . أن يأتيني بالبحر ، وزقزقة الغابات المنسية في كراسات طفولتنا ، ورسائلِ حبي الأولى تحت وسادة بنت الجيران ، ونوحِ نواعيرِ أغانينا فوق ضفاف الكوفة ، والقمرِ الحالمِ ، والدفلى ، وأراجيحِ العيد ، وركضِ الصبية تحت رذاذ المطرِ العذبِ ، وأشعارِ الحبِّ المخبوءة في قمصان التلميذات ، ورائحة البرديِّ.....!

هزَّ النادلُ كتفيه ذهولاً ، ومضى يضحكُ من أحلامي المجنونةِ . .

- لا بأسَ! . . . سأطلبُ شاياً!

كان المقهى يغرقُ في ثرثرة الروّاد ، وغيم سجائرهم ، . .

وأنا وحدي أغرقُ في غيمِ دمي الماطرِ فوق الأوراق ، وأرصفةِ العالمِ ، . . منشغلاً بقصيدة حبٍّ بائسة بدأت تنقرُ نافذةَ القلبِ - بكلِّ هدوءٍ - وأحسُّ خطاها تتسلّلُ عبرَ دمي والأدغالِ المصفرّةِ . .

قلتُ لعلَّ الفاتنةَ الدلِّ تشاركني طاولتي ، والغربةَ! . .
في خجل . . أخرجتُ - من المعطف - أوراقي البيضاءَ كقلبي . . .
حدجتنًي الأعينُ! . . وابتدأتْ َهمساتُ النقادِ ، الشعراء ، تحاصرني . . .
لمْ أتمالكْ نفسي . .! لملمتُ بقايا أوراقي ، وخرجتُ إلى الشارعِ - مندفعاً - تحت نثيث الأمطار وريحِ الغربةِ والكلماتِ المجنونةِ . . أبحثُ عن طاولة هادئة فيٍ َهذا العالَمِ . . .
تكفي لقصًيدة حًبٌ بائسة ،
وأغاني رجلٍ جَائعْ

١٩٨٤/٢/٢ بغداد

(*) أُلقيتْ في اتحاد الأدباء العراقيين- بغداد - في ١٩٨٤/١١/٧ .

أفكار بصوت واطئ..!

إلى الشاعر يوسف الصائغ

قلتُ لنفسي . . .
وأنا أحملُ صلبانَ الكلماتِ على ظهري المحنيِّ ، وأمشي مهموماً ، محترقاً بعذابات العالمِ ، طولَ العمر :
- لمَ تتعبُ نفسَكَ يا ع . الصائغ . . في البحث عن الشعر . وبين ضفَائرِ تلك الفتياتِ الحلواتِ ، قصائدُ حبٍ . . لمْ يكتبها أحدٌ بَعدُ!
قلتُ :
- لماذا تفني أيامَكَ بينِ رفوف الكتب المصفرّة ، من قرضِ العثِّ . . .
وهذا المطرُ التشرينيُّ . . . يَنثُّ قصائدَهُ . . . والوردَ ، على أوراقِ الأرصفة المبتلّة . . والناس
على غابَات القَلبِ . . . على أغصان الشجرِ المتسلّق شباكَ الفارعة الطولِ . . علَى الشَعرِ المتبقي من فروَةِ رأسِكَ ، هذا المكتظ بأحزانِ الدنيا
قلتُ لنفسي :
- ولماذا لا تشري «قاطاً» و«رباطاً» ، تمرقُ في الطرقاتِ ، أنيقاً ، منتفخَ البطنِ من الشبعِ ، تشاركُ صحبَكَ لعبَ «الدومينو» . . . ومعاكسةَ النسوةِ . . . ,والثرثرةَ الفجةَ - في المقهى - وتبادلَ أشرطة الفديو . . بدلَ الكَتب الحمقاء . . . وهذا الجوعِ المضني والسهرِ المعتادِ مع الأوراقِ على ضوءِ المَصباحِ الشاحبِ - مثل دمي - وصداع الرأسْ
قلتُ لنفسي :
ـ العمرُ قصيرٌ . . لا يكفي للنـزهة
. . لا يكفي لعناءاتَ العالمِ
أو عشَقِ امرأةٍ

فلماذا تذبحهُ في شرحِ البرقوقي . .
وعذابات الحلاجِ . .
وأزهَارِ الشرِّ لبودلِير . .
وكتبِ أبي حيان التوحيدي
. . . . . .
. . . . . .
قلتُ لنفسي هذا
ودلفتُ لمكتبةٍ أخرى . . . في «سوق السراي»!

الواحدة بعد منتصف الليل ١٩٨٤/٢/٧ بغداد

مقطعان
من حياة الشهيد فاضل النجفي

(1)

زعل . .

أما زلتَ زعلانَ . . . يا صاحبي؟

ومن قبل عشرين . . مرّتْ

كومض السجائرِ

لمْ تنطفىءْ حسرَةٌ خلّفتها ضفيرتها العابثةْ

أما زلتَ زعلانَ من صدفة؟

فلتتْ من يديكَ – كبعضٍ مواعيدها –

وبين الحشا والرصاصة

هذي البلادُ التي تسعُ الحلمَ

هذي المسافاتُ حيثُ يلمُّ البنفسجُ أحزانَهُ

قرب شباكِ فاتنتي

أما زلتَ طوَلَ الطريقِ لبستانِ عبد الحميد

تلملمُ بعضَ الحصى

وتراهنُ صحبَكَ . .

أيُّ الطيور ستفلتُ من «كزوة» صنعتها يداكَ . .

أيُّ البناتَ ستفلتُ من نظرة كسّرتها الهمومُ البليلةُ

أيُّ القصائَد تفلتُ من شرَكِ القلبِ . . . يا صاحبي

وبين التي سَكنتْ أضلعي

والقصيدة

هذيَ البلادُ

فهل عذّبتكَ مواعيدُها؟

وهل لوّعتكَ البلادُ الحبيبةُ . . . قلْ لي؟
ولمْ تكُ تملكُ غيرَ الكراريس,بيتاً ظليلاً على ضفةِ النهرِ
يسكنهُ الحلمُ والشمعةُ العاشقةْ
وخلفَ النوافذ تسرحُ عيناكَ
حيثُ المروجُ النديّةُ ,والصبيةُ العابثون
ووحدكَ كنتَ بمنعطفِ الدربِ
مرتقباً خطوَها
يستفزُّ سنينَكَ
يشعلُ في غابةِ الروحِ أحطابها اليابسةْ
أتذكرُ . . .؟ كنتَ المشاكسَ
ترمي الصبيات بالورد
ثم تغني على الجسرِ منتشياً :
«عمي يا بياع الورد»
كلِي الوردْ . . بيشِ؟ . .»
فمنْ يشتري الوردَ . . يا صاحبي
في الزمانِ الرديء!؟؟
*
أتذكرُ . .؟
كنتَ تموتُ إذا خاصمتكَ الحبيبةُ يوماً
تقطّعُ رجليكَ مشياً بحارتهم . .
أم ترى سوف تجلسُ في البارِ وحدكَ
تحسو همومَ الزمان
وتحلمُ في شعَرِها المتناثرِ عبر المحطاتِ
عبرِ السواترِ
عبرِ العذاباتِ

عبرَ الفيافي
وتدري بأنَّ الحبيبةَ يحلو لها الزعلُ المرُّ
لكنكَ الآنَ في الساترِ (المترمّلِ ، ملقىً وحيداً ،
بدون حراك)
زعلانَ من طلقة
خيّبتْ ظنَكَ . .
حين تلاشتْ دون وميضْ!

١٩٨٢/٨/٢٢بغداد

(2)
مواويل . .

ناحلاً . .
كان ينسابُ بين الأزقةِ
متشحاً بالصبابات
وقْعُ خطاهُ - تقولُ الفتاةُ الخجولةُ -
قد أسّرتْ قلبَها
واستباحتْ مواويلها
لمْ يكنْ يلتفتْ
حينَ يعبرُ شباكَها
ساهماً . .
هائماً . .
غير أنَّ على بابها
اكتشفتْ - ذات صبحٍ بهيٍّ -
زهوراً من الياسمين . .

وبعضَ طيورٍ . . . تغني!

*

قيلَ إنَّ الرصاصةَ مرّتْ كومض
وَكانَ يغني على الساترِ المتقدّمِ . . مواله
«آه . . ياليل . .
آه . . ياعين . .
«الضعن سار بليل
دوب أسمع الويدْ
هاك أخذ روحي وياك
يالرايح بعيدْ . . .!»
ليتَ أنَّ المواويلَ . . يا فاضل النجفي
لا يقاطعها - في هدوءِ المساءِ المخيّمِ -
زخُّ الرصاصِ
وليتَ المواويلَ . . . تطرقُ في الليلِ
شباكَ فاتنتي
وتحدّثها عن هواي . .
وما يشتهي القلبُ ، هذا المحاصرُ بالموتِ والشوقِ
ليتَ الرصاصةَ . . .
مرّتْ كومض
ولمْ تنطف . . . بين أضلاعه
وَالبلاد الحبيبة . . .
وَالمشتهى . . .
حيثُ موالُهُ . .
بعدُ . . لمْ ينطفِ!

١٩٨٣/٧/١٥بغداد

(1)
«الشهيد محمد عبد الزهرة ياسين»

فِي آخرة الليلِ
طَرقاتٌ نَاحلةٌ
فوقِ الباب
ـ مَنْ . .!؟
ـ محمد عبد الزهرة . .!
يدلفُ للبيت . . كعادته
ضحكتهُ المعَهودةُ ، والخَطو الملكيُّ . .
ورائحةُ الآسْ
ـ اليومَ قرأتُ قصيدتَكَ الحلوةَ في «الجمهورية»
عن وطنِ الوردةِ
والنورسِ . . .
والشهداءَ
و﴿ليلِ الَدمعةْ﴾
فأتيتُ . .
لكي أشعلَ – قربَ سريركَ –
شمعة!

١٩٨٣/١٢/٥

(2)

«الفنان محمد لقمان»

ماذا تقرأُ . . في الموضعِ!؟
ماذا ترسمْ . .؟
قلْ لي . . وبماذا تحلمْ!!؟
الأرضُ - أمامكَ - لوحةْ
واللونُ هو الدمْ!

١٩٨٣

(3)

«حسن صكبان»

أبصرهُ . .
في حانوت «الحربية»
وجهاً يحملَُ كلاً عذوبةِ نهرِ الديوانية
وأريجِ حدائقها . .
ومواويلِ أهاليها . .
كانَ يلّوحُ لي ، بصحيفتهِ ، منتشياً
يسألني :
- أقرأتَ - اليومَ - قصيدةَ هذا الديوانيّ الناحلِ
حدّ الحبِّ «كزار حنتوش»

١٩٨٣

(4)

«الصديق الذي . . .»

تلفّتُ ، أبحثُ عن مقعد هادىءٍ
في انتظارِ صديقي . .!
كان مقهى «أم كلثومٍ» مزدحماً
و«الزهاوي» مستغرقاً في دخان النراجيلِ
و«البرلمان» الذي ابتلعته المحلاتُ . . .
قلتُ لنفسي . .
وكانتْ ظهيرةُ تموز تصهرُ قيرَ الدقائقِ
تصهرُ حتى الشوارعَ . . والأصدقاءْ
- ألمْ يأتِ بعدُ صديقي . .؟
وقلت :
لأمضي إلى شارع «المتنبي»
أضيّعُ بعضاً من الوقت . . في المكتبات
أمشّطها - مثلما اعتدتُ - مكتبةً ، مكتبةْ
ولكنني . .!
بين كدس الحروفِ
وبين الرفوفَ
نسيتُ صديقي . .!

١٩٨٣/١١/٢ بغداد

(5)

«عز الدين سلمان»

يا عزي . .
غنِّ . . يا عزي
فالدنيا لا تستأهلُ أن تحزنَ . . يا عزي
أعرفُ أنَّ الحانةَ
تطردُ في آخرة الليلِ . . زبائنها
وتظلُ خطاكَ الملعونةُ . .
- وهي تمزّقُ صمتَ الطرقاتْ -
تبحثُ عن مصطبةٍ فارغةٍ
تتمددُ فيها . .
رغمَ البقِّ وصفاراتِ الشرطةِ ,والبردِ,
وحزنِ الكلماتْ
لكنكَ ,حين يطلُّ الصبحُ ندياً
يمتليءُ الشارعُ بالناسِ . . وبالدفءِ . .
وعطرِ الفتياتْ
عبثاً تَبحثُ عمّا أفلتهُ النادلُ من بين أصابعهِ
لا بأسَ . .!
ستمضي للشغلِ . . بدون فطور . .
وعيناكَ الناحلتانَ . . تقلّبُ في أعمدةِ الصحفِ اليوميةِ
..بحثاً عن كلماتٍ . . .
لمْ تكتبها!

١٩٨٣

(6)

«كاظم عبد حسن»

قلقاً . .

حتى العظمْ

وكأن على كتفيكَ المهزولِين ,هموم العالمْ

لكنَّ العالمَ ينسى «كاظم عبد الحسن» . . .!

حين تموتُ غداً . . يا كاظمْ

١٩٨٣

زاحفاً فوق عشب الحديقة
ممتلئاً بالندى ,والغَصون الخَفيضة ,والكركراتْ
أراهُ يحدّقُ - مرتبكاً - في وجوهَ الضيوف الغريبة
منحشراً قربَ «شيماء» تلك اللعَينة في الَلعبِ
أو جالساً فوق حضنيٍ . .
وكعادته . . سيمصُ بإبهامه . . عبثاً ما تحذّرهُ أمهُ
ولكنه! حَين يضجرُ من عالمِ الجالسين الأنيقين,
والغرفة الجامدةْ
سوفَ يَصحبُ «شيماء» للعبِ . . في أيّما لعبةٍ
أو سيزحفُ ثانيةً للحديقة . .
يقطعُ بعضَ الزهور . .
وينثرها عابثاً . . فيَ الطريقْ!

*

وحين يراني . . بمكتبتي
غير ملتفت نحوه
غارقاً بالقراءَة ،
أو بالتأملِ فيَ عالمِ من ضبابْ
سيسحبُ - ياللمشاكس - مني الكتابْ
ويدعونني للعبْ!

*

كركراتُ الطفولةِ ملءُ فمي . . إذْ أراهُ يكركرُ
يرنو إلى قطة البَيت . .
والقطةُ المستفَزّةُ ترنوَ إليه
وبينهما عالمٌ من تحدٍّ لذيذ ,وخوف قديمْ
وبعضُ المسافة ، للاشتباكْ
يراقبها حذراً . .!
وتراقبهُ خشيةً للوثوبْ
يهمهمُ . .! ماذا يقولُ «مهند» في هذه اللحظة الحاسمةْ!؟
يهشُّ إليها . . فتلمعُ - في لحظةِ الخوفِ - أحَداقُها . .
وتموء . . .
فيبكي من الخوف!
ـ ماذا أيهربُ من قَطة!؟
ولكنّهُ يتشجّعُ حين يرانا نراقبهُ . . .
يتقدمُ ,محتدماً نحوها -
صارخاً . . .
فتفرُّ من البيت مذعورةً
وهو يمضي يلاحَقها . . فرحاً ,واثقاً
ويكركرُ منتصراً . . .

بغداد ١٩٨٣/٧/١٥

خمسون قذيفة هل تكفي ؟

(1)

لمخيّمِ «نهر البارد» شكلُ الجرحِ العربيِّ الراعف في الخطب الرسمية, والأروقة الصفراء ، تقاسمه أبناءُ العمِّ ,ولمْ يَبق لبيروتَ المفجوعةَ بالحبِّ وَبالموتِ سوى نهر رماد الحزن العربيِّ ، وأقراص «ضد الثأر» ، وأشلاءِ الأهلِ ، ونشرةِ أخبارٍ «نَاعسةِ الطرفِ» ، . . . وملصَقْ

(2)

لمخيم «نهرِ البارد» أن يرثي الزمنَ العربيَّ المتعثّرَ ، بين خيامِ بني ذبيان وحاناتِ نيويوركَ ، . . المتخثّرَ في أضبارات المجد المنسيّةِ فوق رفوفِ التاريخِ ، . . اللاهثَ بين خطوطِ الطولِ ,وبينَ . . .

خطوطِ الملصقْ!

(3)

- خمسون قذيفة! . .

في صدرِ مخيم «نهر البارد» و «البدّاوي»!!

...هل تكفي . . .؟

- خمسون قذيفة! . .

هل تصلحُ مانشيتاً لجرائدكم؟

- خمسون قذيفة! . .

هل تكفي لفطوركَ يا مولاي!!؟

- . . . . .؟

(4)

لمخيمِ «نهرِ البارد» . . حين يجنُّ الليلْ
أن يخرجَ من باراتِ النصر ,وحيداً
يترنحُ في الطرقاتِ ، وفي الساحاتِ العربيةِ . . وهو يغني :
« . . نشربُ إنْ وردَنا الماء صفواً
ويشربُ غيرنا . . . . . .»
آه . . يا ليل!
آهَ . . يا عين! . .
. . . . .
لمخيمِ «نهرِ البارد»
أن يبلعَ «خمسينَ قذيفة»
منتحراً
قبل سقوط الزمنِ العربيِّ
تحت سنابكِ خيلِ الأخوةِ والأعداءْ!

(5)

- مَنْ يمنحُ «نهرَ البارد» ، . . قرصاً للنوم؟
- مَنْ يشتلُ في «نهرِ البارد» ، زهرةَ حبٍّ لا تسحقها أقدامُ القتلة؟
- مَنْ يكتبُ في «نهرِ البارد» ، مرثّيةَ هذا العصر؟
- مَنْ يبنِ لمخيمِ «نهرِ البارد» ، جسراً يمتدُ إلى ضفةِ الشمسِ العربيةِ
  لا تنسفهُ دبابَاتُ بني العَم . .؟
- مَنْ يعرفُ أنَّ لـ.«نهرِ البارد» طعمَ مياهِ الأنهارِ العربيةِ ، ممزوجاً بالدم؟
- مَنْ يرسمُ عن «نهرِ البارد» ملصقْ!؟ . .

(6)

لمخيم «نهر البارد» . . نشرةُ أخبار
لا تنشرها صحفُ العالم
فالتقطوا – ما شئتمْ – صوراً نادرةً ، للذكرى
مع أحجارِ خرائبها
مع أشلاءَ بنيها
مع أمطارِ فواجعها
هذا زمنٌ . . صارَ به الجرحُ العربيُّ ، منابرَ للشعرِ
وسوقَ مزادْ
صارَ به الموتُ العربيُّ مواسمَ للذكرى
– مَنْ يتذكّرُ كفرَ قاسم؟
– مَنْ يتذكّرُ ديرَ ياسين!؟
– مَنْ يتذكّرُ تلَّ الزعتر!؟
– مَنْ يتذكّرُ شاتيلا!؟
– مَنْ يتذكّرُ خمسينَ قذيفة . . .
في صدرِ مخيمِ «نهر البارد» و«البدّاوي»!؟
– مَنْ يتذكر . . . . . .!؟
– مَن . . . .؟

(7)

خمسون قذيفة!
خمسون قذيفة!
هل تكفي لفطورِكَ . . .؟
يا مولاي!

١٩٨٣/٩/١٥ بغداد

مقطع عرضي..
من حياة رقاص الساعة

كان مثنى كالمصعدْ
يهبطُ . . .
يصعدْ . . .!
لكنَّ مثنى قرّرَ أنْ يتوقفَ عن هذا التعبِ اليوميِّ ،
الملل المتكّرر . .
أنْ يَفتحَ نافَذَةَ القلبِ على البحرِ المزبدْ
أنْ يركضَ ، يركضَ ، حافي القدَمين ، على العشب الناعمِ
أنْ يتمددْ

أن ينسى كلَّ عواءِ السيارات . . .
ضجيجُ المدن الملغوَمة بالآلاتَ ، وبالأضواءِ
موسيقى الدَيسكو ، الإعلاناتِ
اللهث وراءَ اللقمة
صافرة الشرطيِّ ،
أنين المصعدْ . .!
ومثنى . . .
لمْ يسكرْ في بار
لم يختلسِ النظراتِ لساق فتاة في سلّمِ باصٍ
لمْ يسرقْ تيناً من بستان أحدْ
ومثنى لمْ يدخلْ مدرسةً
ويصدّق أنَّ الأرضَ تدورُ
وأصلَ الإنسان «من القرد» . .
وما خبّأ تحت وسادتهِ قمراً مجنوناً

أو أغنيةً لـ«أم كلثوم»
أو ديناراً من شغلِ الأمسِ
ولمْ يبكِ على ما فَاتَ
ولمْ يحقدْ . . .
ومثنى . . . آه
أضبط من رقّاصِ الساعة
في الثامنة المعتادَة يذهبُ للشغلِ
وفي الثانيةَ المعتادَة يرجعُ للبيتِ
وبين الشغلِ ، وبينَ البيت
أضاعَ مثنى عنوانَ النهر ، الَصحب ،
الَأشجار ،
وضيّعهُ الأصحابُ
ومقهى يرتادون
وشقراء . . لمْ تجنِ منه سوى الخجلِ القرويِّ
وسلّة تمر ، وحكاياَت بيضاء . . .
فعافتَهُ وَحيداً
محترقَ الأجفان أمامِ الشباك الموصدْ
ماذا لو يسترخيَ الآنَ أمامَ النَافذةِ المفتوحةِ . .
طولَ الصبح . .
ويتركُ هذا الَجرسَ الأحمقَ . . يقرعُ حتى . . .
ماذا لو يذهبُ للبستان - كما كان مع الأصحابِ -
ويجمعُ بعضَ السعفَ اليابس
يشويِ ما اصطادَ من الَأسماكِ . . على الجرفِ
ويأكلُ حتى التخمة . . .
ماذا لو . . .

يركضُ خلفَ فراشاتِ طفولته الغافيةِ الآنَ
على أكمامِ الوردْ . . .
ماذا لو ينسى - لدقائق - أنَّ العالمَ
مشحونٌ بالأتعابِ . .
وبالدخان الأسودْ
ماذا لو . . . .
. . . .
لكنَّ مثنى ، وهو يفكّرُ أن يوقفَ سيرَ المصعدْ
يسرعُ نحو الشغلِ - كعادته -
يجلسُ خلفَ الطاولةِ المتآكلَةِ الأطرافِ
يفكّرُ بالترفيعِ . . ،
وخمسة أفواه زغب
وحياةٍ كالريحً . .!

٦/٥/١٩٨٤ الكوفة

معتادٌ ، حين أعودُ وحيداً ، ثملاً
في منتصف الليلِ
أنْ أشعلَ مصباحَ ممرِّ البيتِ
وأدلف . . .
وكعادتها ،
تستيقظُ زهرةُ عباد الشمس
تتمطّى – في كسل –
فوق بساطِ العشبِ المعتم
تلوي العنقَ بعكسِ الريح
تتلفّتُ ، ظامئةً ،
حائرةً
مندهشةْ . .
تبحثُ عنِ ضوءِ الشمس
حتى تيأس
أو تنعس
تتذكّرُ أنَّ الساعةَ منتصف الليلِ
فتغمضُ جفنيها . . .
وتنامْ . .!

١٩٨٤/٦/٦ في الحديقة – الكوفة

رسام

إلى الفنان كريم العامري

أكملَ لوحتَهُ الأولى
واسترخى - بضع دقائق -
فوق الكرسي ،
يتأملها . .
لمْ تقنعْهُ . .!
خلطَ الألوانَ الزيتيةَ ، ثانيةً
ومضى يرسمُ لوحتَهُ الثانيةَ . .
الثالثةَ . .
الرابعةَ . .
العا . . .!
لمْ تقنعْهُ
مزقَ كلَّ اللوحاتِ
وراحَ بركنِ المرسمِ . . .
يبكي!!

١٩٨٤/٦/٢ الكوفة

الرسام.. ثانية

إلى الشاعر سامي مهدي (*)

أبصرهم . .
بالضحكات الرنّانة
تتزاحمُ أكتافَهمُ نحو القاعةْ
العرقُ المزوجُ برائحةِ العطرِ النسويِّ ،
الياقاتُ البيضاءُ ،
التعليقاتُ العابرةُ
الأيدي تتصافحُ . .
أصغي بشحوب قلق
(ماذا سيقولُ الروّادُ ،
النقّادُ ،
الصحفيون ،
الـ« . . . . . . » . .
عن معرضه الأول؟)
لاذَ بركنِ المَعرضِ ، مرتبكاً
قلقاً
تتبعُ عيناه الحائرتان خطى النظراتِ
تجوبُ أزقتَهُ . . ،
والقلبَ
وأروقةَ الأحزانْ
(هذي الألوانُ . . . دمي)
(هذي اللوحاتُ الملصوقةُ في القاعةِ ، . . .
أيامي المنثورةُ في الطرقاتِ

وفي الريحِ)
علّقَ أحدهم ببرود :
- هذي اللوحةُ تشّبهُ لوحةَ سيزانْ
التفتَ الرجلُ المتأبطُ زندَ امرأة ، وكتاباً ضخماً
- بلِ تشبهُ لوحاتِ جواد سليًم
صرخَ الرسامُ الكهلُ المتأنّقُ - في وجهِ الصحفيٍّ العابرِ -
منفعلاً :
- بلْ . . . هي تشبهُ لوحاتي
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
لمْ يكترثِ الرسامُ الشاب
أغلقَ بابَ المعرضِ ،
حين أنفضَّ الجمهورُ
ومضى يتسكّعُ ثانيةً ،
في الطرقات ، وحيداً
يبحثُ عن لَوحاتٍ أخرى . . .

الثانية بعد منتصف الليل ١٣/٨/ ١٩٨٤ كركوك

(*) نُشرت القصيدة في جريدة «الجمهورية» ع ٥٤٦٩ في ٢٥/٨/١٩٨٤ . . وهي ردٌّ على مقالة الشاعر ساميْ مهدي (انهم يقتلون القصائد) المنشورة في جريدة الثورة ع ٥٢٠١ في ١٣/٨/١٩٨٤ .

. . . بمحاذاة الجدرانِ المتآكلةِ الألوانِ
أسيرُ وحيداً . .
أتفيأً هذا الظلَّ المتعرّجَ ، منعرجاً
لشوارعَ دون ظلال
وشوارع مغلقة
وشوارعٍ لا تؤوي الغرباءْ
وظهيرةُ تموز تصهرني كالقيرِ المائع . .
ياما كنا نركضُ فوق لهيبِ الإسفلتِ ، حفاةً
نحو النهرِ . . .
وياما . .
لكنَّ النهرَ . . . بعيدٌ
- كطفولتنا -
مَنْ يعرفُ في كركوك ، الرجلَ الرثَّ ، المتسكّعَ
في هذا القيظِ ، وحيداً . . .
دون صديقٍ
وكتابٍ
تلفظهُ الطرقاتُ
وتشويه الغربةُ ، والقيظُ ، وآهِ الكلماتِ ، وآه . . .
أحياناً يجلسُ في المقهى
وسطَ ضجيجِ الدومينو ، يكتبُ شعراً
يصفنُ ساعاتٍ دون حراك
ويعلّقُ عينيه الشّاحبتين علّى مسمارٍ . .

أو نجم مصلوب
. . أو امرأة عابرة
ثم - بلا تخطيطٍ - يدفعُ بابَ المقهى . . .
مندفعاً نحو الشارعِ ، ثانيةً
لا يعرفُ - كالضائعِ ، كالسائرِ في الحلمِ . . .
إلى أينَ تسيرُ خطاه التعبى . .
وشوارعُ كركوك ، تأخذُ - في هذي الساعاتِ المحروقةِ -
قيلولتَهَا . . .

حتى زهرة عباد الشمس . . .!
انكمشتْ في الظلّ
لكنّكَ - يا أبن الصائغ - تمشي محترقاً
تأتيكَ من النافذة المفتوحة ، أحياناً ،
رائحةُ امرَأة بثيابِ النومِ . . .
وأحياناً ، تهرشُ أمعاءَكَ رائحةُ الأكلِ
وأحياناً ، تتلصصُ في وجهكَ - هذا المحفور بخارطةِ العرقِ ، المغبرّ من
التجوال المضني -
نظَراتُ عجوز ، باردةٌ
أحياناً تتمهلُ - فيّ العتبةِ - محترساً ، ملتصقاً
فيرشُّ ظهيرةَ وجهكَ بعضُ رذاذِ هواءٍ باردٍ ،
يتسربُ من فتحة باب ما . . . . . .
أتركُ وجهي يتبرّدُ ، ملتذاً - بعضَ الوقتِ -
وأحلمُ . . .
- من خللِ البابِ المفتوحة للنصف -
بأشياءٍ زرقاءَ
آه . . . .

- يا ابن الصائغ - . . . . . .

لو . . . .

٧ تموز ١٩٨٤ كركوك

عن الأمنيات...

بين أمنية ،
تتوهجُ - بَين الحقائبِ والقلبِ -
...كلَّ صباحْ
أو شمعة ،
تنطفّي قرب نافذتي
بين عمر يذوبُ . . .
وحلمٍ ، يسافرُ نحو البلاد القصيّةِ
نحو السماواتِ . . .
يومضُ بين الحشا ،
نجمةً مستحيلةْ
أغادرُ . .
نحو الشوارعِ . .
أحصي الأماني البخيلةْ
تمرُّ فتاةٌ (. . . بعمرِ البنفسج
ميّاسةَ الخطو . . .
لا تلتفتْ للمشرّد مثلي . . .)
يمرُّ بي الباصُ ، (مَزدحماً
هل ترى أستريحُ على مقعدٍ فارغٍ
بعد هذا العناء الصباحي؟ . .)
يمرُّ بي الأصدقَاءُ
)نثرثرُ - بعضاً من الوقتِ -
أو نتخاصمُ . .

أو ننتشي بالخمورِ الرديئة ،
أوٍ بالنساء)
تمرٌ بي المكتباتُ
)ووقتي قصيرٌ - كما تعلمين -
فهل يسعُ العمر
.. هذي الرفوفَ المليئةَ بالهمِ ، والكلماتِ . .؟)
تمرُّ المقاهي . . . (الضياعُ الكسولُ . .)
المحلاتُ . . . (تفتحُ سيقانها للزبائنِ) . . .
أيامنا الضائعاتُ
القصائدُ . . . (ياللحماقات) . . . ،
لعبُ الأزقة . . . ، (لا وقتَ للحَلمِ . .!)
ضحكُ الصبياتِ . . .
حلمُ الوظيفةِ . . .
طعمُ الطفولة
. . . .
ولكنني . . .
- عند كلِّ مساء -
سأرجعُ للبيتِ ، مُنكسراً
ثملاً
خائباً
وأمسكُ قلبي بكفي
ألملمُ عن دكة الباب
كلَّ الأماني القتيلةْ!

٢/٩/١٩٨٤ كركوك

الغريب...

لأنَّ المدينةَ قد أقفرتْ
والمصابيحَ أنعسها البردُ
فالتحفتْ ظلمةَ الطرقاتْ
قلتُ أرجعُ للبيت
(لا بيتَ لي . . .
غير برد المصاطبِ في آخرِ الليلِ . . ،
حزن الفَنادق ، . .
وهيَ تنفّضُ - في الصبحِ -
أغطيةَ الغرباءْ
لا بيتَ لي
غير رفٍّ بمكتبة . . .
عتبة في الطريقِ المشتّتِ كالروحِ
نافذةٍ شبه مهجورة
مقعدٍ ساهَم يتأرجحُ في الباصِ . .)
من أيّن للعشّبِ ، هذا الندى؟
للنساء ، التوهجُ . .؟
والقلبُ أظمأُ من حجرٍ في الطريقْ
قلتُ أرجعُ للبيتِ . . إذْ يرجعُ الناسُ
أغفو على نجمةٍ . .
أو حصير . .
لعلَّ الصباحَ الجميلَ ، الذي سوفَ يأتي
سيمنحني وردةً . .

أو كتاباً
قلتُ أغفو . . .
وتوقظني حسرةٌ
لا تزالُ تنثُّ دمي
حلمٌ ضاحكٌ كعيون الصبياتِ
إذْ يعبثنَّ بأحجارِ قلبي
ويبنينَ بيتاً من الحبِّ . . .
(. . لا بيتَ لي . . .!)
أقولُ لقلبي
وإذْ يطردُ البارُ خلاّنَهُ
وتخرجُ منكفئاً ، ثملاً
سوف تحصي الدراهمَ ، والأصدقاءَ
فتدركُ أنكَ ،
وحدكَ في آخرِ الليلِ
وحدكَ ، لا حانةٌ تتذكّرُ وجهكَ
لا امرأةٌ سوف تؤويكَ
لا شقةٌ . . .
غير بيت صغيرٍ . . . بإحدى القصائدِ
تسكنهُ . . .
والجنونْ . . .

١٩٨٤/٩/٢١ السليمانية

أقولُ : غداً
سوفَ أشرعُ نافذتي للعصافيرِ
أرنو إلى شجرِ البرتقال ،
يطاولُ جدرانَ بيتي العَتيق
وأدهشُ :
(. . آه . .
مَتى كبرَ البرتقلُ
وأزهرَ رأسي بقدّاحه ، والهمومِ)
وأبصرُ وجهي المجعّدَ ،
. . . يكسرُ حلمَ المرايا . . .
التي خدعتني
(. . وكيفَ تسلّقَ جدرانَ قلبي ، وشاخَ
وأغصانُهُ ، بعدُ ، مثقلةٌ بالندى الحلوِّ
والزقزقات)
أقولُ : غداً . . ،
سأرتّبُ آثاثَ عمري كما أشتهي
أنفّضُ عنها غبارَ الشجونْ
وأمسحُ عنها القلقْ
وأصنعُ لي فسحةً للهدوءِ ،
وطاولةً للكتابةْ
(. . إلى مَ تظلُّ القصائدُ مثلي مشرّدةً؟
في المقاهي . . .

وأرصفة الذكرياتِ
تقاسمنَي حزنَها
وأقاسمها البردَ ، والجوعَ ، والأمنياتَ
أما آنَ أن نستريحَ معاً . . .!؟ . . .)
أقولُ : غداً . . .
سوفَ أجمعُ كلَّ نثاري
الملمُ ما قد تبعثر من كتبي ، وعناوينِ صحبي ، المواعيدِ ،
أحلامِ عمري (كومضِ النجومِ البعيدة . . .
أرقبها ، تتوهجُ في عتمةِ الليلِ ، أو تنطفي في الصباحْ . . .!) . . ،
رمادِ الرسائلِ ،
بوحِ النساءِ ،
الندى . . .
أقولُ غدا . . .
غدا . . .
دا . . .
. . . . . .
ويأتي الغدُ
مثقلاً بالمشاغلِ . . .
يتركُ في عتبة الباب ، أحزانَهُ والحقائبَ
(. . . كمْ أتعبَتني الحقائبُ مثقلةً)
وكعادتهِ ، سوف يرنو لخيباتنا ، هازئاً ، ساخراً
ثم يمضي . . .
بدون اكتراث!

الجمعة ١٩٨٤/١٠/٥ السليمانية

طاسلوجة...

طاسلوجةُ والغربةُ والريحُ . . . وآخر مصباح يُطفأُ في الليلِ دمي . . .
هل أغفتْ سيدتي الآنَ؟ . . . (على الرفِّ مسودةُ الديوانِ تئنُّ من البردِ)
وقلبي مازال كأوراق الصفصاف يئنُّ من الريحِ
وهل أسدلتِ الأستارَ الورديةَ؟ (ألتحفُ البطانياتِ الخمسَ ،
ولكنَّ البردَ لعينٌ ينسلُّ إليّ ، ويحرمني النومَ)
وغيركَ - يا ابن الصائغ - يلتحفُ الـ . . . !!
يتقلّبُ من ثقلِ التخمةِ . .
(ما لكَ والناس
تقلّبْ ماشئتَ من الحرمانِ! . . .)
وهل تعرفُ سيدتي - اذ تغفو -
لِمَ يبقي المصباحُ الأحمرُ ، في ركنِ الغرفةِ
مرتعشاً ،
ووحيداً ،
يرنو - عن كثب - للثوبِ المحسورِ عن الغاباتِ العذراء وينـزفُ . . .!
(كان النجمُ يلامِسُ روحي ، يرعى في أعشابِ الجبلِ المتدثّرِ بالثلجِ ،
ويشربُ - هلْ يظمأُ مثلي؟ - من نبع صاف في أقصى القريةِ
تغتسلُ القروياتُ على ضفّته المحفوفة بالأشجّار
ويصغي - من مخبئه - لأغانيهنَّ العابثة المجنونَة
أحياناً يتسلّلُ بين الأحجارِ ، وئيداً ، محترقاً ، يلتصُّ النظراتِ إليهنَّ . .
ويحلم . . .!!) . . .
القرويةُ تخرجُ للمرعى كلَّ صباحٍ

نخرجُ من موضعنا نتدفأُ بالشمسِ ، وننشرُ فوق جذوعِ البلوطِ ملابسنا المبتلّةَ والبطانيات . . .

– صباحَ البهجةِ ، فاضل يونس . . .

ما أحلى شمسَ بلادي

ما أحلى العشبَ ينفّضُ عنه ندى الليلِ

وفي كسلٍ يتمطى ، اذْ توقظهُ أقدامُ الجندَ

وما أحلى كركرةَ القرويات يطاردنَ الغنمَ السارحَ

أو يحملنَ جرارَ الماءِ الى البيت

وما أعذبَ هذا النبعَ المترقرقَ مَن روحي . . .

حين يفيضُ قصائدَ حبٍّ تسعُ العالمَ

(كنتُ أحدّثُ هذا الجبلَ العالي عن حالِ الدنيا

فأراه . .

في اليوم التالي ، مشتعلاً بالشيب كرأسي

قلتُ أما تشجيكَ الدبكاتُ الكَرديةُ والزفّةُ والموّالُ المنسلُّ وحيداً ، مرتعشاً ، من بيت ناء يتغنى لحبيبته في الزفّةِ ,باعتْ أحلى خفقاتِ أغانيه بسيارة شوفرليتٍ وقصرٍ عالٍ . . آه . .)

هلُمنَ صبيّاتِ القرية

واحملنَ جرارَ الوجدِ إلى بيتِ الشاعرِ ، هذا المنفي وحيداً – في طاسلوجة – مغترباً

يتغنى بضَفائر محبوبتهِ «ميم» . . وجسرِ الكوفة . .

فسينشدكنَّ أغانٍ

لمْ يتغزلْ فيها شيرَكو بيكه س أو أحمدي خاني!

١٩٨٤/١١/٢١ طاسلوجة – السليمانية

. . . وأحصيتُ كلَّ المسرّاتِ في عمريِ المتناثرِ ، واحدةً ، واحدةْ :
الليالي الجميلات ، والنهرَ ، والصحبَ ، والنسوةَ العابراتِ - كما الريح - فوق رصيف احتراقي ، اللواتي زرعنَ بذورَ القصائدَ في مشتلِ القلب ، ثم تواريْن بين زحامِ المدينة والحزن . . . مَنْ يقطفُ الزهرَ - يا عابراتُ - إذا أورقَ القلبُ قدّامَ فاتنة . . ؟ . . وذوى - آه - خلفَ الخطى المسرعاتِ . . ومَنْ يشتلُ الشعرَ - يا عابراتُ - اذا ما تفتّحَ في الروحِ غصنُ القصيدة . . ؟ . . .

ثم تكسّرَ في الريحِ

كانتْ مسرّاتُ عمري بحجمِ الأماني التي لا تجيءُ . . .! بقبضة كفين بينهما يرجفُ القلبُ من بللِ الطرقاتِ ، وبردِ التسكّعِ في أمسياتِ الحدائق . . .
ثم انتبهتُ إلى وجهها - فجأةً - يسرقُ العمرَ . . .
يرسمُ في دفترِ الحلمِ أرجوحةً للطفولة ، منسيةً . . .
وركضتُ - كحلمٍ يتيمٍ - وراءَ شرائطها البيضِ . . .
قلتُ : سأسرقُ بعضَ النجومِ التي عُلّقتْ بجدائلها . . . وسأصطادُ بعضَ الفراشات ، ثمَّ اخبئها . . بين كرّاسةِ الرسمِ ، والقلبِ . . .!
لكنها . . .! غافلتني . . .
. . . . . .

. . . . . .
وأحصيتُ كلَّ المرارات :
بيتاً قديماً ، تناسلت الكدماتُ على وجههِ ، وزقاقاً تلوّى كأفعى ، تعرفتُ فيه على القملِ ، والأصدقاء

كان يفضي إلى النهر أو للمدينة . .
أو كان يفضي الى مخفر فاغر الفاه . . أو للسماء
وما بيننا والزقاق ، براءةُ كلِّ الطفولَة ، والبوحُ ، مستنقعٌ للسباحةِ ، شَعرُ البنات ، . . ونافذةٌ للتسلّق والحلم . . .
أحصيتَ كلِّ السنين الحزينة ، يوماً ، فيوماً . وكنتُ أقطّرُ عمري - على دفترِ مدرسيٍّ - دواةً ، ودمعاً ، ونهراً صغيراً تغني الصبايا على جرفه وأشرَبُ وحدي عصارةَ حزن النساء اللواتي ، تركنَ أمامَ الحدائقِ قلبي حزيناً ، شريداً ، يطاردُ خيطاً رفيعاً مَن العطر ، أو موعداً لا يجيءُ . . .!
وأحصيتُ كلَّ ليالي التشرّدِ في الطرقات الخَليّاتِ ، والشعر والجوع . . .
كلَّ المخاوف إذ يطرقُ البابَ . . وجهُ المفوّض . .
كلَّ المدارسَ تلك التي قابلتني بكلِّ برودٍ ، وتلك التي طردتني لأني بدون حذاء
وكلَّ الدوائر إذْ يدَّخلُ الخوفُ قبلي ،
يقابلُ وجهَ المدير . . .
ويتركني والعريضَةَ لصقَ انفراجة باب المدير . . .
وكلَّ المطاعمِ ، والمكتبات ، التي تَعرفُ الآنَ وجهَ الفضوليِّ من بين كلِّ الزبائن . . ،
كلَّ الصَديقات ، كلَّ المقاهي ، وكلَّ القصائد ، تلك التي قاسمتني التسكّعَ والحزنَ والخبزَ . . . ،كلَّ الوظائف ، كلَّ الجرائد ، كلَّ الشوارعِ ، كلَّ التفاهات ، كلَّ المصاطب ، كلّ المخافر ، لَّ الشواطيء ، كلِّ المواجعِ ، كلَّ الحماقات ، كلَّ الكَراريسِ ، كلَّ رفوف المكاتبَ ، كلّ المزابلِ ، كلَّ المواويلِ ، كلّ السماواتِ ، كلَّ العمارات ، كلَّ الـ . . .
. . . .
. . . .
. . . .

وأحصيتُ! . . أحصيتُ! . . أحصيتُ . .
حتى انتهيتُ إلى آخر الورقةْ
. . . دون أن أنتهي . . . .
فبكيتْ!

١٩٨٤/٥/٩ الكوفة

(*) ترجمها إلى مجلة «بيان» الكردية الأديب طارق صديق الكاريزي ع ١١٥ كانون الثاني ١٩٨٦ .

. . كلَّ صباح
كان يشقُّ خطاًه التعبى
وسطَ ضجيجِ الكلماتْ
مندفعاً - دون حماسٍ - في موجِ الناسِ المندفعين ،
وسربِ السيارَاتْ
يتأبطُ محفظةَ الأوراق
الى مكتبه المتواضعِ . . .
في إحدى الصحفِ اليومية
قبل الفنجان الأولَ . . .
قبل صباحِ الخير . .
تطالعهُ فوقَ الطاوَلة المملوءة ، أكداسُ الكلماتْ :
(قصةُ حب بَائسةٌ . . .
نقدٌ لكتابٍ في النقد . .
خمسُ قصائد شعرٍ . . . لمْ يفهمْ حتى اللحظة ، ماذا تعني . . .
وحشودُ مقالاتْ . . .)
فَتَحَ النافذةَ الموصودةَ - من سأمٍ -
وتأمّلَ - في شغف أخاّذ -
ضوءَ الشمسِ المتسلّل
. . . بينَ الأشجار ، وفستان فتاة فاتنة تعبرُ مسرعةً
...بينَ عمارات تَعلو . . . ، وخطى غربتهِ
وتذكّرَ سهرتَهُ المعتادةَ حتى منتصًف الليلِ
مع البقِّ . . ،

وضوءِ المصباحِ الواني . . ،

وتلال الصفحاتْ . .

– ماذا لو يركلُ هذي الطاولةَ الملعونةَ؟ َماذا . . .؟

ويفرُّ إلى الساحاتِ المفروشة

بالناسِ ، وبالأزهارِ

وبالضَحكاتْ

يقرأُ للأشجارِ قصائدَهُ المخبوءةَ

ماذا لو يوقفُ في ساعته السأمى

مَوتَ الساعاتْ؟

أرخى عينيه الخائرتين . .

حزيناً ،

منطفئاً

وتذكّرَ أنَّ دراهمَهُ

لا تكفي . . . لشراء دواء أبنته

لا تكفي . . . لعشاءٍ في أرخصِ مطعمْ

لا تكفي . . .!

شمّرَ ساعدَهُ . .

ومضى يكتبُ . . يكتبُ . . يكتبُ . . يكتبُ . . يكتبُ

يكتبُ ، يكتبُ

يكتبُ

يـ . . .

حتى ماتْ

١٩٨٤/٩/١ كركوك

السيدة..

أقولُ لقلبيِ : تمهلْ
اذا ما مررتَ بشباكها
متعباً ، كالشوارعِ في الليلِ
مرتعشاً ، كالقناديلِ في حانةِ الساعةِ الواحدةْ
أقولُ :
لعلَّ الستائرَ ، تلك الموشاةَ بالياسمينْ
تبوحِ ببعضِ الحديث
لعلَّ النوافذَ ، تحكي لَسيدتي عن هواي الدفينْ
فما زالَ قلبي بكلِّ المواقد - حيث الأحاديثُ - مشتعلاً بالعذاباتِ
مازالَ دمعُ النجومِ . . وراءَ الزجاجِ الشفيفِ
يطرّزُ جفني ، وعشبَ الحديقةْ
وما زالَ خلفَ الستائرِ شيءٌ يُقالْ
أقولُ :
أتذكرُ - خطوي المضيّعَ - تلكَ الشوارعُ
إمّا انتهيتُ إلى حانةٍ - بعد منتصف الليلِ - موصدة
أو إلى بابِ سيدتيً
فلقد أتعبتني الشوارعُ . . حتى أنتهيتُ لقلبيَ
ولقد أتعبتني القصائدُ . . حتى مضيتُ
أفتّشُ عن حانةٍ لا تملُّ جنوني
أقولُ : لعلّي . .
سأبصرها - ذاتَ يومٍ -
بضحكتها العابثة . . .

- صدفةً - . . .
في طريقِ القصيدة
. . . .
. . . .
ولكنني إذْ أمرُّ - بكلِّ مساء -
سأبصرُ، مصباحها مطفأً
والزهورَ - على البابِ - ذابلةً
سحقتهاَ خطى العابرين
وأبصرُ قلبي . . .
وحيداً . . كما كان
محترقاً، قربَ شباكها الموصدِ . .

١٩٨٣/٢/٦في الطريق إلى بغداد

موعد

ربما أقبلتْ . .
من يمينِ الطريقْ
ربما . . .
من يسارِ الطريقْ
ربما . . .
دلفتْ – دون أنْ ألحظَ الآن – بابَ الحديقةْ
إنما حدسي لا يخيبْ
لحظةً . . ثم يستنفرُ الدربُ . . أشواقَهُ
في انتظامِ خطاها الأنيقةْ
وتقبلُ ضاحكةً . . من شكوكي ،
ولون اصطباري ، على جمرةِ الدربِ
رائعةً . . في القميصِ المطرّز بالوجدَ
والَقبّرات
شَعرُها الفوضويُّ . . المسافرُ دوماً مع الريحِ
– مثل القصيدةِ – يفلتُ مني
ويتركني
دونما كلمة . . .!
هاهي الآنً تقبلُ . .
مسرعةً
ثم تبطيءُ ، حين تراني
تتطلعُ – في خجلٍ – . . . . نحو ساعتها
وكعادتها . . .

في جميعِ المواعيد
تسبقُ أعذارها ، . . ضحكةٌ
كرذاذ النوافير . . مجنونةٌ
تطفيءُ الجمرَ . . واللَحظات َالعصيبةَ . . والـ . . .
- أنتَ تعرفُ . . أنَّ أزدحامَ الطريقِ . . .
- إنّهُ الباصُ . . معذرةً . . فاللعينُ الثقيلُ الخطى
كان دوماً يشاكسني . . .
ويؤخّرني عنكَ . . . يا سيدي!
. . . .

. . . .
أتأبطُ - في لهفة - خصرَها
ثمَّ ندلفُ من مدخلٍ آخر . . .
للحدِّيقةْ!!

. . . .
ربما . . . .
من يسارِ الطريقْ
ربما أقبلتْ من يمينِ الطريقْ
ربما عبرتْ - دون أن الحظَ الآنَ - بابَ الحديقةْ
وأبقى على جمرةِ الدربِ ، منتظراً
ساعةً . . .
ثم أخرى . . وأخرى . .
ولا شيء غير انتظاري . . .
وشكّي ، وناري
وصمتِ الطريقْ

بغداد - مقهى في الباب الشرقي ١٩٨٢/١٠/٢١

إمرأة من دخان

تدخلُ . . .
مقهى القلب
تتخذ - دون مبالاةٍ -
. . مقعدها
في زاويةٍ منسيةْ
تشعلُ سيجارتها
وتدخنُ في صمت
ثمَّ تقلّبُ بين يديها . . . ديواني
يدنو النادلُ منها . . مرتبكاً
- ماذا تأمرُ . . . سيدتي . .؟!
- . . . لا شيء . . . .!
- . . . . . .
بعد قليلٍ
تطفيءُ سيجارتها . . في صحنِ رمادي
وتغادرُ . . مسرعةً!
تاركةً . . .
في جو المقهى . . . .
. . . خيطَ دخانْ !

١٩٨١/١١/٨ بغداد

المحطة الأخيرة

المحطاتُ فارغةٌ
والقطاراتُ قد رحلتْ ، هكذا
- بعد منتصف الليلِ -
مثقلةً بالحنين المبلّلِ . .
وأنطفأتْ قبلاَتُ المحَبين ،
والعرباتُ الثقيلةُ . . . ،
والكلمات
ولمْ يبقَ في البارِ إلايَ!
إلاكَ . . .! في حَببِ الكأس ، طافيةً
كَدخانِ القطاراتَ بعد الَرحيل
ووحدي معَ الحارسِ المَتلفّعِ بالبردِ . . . دون قصيدة
ووحدكَ كنت بلا موعد
تلوّحُ كفَاكِ للوَهمِ ،
للطرقَاتِ البخيلة ،
للعابريَنْ
ما الذي - ياوحيدةُ - تنتظرينْ
والقطاراتُ مرّتْ تعربدُ . . .
لا شيءَ غير الضبابِ ، ووجهي
ومرَّ المحبون - تحتَ نوافَذ غرفتك الموصودةْ -
وما تركوا غيرَ أزهارهمْ ، ذَابلةْ
. . . وقصاصات شَعر بها تحلمينْ
وها أنت - وحدَكَ - فوق رصيفِ الحنينْ
تقهقهُ خَلفَ خطاكِ . . .

رياحُ السنينْ
زرعت على كلِّ دربٍ . . هواكِ
انتظاراً حزينْ
ولمْ يأت فارسك الحلو . . .
لمْ يلتفتْ أحدٌ للَرموشِ البليلة
ما لوّحتْ - من خلالِ الزجاجِ المضبّبِ - كفٌّ إليكِ
فلمَنْ كنت واقفةً . . .
في الرصيفَ المقابلِ حزني . .؟
ووجهك هذاَ الوحيدُ ، الحزينُ ، يطاردني
في المَقاهي القديمةِ ،
. . . والطرقاتْ
ويتركني حائراً كالقصيدة
أبحثُ عن أيِّ بارٍ بحجَم حنيني

*

المحطاتُ قد أقفرتْ
. . . ربما لا يعودُ القطار
وتبقين والريحِ . . .
والساعةَ الواحدةْ
وماذا بليلِ المدينة . .
غير نباحِ الكلابَ . .
وصافرةِ الحارسِ الكهلِ . .
والريحِ . .
والعائدينَ من البار مثلي
بلا شقةٍ أو صديقةْ

الواحدة بعد منتصف الليل ١٩٨٢/١٢/٢٦ الفلوجة

لقطة رقم . . . (١)
كلَّ مساء
يتوكأُ - فيً الستين - على عكازته
منطفئاً ، ووحيداً ، يتنـزهُ في أرجاءَ الغابة
أحياناً ، يجلسُ تحت شجيرةِ يوكالبَتوس
يتذكّرُ . . .
آه . . .
. . . . ً

لقطة رقم . . . (٢)
يتأبّطُ شابٌ خصرَ فتاة فاتنة في العشرين
تطلقُ ضحكتَها النشوىً - فيً عبثٍ مرتبكٍ -
ويمران معا . .
معتنقين
أمام الرجلِ الكهل . .
. . . . إلى أعماقِ الغابةْ
. . . .

لقطة رقم . . . (٣)
إمرأةٌ في الخمسين
تجلسُ تحت شجيرةِ يوكالبتوس
ترنو - عن كثبٍ -

من خللِ الأغصان ،
. . . . لظلّين
معتنقين
تتذكّرُ . . .
. . ضحكتها النشوى بينِ ذراعي عاشقها
- ذاتَ مساء غابرْ -
حين اختفيا بينً الأحراشِ
تلهثُ خلفهما ،
نظراتُ عجوزٍ محترقة!
وصدى آهٍ . . .

منتصف الليل ١٩٨٤/٦/١٣ كركوك

للحديقة ،
بابان . . .َ
أو أكثر . . .
يدخلها الناسُ ، والعاشقون
وكلُّ الكلابِ ، التي لمْ تجدْ في المدينةِ مأوى
ثم يمضونِ . . .
لا شيء غير بقايا السجائر ، والكرزات
وبوحِ المحبين تحتَ ظلالِ الغَصونِ الخفيضَةِ
والورد - ينظرُ ذبلانَ -
تسحقهُ الخطواتُ التي غادرتهُ . . .
بدون اكتراث
ومثل الحديقة . .ً. قلبكِ
أدخلهُ . . .
مثلما يدخلُ الناسُ ، والعاشقون
وأختارُ مصطبةً فارغةً
أقولُ :
لعلّي الوحيد ، هنا
سوف يمضِي الجميعُ . . . وأبقى
إذا انسدلَ الليلُ . .
وأنهمرَ الرازقيُّ ، بليلاً
. . . كحزني
أقولُ :

سأتركُ خصلتها
تستحمُ على نهرِ أنفاسي العاشقة
سأحكي لها عن ضَياعي ، ويتمي
وموت العصافيرِ في غابتي
وسنختاَرُ ، ركناً قَصياً
ثمَّ أتركُ كفي تنامُ على خصرها . . .
ثم . . . .
و . . . .

*

. . . . . .

. . . . . .

للحديقة بابان
أو أكثر َ. . .
يدخلها الناسُ ، والعابرون
وإذْ يقبلُ الليلُ
تنسى العصافيرُ كلَّ وجوهِ المحبين
تنسى الغصونُ ، . . المواعيدَ ، والملتقى
- لقد غادرَ الناسُ . . . ياسيدي!
- ..والحدائقُ تغلقُ - في آخرِ الليلِ - أبوابها!
- . . . . .
ووحدي أنا ،
فوق مصطبة للضياع
ولا شيء غيرً خطى الحارسِ الكهلِ ،
مشتعلاً بالسعالْ
يتقدمُ مني . . .

- أقولُ له . . انها واعدتني هنا . . .؟!
أقولُ بأني . . . .!
ولكنهُ سوفَ يرمقني ، صامتاً
ثمَّ يغلقُ بابَ الحديقة
ويتركني ، والطريقْ . . .

١٩٨٣/١/٢١ بغداد

احتراق أولي

فـي الموعد تأتـي . .؟ ضاحكةً تغسلُ كالمطرِ العذبِ ، حديقةَ روحي ،
تلك المتربةَ العشب ، اليابسةَ الأغصان ، المغبرّةَ من طَولِ الجدبِ ، . . .
سأنسى أنَّ زهوري ذبلتْ بين يديك ،
وكلَّ عصافيرِ قصائد شعري هربتْ من قضبانِ نوافذِ غرفتكِ الموصدةِ
الأبواب . . . إلى الغابات . .
وأنسى أنّك كنت بدون مبالاة
تطلين أظافرَك الحلوةَ من نزف دًمي ، . . . أنسى . . أنسى!
في الموعد تأتي . .؟ مَنْ أبصَرَ حزني يورقُ وردةَ جوري ، في الـركنِ
المنسي . . إذا مرتْ سيدتي . .؟
مَنْ أبصر روحي تتسلّلُ في الليلِ إلى شبّاكِ الفاتنةِ الزعلانةِ ، كالقمرِ
الشارد ،
حين تَؤرّقني في الغربةِ أطيافُ هواها . . .
وأغني . . . .
في الموعد . . تأت! . . فلماذا يحسدني الشارعُ حين تجيء . .
وأزهارُ المشَتلِ - آه - تتلفّتُ ذاهلةً . .
وتديرُ الريحُ العنقَ . .!
أما كان الشارعُ يعرفُ هذا المتشرّدَ في أرصفة الوجعِ الليليِّ . .
أطاردُ ظلّي في الحانات ، وفي الأقبية الرطبةَ . .
يتبعني البقُّ . . وصفاراتُ العسسِ اللّيليين . . . (سأنسى الكدماتَ
على وجهي المصفرِّ . .
وأطلبُ كأساً . . .

لكنَّ النادلَ ، يرمقني ببرودٍ . . .

يطفيءُ آخرَ ضوء في حانته ، ويغادرني . . .)
في الموعد تأتي . .؟ . . كانَتْ بقميص الحبِّ الشفّاف . . سحابةَ شعر رائعة . . تعبرني . . (. . آه . . لو تمطرُ . . لو نمشي تحت رذاذ الليل المجنون . . . تبلّلِ كلَّ أغانينا وملابسنا ، القطراتُ . . . ونمشي . .! ما أجملَ أن تتسكّع تحت نثيث الأمطار مع امرأة تهواها . . .
. . . وتغني ملء هواك . . .! . .)
في الموعد تأتي؟ . . أعرفُ أنَّ النسوةَ قد يتأخّرنَ عن الموعدِ . . . بضعَ دقائق . . .!
. . . أو ساعات . . لا شيء سوى الغنجِ الحلوِّ . . وتلويعِ الروحِ . . وأعرفُ كيف يباهين بأن العاشقَ ظلَّ أمامَ النافذة الموصودة ، منتظراً حتى الفجر . . وحتى يبستْ أعشابُ الصبرِ برجليه . . وحتى . .! . . وأنا أعرف أن الدلَّ لذيذٌ . . ودمي قلقٌ حدَّ النزفِ . . وحدَّ اللعنةِ ، حين أظلُّ وحيداً منتظراً خطوكِ سيدتي . .
(. . كانتْ تتعذرُ دوماً بصديقتَها . .
أو بطء الباص . . وكانتْ . .! . .) . . .
وأنا تحتَ مصابيحِ الطرقاتِ الخابيةِ الضوءِ . . أضيءُ . .
وأنزفُ أشعاري . . .
هل تأتي في الموعد . . . سيدتي؟
أأصدّقُ أن امرأةً رائعةَ الفتنة مثلكِ . . .
يمكن أن تأتي . . .؟

١٩٨٤/٤/١٦ بغداد

للحزنِ نافذةٌ ـ في القلبِ ـ سيدي
وللمساءاتِ . . أشعارٌ ومصباحُ
معتّقٌ خمرُ أحزاني . . . . أيشربهُ
قلبي ، وفي كلِّ جرحٍ منه أقداحُ
تسافرُ الريحُ ـ وبِلي ـ في ضفائرها
ومَنْ يطاردُ ريحاً كيفَ يرتاحُ!؟

١٩٨١/١٠/٥بغداد - مقهى في الأعظمية

.. وبين الندى

والحديقة . . .

يكبرُ برعَمُ قلبي

يفتّحُ للشمسِ أوراقَهُ

فأرى طفلةً ،

بثيابِ الفراشِ الشفيفة

وهي تَجرُّ الخطَى والضفَيرة . .

للمدَرسةْ

تشتهي زهرتي

وتخافُ عصا الحارسِ الجهمِ . .

آه . . .

سأنثرُ أوراقَ عمري

على راحتيها

إذا ما تجرّأت الآنَ

وأقتربتْ خطَوةً . .

خطوةً

من شذى زهرتي المشرئبّةْ

ولكنها . . .

اذ ترى الحارسَ الجهمَ ، متجهاً نحوها

سوف ترمي على العشب . . دفترها المدرسيَّ

وتهربُ مذعورةً – كالقطاَ –

وأبقى أنا واجماً لا أقولُ

وقلبي . . على غصنه
زهَرةً ذابلة

الثانية عشرة ليلاً ٣/١/١٩٨٤ بغداد

صباحاً لعينيك
إنَّ القصائدَ تغسَلُ في نهرِ دجلة ، أحزانها . .
تتمدّدُ فوق الحشائشِ ، مبهورةً
بضياء الصباحِ . . ووجهك
مَنْ أيقَظَ الورد من نومه . .؟
الندى . .؟
أم يدي . .؟
وهي تقطفُ من غصنِ الوجدِ ، نرجسةً
لتحيةِ هذا الصباحِ
فتبتسَمين بدلٍّ لذيذ
ويمتلىءُ الدربُ - ياحلوتي - بالأقاحْ
صباحاً لعينيك . .
مازالَ بين دميَ ، والبلادِ
يموجُ هواك
لماذا إذا انسابَ خطوكِ ، هذا القصيرُ ، الأنيقُ ، المهذّبُ . . .
فوق شوارعِ روحي
أحسُّ بأنّ البراعم تفتحُ أكمامَها
وتشبُّ إليك
أحسُّ بأنَّ حَدائقَ قلبي
تفتّحُ للناسِ أبوابها
وأنّ صباحاتِ عينيكِ . . . لا تنتهي!

صباح ١٩٨٣/١١/٢ بغداد

غربة

أحملُ منفاي إليكِ . . .
ولا أدري
انّكِ أنتِ . . . المنفى

١٩٨٢

حيرة

أكانتْ تغارُ القصيدة
اذا ما تغزّلتُ باسمكِ . . . ياميمُ
تحمرُّ وجنتها
وأحسُّ اضطرابَ خطاها الوئيدة
على أضلعي . .
هي ما بالها لا تطاوعني . . . .
كلما حدستُ لوعتي
أهذي إذنْ . .
غيرةُ الحبِّ . . - ياحلوتي-
أم دلالُ القصيدة!؟

١٩٨١/١٠/٢٩ في الطريق إلى الكوفة

المطر في الشوارع.. متى أراكِ؟

كان قلبي على العشبِ ، يسقطُ مثلَ الندى
يقبّلُ كلَّ الزهورِ التي . . .
تركتها خطاكِ علَى الدربِ
حين تمرين فيَ حيّنا
حلوةً . . حلوةً
مثل شمسِ الصباحْ
سلاماً . . . لعينيك . . .
إنَّ النوافذَ طرَّزهَا البرتقالْ
فاتركي لي يديك
فللعشبِ رائحَةُ الوجدِ . . والثرثراتِ
إذا ما مررتَ على القلبِ
هامسةَ الخطَو . .
فوق الرصيفِ المطرِّز بالآهِ
كلُّ الصباحات . . مشمسةٌ
ومعَ الريحِ . . نمَضي
نمشطُ شعرَ الشوارعِ
نغسلُ بالمطرِ العذبَ
نافذَةَ الكلماتْ
لماذا تمرينَ مسرعةً
هل تأخرت - بضعَ دقائق - عن موعدٍ . . .؟
أم تخافين يَاحلوتيِ
أن يبلّلَ فستانكِ المدرسيَّ نثيثُ المطرْ!؟

أنا قلبي مع المطرْ
يبلّلُ كلَّ الفساتين
كلَّ الضفائر
كلَّ الدفاتر
كلَّ الشوارع
كلَّ الشجرْ
فأتركي لي يديكِ
أتركي لي يديكَ
فكلُّ الحدائقِ مملوءةٌ بالزهرْ

٥/١٢/١٩٨٣بغداد

مَنْ أبصرَ سيدتي ميم..!؟

كانت ميمٍ . .
تركض . .
تركضُ . .
- حافيةً -
فوق مروجِ قصائد شعري
زاهيةً . . بقميصِ الشيفونِ الأزرقْ
هل تعبتْ سيدتي . .؟
هل نسيتْ ذاك الشالَ الغجريَّ . . .
على المصطبةِ الخلفيةِ ، يبكي غربتَهُ . .؟
هل بلَّلَ دفترَها . .
مطرُ الأشواق المتساقطُ ، من أحداق العشاقْ . .؟
كانتْ تجري - كَالطفلة - . . . . يا قلبيَ
لاهيةً بشرائطها البيضاَء المجنونة
تركضُ خلفَ القمرِ الصيفيِّ ، وَراء التلّةِ
وأنا . . والريحُ . . وأَحلامي
مذْ سبع سنين . . نجري خلفَ شرائطها
تعبتْ أحلاميً . .
وتعبتُ أنا . .
تعبتْ كلٌّ الريحِ
وما تعبتْ سيدتِي ميمْ!!
. . . . .
كنتُ أراها . . .

بصباحات الغابات المنسيةِ ، في روحي
تصطادُ فراَشات الوَجد
وتقطفُ في سلّتَها . . .َ
قدّاحَ اللوعة . . والليمونَ . . .
..وأزهارَ َالجوري
تنثرها . . – دون مبالاة –
. . في الدربِ
. . . وَتمضي!
تتباهى بين الفتيات . . .
بأنَّ مفاتيحَ الغاَبة . .
مَلكُ يديها

١٩٨٢/١١/٢٥ الكوفة

شكوى

إذا ما اتكأت
على شرفاتَ القمرْ
ونامتْ بليلِ الضَفائرِ إحدى نجومي
فلا تقلقيها . . .
إنّها آهةٌ
كسرتْ بابَ قلبي
وفرتْ إليك
لتشكو . . . همومي

١٩٨٢

تمرينِ أنت
فكلُّ الدروَبِ . . مرايا اشتياقي
تمرين . . مختَالةَ الخطوِ . .
فوق رصيفَ احتراقي
وشَعرُكِ ، هذا المشاكسَ
يسرقُ مَني قصائدَ شعريِ
ويبتاعُ فيها الشرَائطَ . . والياسمين
وواثقةٌ . . .!
إنَّ كلَّ القصائد . .
سوف أسطِّرها لكِ وحدكِ أنت
تفيضُ حَنينْ
فتبتسمينْ . .!
إذا ما تلألأ أسمك بين السطورِ
وهامتْ به مقلُ العاشقينْ
لذا . . .
كنت تمضينَ مزهوةً
بين كَلِّ الجميلات
– إنّكِ لوعةُ شاعرْ

الخميس ١٩٨١/١٠/٢٩ في الطريق الى الكوفة

خلود

تشيخُ الورودُ
وتذبلُ
لكنها . . .
سوف تتركُ فوق يدي
عطرها
وتموتْ

صباح ١٩٨٣/٦/١٢ بغداد

عصفور

حطَّ العصفورُ
علىِ شباكي المفتوحِ
وراح يغني . . .
حينِ رِآني ، ما زلتُ أغطُّ بنومي
صفّقَ جنحيهِ . . .
...وشتَّمني . . .
ومضى نحو الغابةْ

٢٣/٨/١٩٨٣ بغداد

حكمة

حين ترى المجروحَ . .
يغني
- محترقَ الروحِ -
على قارعةِ الدربِ
فتوقفْ!
حتى تعبرَ آهتُهُ
نحو سماوات الله
خفاً أن تسحقَها قَدماكَ المسرعتانْ
حين تمرّانْ

٣/١٠/١٩٨٣بغداد

غابة..

احطبْ من روحي - يا فأسَ الشعرِ -
ففي غاباتي البكرِ ،
..المتشابكةَ الأغصانْ
أشجارٌ من كلماتَ
لمْ تتشذبْ بعدُ!

٢٣/٨/١٩٨٣بغداد - كازينو ام كلثوم

فكرة

يستنجدُ بالسيكارة أحياناً
يستنجدُ بالقهوةْ
أو بالكتب المنثورة
. . . أوَ بالخمرةْ
يستنجدُ بالهوَسِ المجنون
بتقطيعِ الشَعرِ المتَبقي فَي الرأسِ - من الغيظِ -
بفكِّ الأزرار . . .
بذرعِ الغرفةَ آلافَ المراتِ
ولكنْ . . .!
لن تأتي الفكرةْ

١٩٨٤/٤/٢٧بغداد- فندق الرشيد

كتبٌ متناثرةٌ . . .
في أرضِ الغرفة ،
فوق سريرِ النومِ ،
على طاولَة الأكل
معجونُ حلَاقة . . !
أزهارٌ ميّتةٌ في السندانة . . .
قنينةُ خمر للنصف . .
وقلبٌ كالمنفَضة المملوءة بالأعقابِ ، يغطّيه دخانُ الكلماتْ
في قعرِ الكوبَ بقايا شاَي متيبسْ
وبقعرِ الروحِ بقَايا حزن متيبسْ
صورةٌ مارلين مونرو لُصقَتْ بالصمغِ على الباب
سريرٌ في فوضى دائمة
قمرٌ في الشباك
حذاء
كبسولٌ للقرحة ،
أقلامٌ سيئةُ الصنعِ
قصاصاتُ جرائد
ذقنٌ كثٌّ لمْ يُحلقْ
مذياعٌ مازالَ يثرثر . . .
حلمٌ مكسورٌ
كرسيٌّ مكسورٌ . . .
و . . . . . و . . . . و . . . . .

و . . . . . و . . . . .

و . . . .

و . . .

لو تدخلِ سيدتي الآنَ

فمن أينَ ستبدأُ . . . .

بالترتيبْ!؟

النجف ١٩٨٤/٦/٨

انتظريني تحت نصب الحرية

هو الوطنُ المستفيقُ . .
عليٍ جمرةِ الوصلِ . .
يمتد . .
من قاعِ عينيك . .
حتيٍ مرافيءِ قَلبي
شهياً
بهيّاً
مضيئاً
ككلٍّ الصباحات . . حين أراك
تميسين في ثوبكَ المدرسيٍّ المطرّزِ بالأقحوانْ
. . زهرةً . . من حَنانْ
تهشٍّ فراشاتُ قلبي . . إليكِ
وأمضي . .
وراءَ ضفائر شَعرك . .
حتى انطفاَء الزمَانْ
أفتّشُ عن دكّة للقصيدة
تستريحُ عليها شًجوني
وأحتار يا شاعرةْ؟
لماذا أحبك أنت
وأسألُ عنكَ . .
عصافيرَ قريتَنا . .
والحدائقَ . .

والنجمةَ الساهرةْ
وأوقدُ كلَّ شموعي . .
على النهرِ
نذراً لعينيكَ
علّك تأتينَ . . يا حلوتي
فأبصرَ – في القاعِ – أيامي المُطْفَأةْ
وأحملُ قلبي على راحتي . . . وأمضي
أقلّبُ بين يديّ الشوارع . . .
والكلمات

لعلي أراكِ
تجيئينَ . . في ثوبك المدرسيِّ ، المطرّزِ بالأقحوانْ
نسمةً من حنانْ
فأفتحُ كلَّ نوافذ قلبي . . إليكِ
وأهمسُ في أذنَيك
– أدخلي ، بأمانْ!

طفولة

تجذّرتُ – منذُ الطفولة –
بالوطنِ المستحمِّ عليِ شَرفتي
كنتُ . . . والشمس
نلهو معاً
..في الأزقةِ
نبتاعُ حلوى
ونكتبُ شعرا
ونركضُ خلفَ العصافيرِ
أسألها :
لِمَ تهربُ من قفصي . . .؟
وَتحنُّ إلى عشها . .
فيِ أعالي الشجرْ
وتتركُ دفء يدي . . .
و «حبوبيٍ»
وتصبو له . . .
رغمٍ عصفِ الرياحِ . . .
وزخِّ المطرْ
*
تجذّرتُ – منذُ الطفولةِ –
أعرفُ أنَّ هواه
يفيضُ بقلبي . . ، حنيناً
ونسغاً . . تصاعدَ

من لهفتي
رائعاً . . عاشقاً . . كالنهرْ
وكان المطرْ
يبلّلُ ثوبي
وأفرحُ . .
أركضُ . .
أركضُ . .
أركضُ . .
أفتحُ . . كلَّ ذراعَيَّ
علّي أمسكُ شَعرَ المطرْ

*

وكان المعلمُ . . .
حين يعلّمني . . .
كيفَ أرسمُ . . فوقَ الكراريسِ
شكلَ الوطنْ
أغافلهُ . . . .!!
ثمَّ ألصقهُ فوق قلبي
وأبكي . . .
لأني كسرتُ الزجاجةَ . .
- في الصف -
يا لبراءة هذا ﴿الشجنْ﴾
وأعرفُ . . .
إمّا نسيتُ نشيديَ - يومَ الخميسِ -
سيزعلُ مني الوطنْ

*

وكنتُ أطاردُ . . خلفَ الفراشاتِ
في كلٍّ حقلٍ
أجففها . . .
ثم أندمُ . . . . . .!!
...يا لهشاشة ألوانها الميّتةْ
أأرضى - أنا - . .
أن يجففني أحدٌ في كتابْ

*

وكلَّ صباحْ
نمرُّ ببستان «عبود»
للآن . . . .
أذكرُ ثقلَ «السوابيط» . .
والرازقي
وحين تسلقتُ يوماً . . .
لأسرقَ رمانةً . . . راودتني
تَرَدَّدْتُ ساعتها
ورجعتُ لمدرستي . . . راكضاً
خوفَ أن يغضبَ اللهُ مني . .
ويَزْعل مني . . . الوطنْ

تستفيقُ البنادقُ . .
قبل العصافير
نركضُ . . .
فوق الندى والبطاحْ
نفلُّ ضفائرَ حلوتنا – الشمسِ –
ننثرها . .
خصلةً . . خصلةً
للرياحْ
وحين يصبُّ العريفُ . . . حليبَ الصباحْ
ونقسمُ الخبزَ . .
والضحكةَ الدافئةْ
نراها . . .
تمشطُ في صفحة الماء . . .
خَصلتَها الذهبيةْ
هنا نجمةٌ . . . سقطتْ من غدائرها
هنا زهرةٌ . . . نبتتْ
بين وقعِ الخطى . . والصباحْ
وكان الندى
يقبّلُ فوق شفاه الزهور . . افترارَ الندى
فألمسُ . . في رعَشةِ الفَجرِ
أوراقها العاشقةْ
هي اللحظةُ العابقةْ

ويرفلُ بالعطرِ . . .
ثوبُ المدى

*

و «مكي» . .!؟
أيدخلُ خيمتنا . .
ـ في المساء ـ كعادته
يحدِّثنا عنَ ﴿عذابَاتِه﴾
و «قاسم»
مازالَ يقرأُ أشعارَهُ
كلما عشّشَ الوجدُ . . . في مقلتيهِ
يذكّرنا . . . بالطفولةِ . . .
والرازقيِّ . .
وضحكة جارتنا
وطيورِ الحَباري
لماذا يحبُّ العريفُ فؤاد . .
الجرائدَ . . والرازقيَّ
. . ونخلَ السماوة
يصبُّ لنا - كلَّ يوم - حليبَ الصباحْ
ويسألنا . . واحداً . . واحداً
من رأى زهرةً حلوةً
نبتتْ . .
بين وقعِ الخطى والصباحْ

هائماً . .
في فضاء العراقْ
باسطاً ظَلَّ جنحيهِ . . حيثُ المدى
جسرُ ضوء . .
يمرُّ عليه البرَّاقْ
كان يأتي لحارتنا . .
يطرقُ البابَ
في كفه . . مطرُ الله
. . والعَشبُ
. . والزمنُ المشتهي
. . والخيولُ العتاقْ
هو والفجرُ . . في موعد
ولهُ قبلَ أن تضفرَ الشمسُ . . خصلاتها
موعدٌ . . للعناقْ

*

لَوّنَ الأرضَ
مــن دمهِ . .
والثرى مَسّـهُ
فاستفاقْ
زهرةً . .
زهـرةً
فكان . .
العراقْ

سلاماً.. يا جسرَ الكوفة

يا جسرَ الكوفة . . اذكرني
إنْ مرّتْ محبوبَةُ قلبي
تسألُ عني النهرَ . . وأشجارَ النارنجِ
وكلَّ عصافيرِ حديقتنا
في عينيها الضَاحكتين . . قرأتُ قصائدَ حبي الأولى
ورأيتُ مروجَ بلادي . . تضحكُ تحت الشمس
وكتبنا - يالله - معاً . .
فوق جذوعِ نخيلِ الكوفة . .
اسمينا المرتعشين
هل تذكرُ - يا نخلَ الكوفة - موعدَنا الأولَ
هل تذكرُ أشعارَ السيابِ . . وعينيها الماطرتين . .
. . وقلبي

هل تذكرني . .!
كنتُ صبياً
أجلسُ تحت ظلال التوت
منتظراً . . خطوتهاَ الخجلى
في وجل عذب
أكتبُ فوقَ سياجِ حديقتهم . .
. . بعضاً من أبياتي
علَّ معذبتي . . تقرأها
. . حين تمر . .!
فترقَّ . . لحالي

*

يا جسرَ الكوفةِ . .

لوتدري . .

يا جسرَ الأشواقْ

. . . . كمْ أشتاقْ

قسماً . . . لو أبصرها

سأعانقُ . . كلَّ عمود

وأبوسُ . . نخيلَ الكوفَة

جذعاً . . جَذعاً

وأذوبُ عناقْ!

*

يا جسرَ الكوفة

خبِّرني . . عن محبوبةِ قلبي

أحملْ - كالريحِ - سلامي

املأْ عيني . . بظلال ضفائرها

دعني - ياجسرُ - أعبُّ أريجَ المشمشِ والرمانْ

خبرني . . إنْ مرتْ فوق الجسرِ

تحيي . . المارين

وتسألهمْ عني

وأنا في الخيمة . . . . . .!

كنتُ أحدّثُ «جسّامَ» الجالسَ قربي

. . عن ذات الثوبِ الأزرقِ

. . والكوفة

. . والنارنجِ

*

كان ضياءُ القمرِ المتسرّبُ - يا جسرَ الكوفةِ -

من بين شقوق الغيمِ . . .
يذكّرني . . بأغَانيها
تسهرُ في الليلِ معي
أحلامُ مدينتنا . .
وأزقتُها . .
وحدائقُها . .
ومصابيحُ شوارعها
فأرى عينيها الشاعرتين
– من بين شقوقِ القلبِ العاشقِ –
تنهمرانِ سنىً . . .
منَ فرطِ الوجدْ
فلماذا – يا جَسرَ الكوفة – لا ترحمني عيناها في البعدْ
ولماذا حين تمرُّ الريحُ بليلِ ضفائرها
يرتعشُ العطرُ الجوريُّ ، بسندانةِ قلبي
..ويشبُّ الوردْ!
ولماذا حين أغني . . بأسمك
تصدحُ كلُّ عصافير العالم فَي غابات فمي
ولماذا حين أحدّقُ في عينيك الضاحكَتين
أبصرُ كلَّ مروجٍ بلادي ، تتماوجُ تحت الشمسِ
. . . . . بلا حدْ!

تفاصيل لم تُنشر

- من حياة الفنان . . حسين حيدر الفحام -

كنتُ أبصرهُ . .

هائماً . . في الحدائق

يبحثُ عن زهرة . . أَو كتابْ

يشاطرهُ الليلَ . . والنجمةَ الساهرةْ

وفي الشرفة المستحمّة تحت ضياءِ القمرْ

كان يرسمُ لَوحاتهِ . .

عن طفولته

وعيونَ التي . . . . . .!!

وطيورِ الحباري . . تحلّقُ زاهيةً

فِي سماواتِ قريتهِ الوادعةْ

يشربُ الشاي . . في عجَلٍ

ويغادرنا . . .

نحو «بابِ المعظّمِ»

حيثُ الشوَارعُ . . مفروشةٌ بالندى

والوجوه الأليفة . .

والذكرياتْ

يفتّشُ بين الزحامِ الطويل

عن عيون التي . . . . . .!!

يتطلعُ فيَ «النصبِ»

في دهشة

. . . كلماً مرَّ . . من تحته

ثم يمضي . . إلى شغلهِ . .َ

نحيلاً . .
سريعَ الخطى . .
. . مفعماً بالصباحْ

*

كنت أبصرهُ . .
خلفَ واجهةِ المكتبةْ
ساهماً . .
غارقاً . . في تصفّحِ بعض العناوين
. . ملتصقاً بالرفوفْ

وحين يراني . .
يبادلني الإبتسامةَ
نخرجُ من شارعِ «المتنبي»
ونمضي معاً . .
نتحدثُ عن ذكرياتِ الطفولةِ
والجسرِ
. . عنَ آخرِ الكتبِ الصادرةْ
نحيّي «الرصافي»
ونمضي . .
نمشطُ - في الأمسياتِ -
شوارعَ بغداد . . .!
تحت رذاذِ المطرْ
. . . .
. . . . . .
. . . .

العصافير.. تموتُ في بيروت(*)

فتحتُ قميصي . .
لكلِّ العصافيرِ
قلتُ : استريحي
على غصنِ قلبي
وغني - كما شئت -
فالغابةُ الآنَ . . مُطفَأةٌ
والبنادقُ محشوةٌ
. . في انتظارك
هذا زمانُ التوجّسِ
والموت . . في الطرقاتِ الحزينة
والدَمِ . . . . . .!
في الأرغفة!

*

إنّها الغابةُ الوادعهْ
هجرَ النهرُ . . أعشابَها
والعصافيرُ . . ودعت الأرزَ
والحارسُ الكهلُ . .
نامَ على دكّة البابِ . . .
دون عشاءْ
باعَ - بالأمسِ - خنجرَهُ . .
ثمناً للدواءْ
واللصوصُ على البابِ . .

ينتظرونْ

دخلوا . . .!!

واحداً . .

واحداً

ثم في لحظة . .

أضرموا النارَ . . في الغابةِ الرائعةْ

(*) العنوان مستوحى من عنوان ديوان الشاعر الفلسطيني محمود درويش «العصافير تموت في الجليل»

كان النهرُ . . صديقي
منذ نعومةِ أحلامي
وأنا أتسكّعُ في ضفته . .
. . الممتدة حتى آخرَ أطرافِ القلب
بحثاً عن أَعشابِ السحرِ
وأزهَارِ الشعرِ
أداوي فيها أحزانيَ الأولَى
وصباباتي الأولى
فتشكُّ الأشواكُ نعومةَ كفي
وتسيلُ دمائي في النهرْ
كنتُ كثيرَ اللهوِ . .
أشاكسُ جارتنا
وأمرُّ على جسرِ الكوفةِ - في الليلِ -
وحيداً
محترقاً
أقرأُ أشعارَ المتنبي والسياب
وبعضاً من أشعاري
وأنامُ . . . . . .
مع الريح
فأرى . . امرأةً
تنثرُ أشواقَ ضفائرها . . في النهرِ
وتدعوني
أن أهبطَ . .

أجلسُ فوق الدكّةِ . . أرقبها
. . . . . .

*

مَنْ يمنحني الليلةَ . .
أقلاماً
أشواقاً
أوراقاً
كي أصبحَ شاعر؟
- الشعرُ . . سلاحُ الفقراء . .
وأَنتَ . . .!؟
- بيروتُ ، احترقتْ . . . يا هذا . . .!!
لمْ يبقَ من الغابات الحلوة . .
والأَطفالِ . .
ودور النشر . .
سوى . . . .!؟
- العالمُ أرصفةٌ للاعلانات
فماذا تقرأُ هذيَ الليلة؟
- وخليل حاوي!
وجدوهُ بغرفته . . منتحراً
برصاصة شعرَ
- . . . . . .!!
مَنْ يمنحني الليلةَ . . .
(فانوساً
أوقدُ) أشعاري . . منه
. . . . وأمضي!

الفجرُ يفترشُ الحقولَ المستحمّةَ . . بالندى
والنخلُ . . يلبسُ حلّةَ الأمراء
يبسطُ ساعديه . . على المدى
الشمسُ بين يديه
والنهرُ المرقرقُ . . والحمائم
تشدو له . . . ودمي الصدى
وأنا المتيّمُ بالطفولة . . والقصائد
أمنحُ الكلمات . . وهجَ الشمسَ
أنثرها . . على كلِّ البساتين الجميلةِ . . في بلادي
يا مهرجانَ القمحِ . . خذْ قلبي
مع الريح الخجولةِ . .
يلمس الأغصانَ . . في ولهٍ
يغني للنخيلْ
وأظلُّ أحلمُ بالأصيلْ
حتى الطريق إلى المدينة . . ضيّعتهُ خطى الفتى
فاذا الطريقُ إلى المدينةِ . . لمْ يعدْ ذاك الطريقْ
كوخي هنا . .
ومعي القصيدةُ . . والقمرْ
النهر . . أول ما يجيءُ . . يجيءُ لي
حتى الفصولْ
والريحُ . .
حتى الريحْ

عذراء
صافيةٌ . . .
تصلّي في الحقولْ
والشمسُ . . آه . . الشمسُ
فِي غبشِ الصباحِ . . تجيءُ لي
طَرقاتها الخجلى . . على شبّاكي الموصودِ . . أعرفها
وأعرفُ كيف توقظني . .
فنركضُ في المروجْ
ومعاً . . سنقتسمُ السنابلَ والرغيفْ
ومعاً . . نغني
هذي المدينة . . ضيّعتني

*

سأعودُ للغابات . .
أسألها عن الأعشاشِ
هل رحلتْ معي . . . حين ارتحلتُ إلى المدينةْ
وأُسائلُ الأنهار . . عن جسرٍ من الجذعِ القديمْ
أما يزالْ
يمتدُّ من قلبي . . . إلى بيت الحبيبةْ
وأروحُ أبحثُ في غصونِ البرتقالْ
عن موعد
تركتْهُ لي . . . ذاتُ الضفائر
سأعودُ . . يا قلبي
وداعاً . . .
يا مدينة

كان الضوءُ المتسرّبُ - من بابِ الخيمةِ - يغمرني
فأحدّقُ . . .
حيثُ سفوحُ خليفان
شلالٌ من خضرةْ
يتماوجُ - مثل ضفائرها الحلوةِ - تحت الشمس
خذني . . يا شلالَ ضفائرها
مرّرني . . . بحقول المشمشِ والرمانْ
اغسلْ أحزاني بينابيعِ المرجَانْ
وأملأُ بالعشق سلالي
يا لله ، إذا امتَلأتْ بالعشقِ سلالي
ستجَيءُ صبياتُ القريةِ
في غنجَ . . .
ودلَال
يحملنَ ثمارَ الحبِّ . . .
لمن يهوينَ!
وينثرنَ الدربَ ، زهوراً . . .
ولآلي
فتعالي . . .!
يا زهرة روحي
وتغني . . . بدموعي ووصالي
ولتحملْ- ريحُ الشمألِ - روحي
تزرعني . . .

نخلةَ حبٍّ
فوق ضفافِ الكوفة

*

كان الضوءُ المتسرّبُ من بابِ الخيمةِ . . .
يغمرني
أتخيلها . . .
تتكيءُ الآن . . . على الشرفة
والضوءُ المتسرّبُ . . . من بينَ غصونِ النارنج
يتساقطُ كاللؤلؤِ
فوق ضفائرها
فتلملمهُ - يا لله - أناملُ روحي
كانتْ تقرأُ في دَيواني
عن سفحِ خليفان
ونهرِ الزابِ . .
. . . وعينيَها الماطرتين
وتركضُ فوق مروجِ مصائف شقلاوة
تنسى وردتها . . . وحقيبتهاَ
في بيخال
وتهرعُ . . . كي تلقاني
وأنا . . .
من بابِ الخيمة
أكتبُ . . . أحلىَ أشعاري
عن عينيهِا الناعستين
أسألُ نهرَ الزاب :
يا نهرَ الزابِ . . . تمهّلْ

كي أنشقَ عطرَ ضفائِرها
يا نهرَ الزابِ . . . تعجَّلْ
وأحملْ للمحَبوبةِ - في الكوفةِ - أشواقي
. . . . وسَلامي

هيَ الأرضُ . .
إذْ تتفتحُ بالعشبِ والأقحوانْ
وتلبسُ لونَ المدى
وفي الفجرِ . . تأتي طيورُ النوارسِ
قبلَ انثيالِ الضياءْ
تموجُ بلونِ النَدى
يباركُ أنهارَها . . الشهداءْ
هو الجرحُ . .
ذا يتفتحُ بالوردِ . . والوعدِ
يصبحُ لافتةً
طلقةً ثائرةْ
وطناً . . للعصافيرِ والفقراءْ
(يقاسمُ) آلامَهُ . . الشعراءْ

*

على غصنِ ميم
تكونُ النوارسُ . .
مبتلةً
بالندى والرحيلْ
وتغفو النجومُ . .
وتصحو
على شرفتي

- كلَّ ليلٍ -
ويصبغُ جرحي . . .
..ضفافَ الأصيلْ
على كلِّ جنحٍ . .
يرفرفُ قلبي
أنا عاشقُ المستحيلْ
فيا أنت . .
إنَّ المراكَبَ . . تنأى
وينأى - بعينيكِ - حزني الطويلْ
*
لعينيك يا ميمُ . .
تصدحُ كلُّ العصافيرِ . . في الغابةِ المورقةْ
إنَّ قلبي . . على غصنِ ميم . . يغنَي
يكونُ دمي . . نسغَهُ . .
زهرةً عابقةً
نبضةً ، نبضةً . .
ويطلعُ . . من جذوةِ الأرضِ
غصناً . . من الحلمِ
غصناً . . من الضوءِ
غصناً . . من اللهفةَ الصادقةْ
والندى . . .
يا ندى . . يا ندى
تساقط على شعرها
قطرةً . .
قطرةً رائقةْ

ولوّنْ جدارَ الحديقةِ
«بلّلْ» دفاترَها
«بلّلْ» ضفائرَها
أنا حارسُ الغابةِ العاشقةْ

سيدةُ البحر

إلى بيروت . . وخليل حاوي

وأنت
اشتهاَء المحارب
يا قبّرات الفصولِ
. . هلمي
فأنَّ الأزاهيرَ . . تنفضُ أحزانها
والطريق . . إلى القلبِ
يبدأ من نظرةٍ عابرةْ
لماذا التوجّسُ
خوفَ المراراتِ
إن الحدائقَ غادرها العاشقون
ومازالَ بعضُ نداكِ اللذيذِ
يبلّلُ شعري
وعيناك . . تتركني حائراً
في الطَريق
أُسائلُ عن دكّةٍ . .
للقصيدةْ!

*

أكنت اشتهائي
وكانَ الطريقُ . . إلى قاسيون
يحاصرهُ الدركي
كلُّ المخافرِ . . تعرفُ وجهي
فكيفَ التَقائي . . بسيدةِ البحرِ

في شفتيها . .
امتزاجُ القصائد . . بالدمِ
والعشقِ . . بالموَت
والنهرِ . . بالشهداءْ
وكيفَ التقائي . .
بنرجسة . .
في الجنوبِ
وما بيننا . .
البحرُ . . والقتلةْ

(1)

«قاسم مشعان»

في بابِ الخيمةِ
كنتُ . . . .
أغني مولاً ريفياً
يحملُ رائحةَ الصفصاف . . وشط الكوفة
يدنو مني «قاسم مشعلَ»
يقسمُ تفاحته نصفين
ويدخلُ للخيمة . . ملتاعاً
يحلمُ . .
بالمحبوبة . .
والأمطارْ

(2)

«كوخ»

أنسج . .
من أهدابي
كوخاً . . للشعر
وأجلسُ . . فوقَ الدكّةِ
منتظراً
أن تأتي . . سيدتي

- ذاتَ مساء -
وتشاركني . . القهوةَ
. . والكلماتْ

(3)

«نخلة»

تبقى النخلةُ . .
عطشى
وتموت . .
ولا تحني قامتها . . للريحْ

(4)

«امرأة»

كان طويلاً
نهرُ ضفائرها
وأنا . . . . . .
أسبحُ
ضد التيارِ . .
إلى
الشفتينْ

(5)

«حالة»

في موجِ الناسِ المتلاطمِ
أنسى نفسي . . أحياناً

وأدندنُ أبيات قصيدةْ . .!
لمْ تُكملْ بعدْ . .!!

(6)

«إلى الفنان جسام محمد»

كان صديقي . .
كانْ
ممتلئاً . . بالألوانْ
حين أحبَّ امرأةً
صارتْ نهراً
وصديقي . . أصبحَ بستانْ

(7)

«تحت نصب الحرية»

من تحتَ النصبْ . .
مرَّ (الشاعر
مرِّ الثائر)
مرِّ العاملُ
مرِّ الجندي
مرَّ الطفلُ
ومرَّ . . «جوادُ سليم»
مبتسماً ، مزهواً
حيّانا . .
ومضى!!
(يسألُ ع آخرةِ الدربْ)

(8)

«جواد سليم»

في ساحاتٍ أخرى . .
من بغداد
وأربيل . .
وميسانْ
شاهدناه . .
ببدلته ﴿المطلية بالأحلامِ وبالألوانْ﴾
مشغولاَ . .
في نحت تماثيل أخرى . .
للأمِ
وللجنديِّ
وللحرية
والزمنَ العربي (القادم
من وجع الإنسانْ)

(1)

أنتِ أحلى . . وكلُّ نبضي اشتياقُ
أنتِ أحلى . . وفي دمائي العراقُ
أنتِ . . هذا الصَباحُ . . يأتي بهياً
في بلادي . . فللعذابِ انعتاقُ
شَعركِ الحلو . . غابةٌ من أمانٍ
كمْ تغنّى بفيئها . . العشاقُ
روعةُ النخلِ . . أم قوامُك هذا
والمساءُ الشفيفَ . . أم أحداقُ
أنا هذا الفراتُ . . نبضٌ . . وشعرٌ
ونخيلٌ . . وزورقٌ . . . و«أتلاقُ»
لكِ قلبي . . لكلِّ نخلِ بلادي
لكِ عمري . . وكلُّ عمري عناقُ

(2)

ماذا يحدثُ
في شكلِ العالمِ!؟
ماذا يحدثُ لو . . . .!
بدلاً من أنْ تزرعَ في صدري طلقةْ
تزرع . .
في قلبي . .
وردةْ . . .!؟

(3)

أحبُّ الشوارعَ . . . يا ميمُ
كلَّ الشوارِعِ . . تلك التي مشّطتها مع الليلِ . . أقدامنُا الضائعةْ
بلا غاية . .
غير أنْ نتَّقاسمَ بوحَ المصابيحِ . .
والشعر . .
والذكريات الجميلةْ
وتلكَ التيَ بعدُ لمْ نتسكعْ بها . .!
أحبُّ المقاهيِ . . جميعَ المقاهي
وحيثُ جلسنا نثرثرُ في كلِّ شيءٍ
نحدّقُ في الواجهات المضيئة . .
في الطرقَات البليَلة . .
فَي العابَرين
ونشربُ . . قهوتِنا . . في انتشاءْ
أحبُّ الحدائقَ . . كلَّ الحدائقِ
حيثُ ركضنا . . . وراء الفراشات
حيثُ استرحنا ، على العشب ، من تعب ربماَ
أو لَأقرأ شعريً . .
إليك
أحبُّ الشجيراتِ . . كلَّ الغصون التي ظللتَنا
بَأفيائها
وحيثُ كتبنا على ضفة النهر . . موعدنا
وحيثُ اختبأنا . . من المطرِ المَتساقَط - ذاتَ مساءٍ
وكان الرذاذُ اللذيذُ . . يبلّلُ شَعرَكَ
ينسابُ كالخَدَرِ الحلوِ . . فوق جبينك

فنغرقُ في بللِ القبلات
وحيدين فَي الظلمةَ الرائعةْ
أحبُّ . .
أحبُّ . .
لأني أحبكِ

كان يحبُّ نوارسَ دجلة
والسمكَ «المسكوفَ» .. على الشطِّ
وأورادَ الجوري .. تتفتحُ - في الليلِ -
كأوراق القلب
على شَرفة محَبوبته الفارعة الطول
كان يحبُّ أغاني «حَسين نَعمة»
والمشي على أرصفة السعدون .. وحيداً
تبهرهُ أضواءُ الصالونَات .. وسَربُ السياراتِ المجنونةِ ..
..والسيقانُ .. ورائحَةُ «الهمبركر»
كان يحبُّ نثيثَ الأمطارِ
يبلّلُ أثوابَ الفتيات
فيركضن .. كغزلانٍ شاردةٍ
نحو مظلته
ويكركرنَ .. اذا راحَ يغني :
«يا بو زبون الحمر . . . ومطرز بأبرة
كل الشرايع زِلك . . . من يمنه العبرة»
آه . . . يا مطرَ الله
تساقطْ
حتى يمتليء العالمُ ..
بالأزهارْ

*

وإذا جنَّ الليلُ ..

أحتضن «الكسريةَ»
ثم استقبلَ ليلَ الطرقاتِ . . نحيلاً
كمصابيحِ الحارةِ
أطلقَ صفارته . .
يجرحُ صمتَ مدينته الغافية العينين . . ﴿على﴾ وجلٍ
- نامي - بأمان - يا أجفانَ الأطفال
فعمكمُ علوانُ الحارس . . يشعلُ عينيهِ بقلبِ الظلمةِ
ويمرُّ على حارتنا . .
بيتاً . . بيتاً
- . . ها . . مصباحُ الصائغ . . . . . . لمْ يُطفأُ
ما زالَ كعادته . . حتى منتصف الليلِ . .
يقلّبُ أوراقَ قَصائده
- لمَ تعوي خلف خَطاي كلابُ الدربِ
وتنسى أحلامي النجمةْ
اللعنةْ!
مَنْ لا يعرفُ علوان الحارس في منتصفِ الليلْ

*

أبصرهُ . . يدلفُ للمقهى
مشتعلاً بعذاباتِ طفولته
مدرسةٌ طردتهُ . . .
وكوخٌ . . من قصب البردي والطين
وفانوسٌ يسعلُ في البردِ
وأشياء أخرى . .
يتّخذُ الآنَ . . بركنٍ منعزلٍ
مقعدَهُ

مرتشفاً كوبَ الشاي - على مهلٍ -
يتأملُ من خلف زجاجِ المقهى
موجَ الناسِ المتدافعَ نحو الفجرِ
ينهضُ مبتسماً
يغرقُ وسطَ زحامِ الشارع
مفتوناً . . بصباحات الوطنِ المشمسِ
. . . . . . والأزهارْ

في انتظار القصيدة

في انتظارِ القصيدة
أوقدتُ صبري . . على بابها
شمعةً . . للترقّبِ
ثم انحنيتُ . .
على أضلعي
خشيةً
أنْ تفرَّ طيورُ الحنينِ الحبيسةُ . . نحوكِ
أنْ يفلتَ القلبُ . .
هذا المبلّلُ بالوجدِ
. . منِ قفصي
ويضيعَ بغاباتِ حبكِ
مستوحداً
متعبَ الجفنِ
منطفئاً بالغصونْ

*

هو القلقُ الحلوِ . . .
يفترشُ الدرب
ياليتها . . لا تجيءُ
فأنَّ الزوابعَ . . لا ترحمُ الغابةَ اليابسةْ
وأمضي . .
بكلِّ الشوارعِ . . أمضي
بكلِّ الأزقّةِ . . حيثُ افترقنا

وحيث تلفّتُ - مثلَ المضيّعِ -
أبحثُ عنْ خطوكِ المتواربِ
بين الزحامْ

*

لماذا تركتك تمضين . .
أيتها . . .؟َ
وكيف تركتُ شرائطَك البيضَ . .
تنسلُّ - مثلَ الأماني اَلجميلة - من بين كفي
- لو أني شغلتك - خمسَ دقَائق أخرى -
ببعض الحديث . . . .!
- لو أنكِ . . كنَتِ تركتِ على الرفِّ . . عنوانَ بيتك
حتى . . . . . .َ!
- لو إنّا اتفقنا . . على موعدٍ
- لو . . .
ولكنني . . .!
كنتُ مضطرباً . . ساهماً
فلما استفقتُ . . بمنعطفِ الدربِ
كنتُ وحيداً . . .
تلفّتُ . . .
كان رداءُ المساءِ ، يلفُّ المدينةْ

*

قدْ تجيءُ القصيدةُ . .
. . أوِ لا تجيء
قدْ تمرُّ الأميرةُ . . تحت نوافذِ قلبي
وقد لا تمرُّ

ولكنني رغم بردِ الطريقِ . . وصمتِ الظلالْ
وما قيلَ عني . . . وما قَدْ يُقالْ
سأشتلُ قلبي . .
على الغيمِ –
صفصافةً ظامئة
وأبقى على الدربِ . .
مرتقباً خطوَكَ الحلوَ . . .
. . . حتى أمَوتْ!

من أين تأتي القصيدة؟

وأحتارُ . .
كيفَ تجيءُ القصيدةْ؟
وتضربُ - كالموجِ - شطآنَ قلبي
. . . بلا موعد
تتكسّرُ . . فوقَ رمالِ الورقْ
ثم ترحلُ . . نحو الضِفافِ البعيدةْ
وتتركني . . . والقلقْ

*

. . . . ومن أين تأتي القصيدةُ؟
ما اسمها . .؟
وأسألُ كلَّ الدربِ :
أمرّتْ عليكنَّ . .
سيدتي العابثة؟
وأسألُ كلَّ الصحابْ :
من رأى حلوتي في القميصِ الموشّى بحلمِ النجيماتِ؟
. . . . راكضةً
في بساتين قلبي

وكنتُ أطاردُ - منذ الطفولةِ -
خلف أريجِ ضفائرها . .
متعباً
فتراوغني . . .
ثم تفلتُ مني ، . . . مشاكسةً

فاللعينةُ . . تعرف أني أموتُ . . . إذا خاصمتني
لذا سوفَ تتركني . . هائماً
– طولَ عمري –
كسيرَ الخطى . . خلفها
وتذوبُ بموجِ الزحامْ

*

أنا أعرفها . .
بشرائطها البيضِ . . والنظرة الناعسةْ
تتسكّعُ فوق الرصيفِ المقابلِ حزني
وتغمز لي . .
– من وراءِ الزجاجِ الشفيفِ –
فأتركُ كأسَي
وثرثرةَ الصحبِ حولي
. . وأغنيةَ البارَ
أتبعها ثملاً . .
في الحدائقِ
في المكتباتِ المليئة
في الطرقاتَ التي أَقفرتْ بعد منتصفِ الليلِ
في المصطباتِ الوحيدةِ . . مثلي
فلا شيء . .
غير حفيفَ الغصون . .
وخطوَي
وحين أعودُ . .
إلى شقّتي . .
متعباً . . خائراً

سوف تنقرُ نافذتي
- هكذا بهدوء -
وتجلسُ . . . فوقَ سريري . . .
وتتركني . . . والأرقْ

من هنا
يبدأ القمرُ الغجريُّ . . حكاياته
- في المساءاتِ -
يهبطُ سلّمَ بيتيَ
حجراً . .
حجراً
يُقرعُ البابُ . . في وجلٍ
- ذي غرفتي :
كتبٌ . .
مقعدان قديمان
نافذةٌ ، للعصافيرِ ، والرازقي
وعلى الطاولة :
ديوانُ بودلير
فنجانُ قهوتها ، ساخنٌ بعدُ
وردتها . .
وحقيبتها المدرسية
يُقرعُ البابُ . . . ثانيةً - في هدوءٍ -
- ادخلْ!!

*

البراعمُ . .
تبدأُ موسمها
بالتفتحِ قبل الأوانْ

والشجيراتُ . .

حالمةً في الطريقِ الطويلْ

من هنا . . عبرتْ

كانَ في خطوها . . وجلٌ

شَعرها الفوضويُّ . . على موعد

استدار الرصيفُ . . للفتتها العابِرةْ

لمْ تقلْ أيَّ شيء

- أيها الموجُ . . . . . .

خذني

إلى موعدِ الجمرِ . . والأقحوانْ

انتظار

ألمْ تبصري . . .
في الحديقة . . قلبي!؟
يبلّ وريقاته . . الطلّ
مشتعلَ النبضِ . . يا حلوتي
قربَ مصطبة فارغة
تركَ العاشقانِ عليها . . .
بقايا ندى
. . بقايا أحاديثَ . .
أو ربما موعدا
سيطويه . . صمتُ الحديقةْ
ومرّاً . .!
على غصنيَ المشرئبِّ . . بدونِ اكتراثْ
انتظرتك أنت
حجزتُ المقاعدَ . .
كلَّ المقاعد . . منذُ الصباحْ
فرشتُ الممراتِ . . يا حلوتي
بالسنا والأقاحْ
لوقعِ خطاكِ الرشيقةْ
تمرُّ الثواني
تمرُّ الدقائقُ . . حتى
لأحسبَ عمري . . . دقيقةْ
وما زلتُ منتظراً . .

يا صديقةْ

أناملَك المشتهاةَ الأنيقةْ

تلفُّ - َ بكلِّ البراءةِ - غصني النحيلْ

فأفتحُ أوراقَ قلبي

بلحظة نشوةْ . .!!

وأسألُ :

هلا شممتِ رحيقهْ!؟

لعينيك . . يا ميمُ
كانت بَساتين روحي . .
تفتّحُ أزهارها
للقاء فراشات كفيك
وإذْ تَجلسين علَى مقعدٍ ساهمٍ
تعبى من الوجد
تعبى من العشبَ
تعبىِ من الركضِ فوق جفونِ القمرْ
وكانَ الندى
يبلّلُ شَعرَك . .
يالارتعاشة َقلبي
اذا مسّهُ طَرَفُ من جديلتكِ العابقةْ
ومدّتْ زهوري . .
سويقاتها العاشقةْ
للندى
ليديك
إنها النَشوةُ الرائقةْ

*

فاقطفي أيّما زهرة . . تشتهينْ
هي قلبي أنا . . لو ترينْ
تضجّ بشوقي إليك
فاملئي . . من زهوري سلالكِ . .

وأمضي
وباهي الحسانَ . . بما في يديكِ
فيكفي غرور الزهورِ
انثيال الرحيق . . . على وجنتيكِ
ويكفي غرور الحديقة
إنَّ خطاك الأنيقةَ . . مرّتْ هنا
وبوحك . . في كلِّ أيكِ
ويكفي غروري . .
بأنك لي
وكلّ قصائدِ شعري . .
إليكِ

١٩٨٢/٣/٢٠

القادم

إلى ولدي . . مهند!

سوف تجيءُ . . كما الحب
من رحِمِ الظلمة
تصرخُ في وجه العالمِ
مذهولاً . . مأخوذاً . . بالأشياءِ الأولى
وجه القابلة المأذونة
أحلامِ أبيكَ
الكتبِ المرصوفة . . كاللعنة!
وأغانيَ أمِّكَ - في الليلِ - على إيقاعِ المهدْ
نافذة الغرفة . . حيثُ القدّاحُ يعرّشُ فوق القضبانْ
وحيثُ عصافيرُ القرية . . تأتي أسراباً
تنقرُ شباكَكَ قبل مجيءِ الشمسِ
وتدعوكَ . . . إلى اللعبِ
وأنا . . . . . .
في مكتبتي
أرقبُ خطوتك الأولى . . . مسروراً
تسقطُ . .
تزحفُ فوق الأرضِ
وتبكي . .
وتمزّقُ أوراقي . .
وتبعثرُ حولكَ كلَّ الأشياءْ

*

وستكبرُ . .

تكبرُ أحزانُكَ
تكبرُ أفراحُكَ
يكبرُ . . هذا العالمُ في عينيكَ
فتسألني . . عن أشياء
لمْ تخطرْ في بالي . . مِن قبل
عن صور . . لمْ أبصرْها
عن مدنٍ . . ما وطئتها أقدامُ أبيك
وتروحُ تحدِّثني . .
عما قالتهُ معلمةُ الروضة
حيث رفعتَ العلمَ «السّامقَ»
- في الساحة -
قدّام الطلابِ
وحين قرأتَ أناشيدَكَ
مزهواً . . فرحاً . . - في الصفِّ
وحين رسمتَ على السبورة
بالطبشور الأبيض . . والقلبَ
خارطةَ الوطن . . الغافي بين العينين
النابضِ بين الأضلاعِ
. . الصاعدِ نحو الشمس

*

سوف تجيء
ويشيخُ أبوك الشاعرُ عدنان الصائغ
لكنني . . . . . .!
حين أرى أشعاري .
تتوهجُ - كالقنديلِ - بعينيك الواعدتين

. . . وتكبرُ كالأشجارِ
أولدُ ثانية . . . . . .

١٩٨٣/٣/٩

حالة خاصة

يا وطناً . . أحملهُ بين ضلوعي
وأسافرُ كالريحِ وراءَ الكلمات
بحثاً . .
عن بيتٍ من شِعرٍ . .
أسكنهُ
بحثاً . .
عن مفردة . . لمْ تُهتكْ
بدواوين الشعراء
بحثاً
عن بحرٍ منسيٍّ
لمْ تَجْدفْ فيه مراكبُ صيادي الكلمات
بحثاً . .
عن غاباتِ عيونِ امرأة
لمْ يسرقْ مَن أشجارِ مفاتنها . .
عصفور
أو شاعرْ
بحثاً . .
عن شبرٍ من وطني
لمْ تنبتْ فيه زهرةُ قداحٍ . .
أو ثائرْ
بحثاً . .
عن ساقيةٍ

ما مرَّ بها عابرْ
بحثاً . .
عن جذعِ شجيرةِ تفاحٍ
لمْ ينقشْ فيها العِشاقُ مواعيدَهم الأولى
بحثاً . .
عن مقهى
لمْ يجلسْ فيها البياتي . . وحسين مردان
بحثاً . .
عن أرصفة . .
لمْ تعرضْ زينتَها للمارين
بحثاً . .
عن جسر
ما مرتْ منه نسائمُ أنفاسِ السياب
بحثاً عن . . . .

. . . .

يا وطني
أتعبني التجوالُ
فنمتُ على صدركَ . . أياماً
. . من دون قصيدة!

صباح الخير.. أيها الشاعر(*)

لمْ أسمعْ به من قبل شاعراً ، ولمْ أقرأ له قبلُ أن أقرأ :
«تستفيقُ البنادقُ قبل العصافير/ نركضُ فوق الندى والبطاح/ نفلُّ ضفائرَ حلوتنا ، الشمسِ/ ننثرها خَصلةً . . خصلةً . . للرياح .» . .
وأعدتُ قراءةَ قصيدة عَدنان الصائغ . . . ثم قلتُ : هذا شعر! . .
وحاولتُ أن أتبينَ تعليلا لرأيي .
ربما لأنني أؤمن بالقصيدة اليومية ، القصيدة (الجيدة) التي يطيب لبعض الشعراء الشباب الحديث عنها ، والدعوة لها ، في حين يذهبون مذهباً شططا في تنفيذها . . منهم من توهمها في خطاب شعاري «بارد» . . أو سرد مباشر للحدث اليومي . . ومنهم من غلّفها بتنظير (فكري) وتضخيم (فلسفي) ، فسقطت قصائدهم بين (يومية) الحدث الموحي ، و(ذهنية) الشعر التأملي .
أما عدنان الصائغ فقد كان شاعر قصيدة يومية موفقاً . .« . .»
ولك أن ترى - بعد أن قرأتَ هذه المقاطع - أن ترى فيها وصفاً «مباشراً» لما يحدثُ في المعسكر يومياً ، وأنَّ توفيق الشاعر كان في جمالية البناء الأسلوبي ، ولي أن أرى رأيك وأضيف : إنَّ الشاعر أيضا كان قاصاً في وصف الحياة اليومية . . قاصا يرسمُ - قدر ما «تتحمل» القصيدةُ الغنائيةُ - ملامحَ أو مؤشرات إلى ملامح أبطال قصة . .
وأعود إلى مطلع القصيدة لأغريك بأن تكون تراثياً مثلي . . لننظر إلى القصيدة من زاوية نقد بلاغية فقد نجد إستعارة - أو إستعارة مزدوجة في مطلعها :
«تستفيق البنادق قبل العصافير» . .
لك أن تصرف الاستعارة إلى «تستفيق» فالبنادق لا تستفيق! إنما

هي تلعلع . . أو تصرفها إلى «البنادق» فالرجال هم الذين يستفيقون قبل العصافير لا البنادق . . ولك - مرة أخرى - أن ترى الشاعر يكني باقتسام الخبز عن اقتسام المصير الواحد . . اقتسام الحاضر ، وباقتسام الضحكة الدافئة عن اقتسام فرح الغد «اقتسام الحلم» .

«ونقتسم الخبزَ والضحكةَ الدافئة» . .

وقد رأى الصديق مدني صالح - بعد أن قرأتُ له القصيدة معجباً - انَّ في قصيدة الصائغ صوراً شعرية لا تصدر عن شاعر من العالم الثالث ، يشير بذلك إلى صورة الشمس في قول الشاعر : «نفلٌ ضفائر حلوتنا ، الشمس/ ننثرها خصلةً ، خصلةً للرياح» وقوله : «نراها تمشط في صفحة الماء / خصلتها الذهبية / هنا نجمةٌ سقطتْ من غدائرها / هنا زهرةٌ نبتتْ بين وقع الخطى والصباح» .

وإنْ صحَّ أن الشاعر في هذه الصور الموفقة قد كان متأثراً بما قرأ من شعر أجنبي - وهو ظنٌّ غير مؤكد - فأنه قد كان موفقاً في هذا التأثير توفيقاً نراه في أن هذه الصور (المقتبسة) قد صارت من القصيدة ولها ، لا نشاز ولا اقحام أو افتعال ، وهذا هو السبيل إلى الإستفادة من التراث عربياً كان أم أجنبياً .

ولابد - لكي يحاكم القاريء ما في المقالة من آراء - من ذكر النص الكامل للقصيدة «جريدة الجمهورية - ٥٢ كانون الاول ١٩٨٢» . . » .

يوسف نمر ذياب

(*) من مقالة الناقد يوسف نمر ذياب في جريدة الثورة (الصفحة الثقافة) ٣٨٩١ ونشرت كمقدمة للديوان في طبعته الأولى - دار الحرية للطباعة . بغداد ١٩٨٤ .

شهادة في الشعر والحرب والمنفى
تلك السنوات المرة

لقد طوّفتُ في الآفاق حتى
رضيتُ من الغنيمة بالإياب

- أمرؤ القيس -

ونحن من منفى إلى منفى
ومن باب لباب
نذوي كما تذوي الزنابق في التراب
غرباء يا وطني نموت
وقطارنا دوما يفوت

- عبد الوهاب البياتي -

لقد كتبت عن أشكال الصمت والليالي ودونت ما لا يعبر عنه

- الشاعر الفرنسي رامبو -

لهذا السبب ألقيتُ قصائدي كما لو أنني أنبح

- الشاعر الأمريكي ألن غيسنبرغ -

(1)

في هذا المساء الملتبس ، مساء المنفى والوطن معاً ، أقف أمامكم بكامل فرحي وخساراتي . أحاول أن أستذكر معكم فصول سيرتي ، سيرة الشاعر (أعذروني ، أيها السادة أنني سمكة وحشية داخل زجاجة حبر- ألبرتو مورافيا) . .

تفرسوا جيداً في ملامحي :

قبل ٢٧ عاماً ، وكان عمري ٢١ عاماً ، واقفٌ في ساحة «العرضات» أتفرّس في وجه العقيد ، آمر تجنيد الكوفة ، الذي منحني الرقم ٤٩٥٥٤٥ ج م (جندي مكلف) ، ببدلة خاكية ، وبسطال ثقيل كالح ، لأجد نفسي بعد سنوات ، مرمياً على جبل ديركله ، وبعد سنوات أكثر حلكة على سواتر الفاو ، وبعد سنوات مرّة منكمشاً في موضع ترقّصه القذائف على ايقاعاتها المجنونة ذات اليمين وذات الخبب ، وبعد سنوات مترملة ملتصقاً إلى شاشة التلفريون ، في الجنوب السويدي ، أتتبع مسار القاذفات ، وفي ذاكرتي تتراكض كل تلك السنوات النائحة :

(ويحك يا ننار ، لقد هوت مقدسات أور ، وذبح البرابرة شعبك . لقد تشرد القوم ، وأصبحت أور خراباً - من «مرثية أور» ٢٠٠٠ ق .م-)

أجمع تلك السنوات الثلاث عشرة التي قضيتها تحت صفيح الشكنات والخنادق ، وتلك السنوات العشر من شتات المنافي والتشرد وأطرحها مما تبقى لي من أيام ، فلا أرى أمامي في المرآة سوى : «شيخ يتأبّطُ عكّازَ قصائده . . متجهاً نحو البحر/ يتمرآى في صفحته الزرقاءْ/ فيرى في أعمَاقِ الموجِ/ ولداً في العشَرين/ يتطلّعُ مبهوراً/ فيَ

وجه المرآة . . ./ لا يدري الآنْ/ أيّهما كانْ . .!؟»[1]

كَأن قدري أن أعيش ثلاثة حروب ، دفعة واحدة ، لتلاحقني الرابعة إلى منفاي البعيد . .

أرفع رأسي إلى السقف متسائلا لأرى قطرتين تنهمران على خدي المتجعد كأنهما دمعتين من السماء . . (إن هذه الأرض ، وتلك السماء ، مزقتا قلبي بضيقهما . فلا تفضح أمرنا أيها السراج - جلال الدين الرومي)

أحاول الآن أن أوقف الذاكرة على مشهد أو قصيدة ، فتتداخل الصور والأحداث ، الدم والمطر ، النساء والشظايا ، النصوص والأصدقاء ، الشعر والإسطبل ، الصحافة والمنفى .

فلا أدري من أين أبدأ؟

كأن قدري أن أعيش حياتي المتعثرة سلسلة مفارقات . وما الشعر إلاّ مفارقتها الأبهى والأصعب . . ذلك أنه هو الحياة في أقصى دهشتها وفنيتها ومفارقاتها ، وهو لا يتمكن من ذلك إلا إذا استحال إلى نبض حيٍ للإنسان ، يعبر عن توقه وهواجسه وعذاباته وأحلامه السرية ، متصاعداً بها إلى مصاف الحس الإنساني - الإبداعي . . فالشاعر - كما أراه - جوّابَ الآفاقَ ومدونَ الألم ومستشرفَ الأمل وملتقطَ المفارقات ، في مروره العابر والمجلجل على رصيف الحياة . .

ففي تلك المعاناة والتجارب الحية ، وفي مفارقات (الواقع) يكمن جوهر (الشعر) وسحره الحقيقي وتحديه ولذته وعذابه ، وكل هذا يحتاج إلى مهارة غير عادية لصهره وتمثله في اللغة ، حيث يصبح

---

(١) من قصيدة «مرايا متعاكسة» - ديوان«تكوينات» المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٩٦ .

للتماهي بين الواقعي والغرائبي هذا السحر الأخّاذ الذي يشدّك إلى الاستكشاف والمعرفة والتغيير ، وهنا تتجلى قوة الشعر وبهاؤه . . ولا يتأتى هذا من القراءة فقط ، رغم أهميتها الكبيرة ، بل بالانغمار والانغماس في الحياة وتجربتها الباهرة . . كأن من يتعذب كثيراً يتعلم كثيراً كما يذهب ايزوب ، أو كأن ما يعذب حياتك يُعذب كذلك أسلوبك في الكتابة كما يرى فلوبير أيضاً . .

(2)

أتوقف قليلاً عند بعض محطات سيرتي ، فأراني :

طالباً تحمله جموع الطلبة إلى باب متوسطة الكوفة ، احتفالاً بفوزه بالجائزة الأولى في مسابقة الشعر لثانويات كربلاء والنجف والكوفة . . لكنهم بعد أن يخرجوا من الباب سيتركونه لوحده وينسلون إلى بيوتهم . .

طالباً مفصولاً من المعهد بسبب قصيدة تحتج على إدارة النادي رأوا فيها شبه تحريض على الدولة . .

جندياً يتنقل بين المعسكرات والسواتر البعيدة . ويعيش لعامين في اسطبل مهجور للحيوانات . .

جندياً يعمل محرراً صحفياً في جريدة القادسية ومجلة حراس الوطن والطليعة الأدبية . .

شاعراً تلاحقه جريدتا «بابل» و«الزوراء» وتضعه على قائمة المرتدين . .

شاعراً تلاحقه بعض النصال والاشاعات والشتائم . .

شاعراً يتسكع في أصقاع السويد ، متأبطاً منفاه ونشيده الملتاع وسخريته المرّة . .

. . . .

سأترك كل هذا الآن ، وأحدثكم عن أغرب ما مرّ بي ، سأحدثكم عن تلك المفارقة التي قلبت حياتي رأساً على عقب ، سأحدثكم عن ذلك البغل المرقم . . . . . (اللعنة!! ما أجحدني! وقد نسيت رقمه في زحمة تنقلاتي!) . . . . أنه صديقي العظيم والطيب والباسل حقاً . .

لا تستغربوا أو تضحكوا ، أرجوكم . . فلولاه لم أكن موجوداً بينكم الآن . .

ذات يوم من نهارات الحرب الهادئة نسبياً ، ألقى فوجنا الثالث أحماله ، قريبا من سفوح جبل «ديركله» ، شمال العراق . . أغراني السفح المتماوج بينابيعه ونرجسه أن أحمل أوراقي تحت وطءِ قصيدة بدأت تدغدغ روحي المتربة بعد شهور من اليباس والشظايا . وجدتُ أقدامي تتحرك باتجاه السفح وتتوغلان بي بعيداً . وعلى مبعدة أمتار من أحراش عالية تحيط بنبع مترقرق سمعتُ أصوات الجنود والعريف تحذرني وتدعوني أن أعود فالأرض ما زالت بكراً بألغامها التي لم يجرِ مسحها أو انتزاعها بعد . . واصلت السير ، غير ملتفتٍ لشيء سوى تموجات الماء بين الحصى والعشب . .

بعد دقائق سمعتُ ورائي أصوات ركض قوية ، التفتُ لأجد ذلك البغل المسكين ، فاراً مثلي من اسطبله باتجاه النّبع . . تجاوزني ثم تخطاني بأقدامه المتراكضة . . وما هي إلا لحظات حتى سمعتُ دوياً مرعباً ، وأراه فجأة وقد تحول أمامي إلى نافورة من دم ولحم وغبار ، تصاعدت إلى علو . . ووجدتني أسقط من هول الرعب والانفجار متدحرجاً مع الصخور ، وبعضاً من النثار يغطي أحجار السفح وملابسي ، وعلى مبعدة من المكان انفتحت أشداق الجنود وعيونهم برعب في انتظار انجلاء سحب الغبار ليعلموا من بنا الذي أنفجر به اللغم . .

أنا؟ أم البغل؟

(إن تكون شاعراً في عالم كهذا ، يعني أن تحاكي شكله المتفجر في الحروب - شيماس هيني) . .

هذه المفارقة المهولة وغيرها ، ما زالت - للآن - تخلخل حواسي وكياني كله ، وتفرش نصوصي بأمطارها الحامضة . . وتذكرني أن حياتنا هي مجرد صدفة في صدفة ، أو بعض مفارقة ، أو هي «ظل يمشي» - كما وصفها شكسبير - . .

كان عبث الموت يتداخل بعبث الحياة ، والأرض بحيادها الشاسع تسخر منا بمرارة ، وهي تبتلع المزيد من أشلاء قتلانا وقتلاهم في تلك الحروب المجانية ، باذخة السخف والموت ، والساخرة أيضاً من جشع جنرالاتنا وجنرالاتهم وهم يدفعوننا بقلب بارد إلى الرصاص والنار كأحطاب يابسة ، ليزداد وقودها من أجل غنيمة أو وسام مجد زائل أو نزوة أو مصلحة غلفوها بالشعارات الوطنية والقومية والدينية ، لتقف الأمهات طوابير في انتظار عودتنا : جنائز أو معوقين أو ناجين . .

لقد سُميت حرب الخليج الأولى - الحرب العراقية الايرانية - وقتها - بالحرب المنسية ، وقد سكت أو انشغل عنها الجميع وبقينا وحدنا هناك - نحن الجنود ، أحطابها المهيئة للوقود - نلوب على السواتر البعيدة طيلة تلك السنوات الثماني (١٩٨٠- ١٩٨٨) . أمامنا الموت والرصاص ، وتحتنا رفات من سبقونا ، وخلفنا لجان الإعدام ، وفوقنا سماء من دخان وشظايا لا ندري عما ستنجلي . . لم نر صحفياً أو محطة تنقل خرابنا الحقيقي . أطراف سياسية كثيرة ، دولية وعربية ، وقادة ومفكرون ومثقفون وشعراء وفنانون كانوا يأتون للبلد ولم يكن يهتم بنا أحد ، وقد غضوا طرفهم عما يجري هناك ، بدوافع شتى : قومية واقتصادية ومذهبية وشعاراتية . . والخ ، وكنا نموت ونتعفن وندفن بصمت . .

كانت مواسير البنادق في بلدي أكثر من مواسير المياه الصالحة

للشرب . .

وكان ثمة لونان سائدان في الشوارع هما : الأسود والخاكي . .

وكانت أيام الحرب[1] هي الأيام العادية وأيام السلم هي الاستثناء . .

وكانت صور ولافتات الشهداء تنصب في زقاق أو محلة ثم لتطوى وتنصب غيرها ، في مكان آخر ، على مدار الأعوام الثمانية . . وقبل أن يتيبس التراب على رفات من سقطوا في الجبهات أو ينمو العشب على ذكراهم ، وقبل أن يكتمل قدوم أسرانا من ايران ، قام دكتاتورنا المتهور بغزو الكويت ، لتندلع حرب الخليج الثانية ، ثم ليلفنا حصار طويل ومرير على مدى ثلاثة عشر عاماً (المدينة المحاصرة تشبه الإنسان في أيامه الأخيرة - أراغون) . . . . ثم لتندلع الحرب الثالثة ، ويسقط الصنم من تمثاله في ساحة الفردوس ليرى العالم حشداً من المقابر الجماعية ، تفتح أشداقها على امتداد الوطن ، صوراً لجماجم وأكوام عظام وثياب ممزقة في أكياس يحملها آباء واجمون وأمهات شاحبات مخمشات الخدود . .

وإذا كان الشاعر رامبو يرى أنه «يجب خلخلة الحواس . بعد هذا تستطيع أن ترى ما لا يرى» ، فقد صبغت تلك الخلخلة الجنائزية مفردات حياتنا ونصوصنا ، وأرتنا عوالم لم يكن لنا تخيلها أبداً حتى في أسفل طبقات جحيم دانتي أو رسالة الغفران للمعري أو روايات الحرب التي قرأناها هناك من «إلياذة» هوميروس ، حتى «الحرب والسلم» لتولستوي ، ، مروراً بـ«الساة الخامسة والعشرون» لكونستانتان

---

(١) (هناك دراسة أعدها أحد المعاهد السويدية تقول أن الإنسان الذي يعيش سنة حرب ، يحتاج إلى عشر سنوات من النقاهة)!! . . فكم سنة نحتاج للنقاهة بعد هذه الحروب التي ابتلعت ثلاثة أرباع أعمارنا؟ .

جيورجيو ، بـ«كل شيء هادئ في الميدان الغربي» لأريك ماريا ريمارك ، بـ«صمت البحر» لـ«فيركور» . . والخ . .

كان دافع القراءة والكتابة بالنسبة لي يشبه دافع الحياة أو دافع الحب أو دافع الشهيق والزفير ، أنه - بكل بساطة - طبيعي ومعقد في آن ، وكان لابد منه تحت أي ظرف كان . .

في تلك الخنادق التي عشتها ، وجدتني أكتبُ ، وأقرأ وأقرأ الكثير من الكتب ، كأن «الحياة هي دائماً في مكان آخر» كما ذهب رواية ميلان كونديرا . وقد داهم خيمتنا يوماً أحد ضباط معسكرنا ، وهالته كثرة الكتب المحشوة تحت فراشي ونوعيتها فأمر بمعاقبتي ، ووضعي في ذلك الاسطبل المهجور (حوالي عامين ١٩٨٤-١٩٨٦) في تلك القرية الصغيرة النائية «شيخ أوصال» ، قريباً من الحدود وقد هجرها بعض أهلها وحيواناتها تحت وابل القصف . .

تجربة الكتابة هناك في آتون الحرب وبين تلك الألغام والأسلاك الشائكة جعلتني استشعر بالخطر من جانب ، ومن جانب آخر بضرورة الكتابة وسطوع الحياة ببهائها الفريد أكثر من أي وقت مضى . . فاستلهم منها سحر التورية فعلاً للمقاومة والبقاء كأني بتمجيد الحياة والجمال والحب أسخر من سطوة الظلاميين وأهجو أعداء الجمال ومشعلي الحروب (القصيدة عمل ثوري - اكتوفيو باث)

ففي نصوص المرايا[1] ، مثلاً كنتُ أهرب من الحرب إلى الحب ،

---

(١) سلسة مقالات ونصوص شعرية كنت أكتبها تحت عنوان «مرايا» في عمود أسبوعي في جريدة «القادسية» (١٩٩٨/٤/٢٦ - ١٩٨٩/٧/١٨) جمعتها فيما بعد في كتاب سميته «مرايا لشعرها الطويل» قدمه الشاعر عبد الوهاب البياتي وصدر عن دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٩٢ .

منتصراً على موتي ويأسي بها . . ولم يقتصر حبي للمرأة ,جسداً وروحاً ، بل أحببتها وجوداً وتمرداً ورفيقةَ رحلة وكتابة وجنون .

كنت أُكثرُ من الكتابة كأني أكاثر بها أيامي وأسلحتي ، ولهذا أصدرت ٦ مَجاميع شعرية[1] خلل سنواتي في العراق (أنتَ تستعجل الكتابة ، كما لو أنك متأخر في الحياة - رينه شار) ، كنتُ أخشى أن تضيع أوراقي في صدفة أو ريح ، مثلما أخشى أن تضيع حياتي بلغم أو وشاية أو طلقة ، فكان لا بد من تدوينها وحفظها بالكتابة . . وهكذا أصبح فعل الكتابة بالنسبة لي فعل وجود وشهوة وشهيق . . لائذاً به من هجير الزمان والدخان (أحياناً تتجلى السعادة في لحظة سفرنا داخل النص أو عندما يسافر النص الأدبي داخل حياتنا ليستوطن فيها ويتمكن منا فيجعلنا نعيد كتابة الآخر بعد لحظات التعايش بيننا وبين ما وراء الكلمات . . - رولان بارت) . .

كأن النص سرد لحياة لامرئية ، لكنها أكثر سطوعاً من حيواتنا المنسية هناك .

ألهذا كنت أتمسك به بديلاً ، أو يوتوبيا في رحلة البحث عن ايثاكا ، عن القصيدة . .

في نصٍ لي أقول :

«نسيتُ نفسي على طاولةِ مكتبتي
ومضيتُ
وحين فتحتُ خطوتي في الطريق

---

(١) المجاميع الشعرية التي صدرت لي في العراق هي : انتظريني تحت نصب الحرية - ١٩٨٤/ أغنيات على جسر الكوفة - ١٩٨٦/ العصافير لا تحب الرصاص - ١٩٨٦/ سماء في خوذة - ١٩٨٨/ مرايا لشعرها الطويل - ١٩٩٢/ غيمة الصمغ- ١٩٩٣ .

اكتشفتُ أنني لا شيء غير ظلٍّ لنصٍ
أراهُ يمشي أمامِي بمشقة
ويصافحُ الناسَ كأنه أناً»[1] . . . .

(3)

في بداية الحرب ، أو بدايات النشر ، سأنسلِ من المعسكر في شاحنة طويلة كانت متجهة إلى بغداد ، مندساً بين أكياس الرمل وصناديق العتاد ، حاملاً مخطوطة ديواني الأول «انتظريني تحت نصب الحرية» . .

كنت شارداً أتغرغر بحلم عشريني مسكر أنني إذا ما متُّ في أي لحظة ، أو شظية ، فأن ديواني هذا سيعيش بين أيدي القراء وتحت وسائد القارئات الجميلات ، مستذكراً حسرة السياب الأزلية :

«ديـوانــي شـعــري مــلــؤه غــزل
بــين الــعــذارى بـات يــنــتــقــل»[2]

وصلت إلى شارع الجمهورية حيث دار الشؤون الثقافية العامة وفيها كانت الموظفة البدينة بعينيها العسليتين تتأمل مخطوطتي وسحنتي الشاحبة ثم تنحدر إلى بسطالي المغطى بالطين ، وهي تحاول جاهدة إخفاء ابتسامة إشفاق أو سخرية ، . . لا أدري؟

تركتُ مخطوطة ديواني على طاولتها المكتظة وعدتُ أدراجي ، لتقودني قدماي إلى شارع المتنبي وسوق السراي حيث الكتب

---

(١) من قصيدة بعنوان «نص» - من ديواني «تأبط منفى» - دار المنفى - السويد ٢٠٠١ .

(٢) ديوان السياب ج١- دار العودة .

والعابرون ورائحة الورق تثير شهيتي ، منحدراً باتجاه مقهى البرلمان حيث صخب الأدباء ونقاشاتهم المتواصلة والمتعالية رغم بيانات الحرب وزعيق الأناشيد وطقطقات الدومينو ، ووجدتني بين الخجل والتردد أدون أول نصٍ لي هناك بلغة مباشرة واضحة وربما جارحة :

«ودلفتُ إلى مقهى الأدباء . . وحيداً ، مرتبكاً ، أتحاشى نظراتَ الشعراء الملتفين على بعضهمُ ، وحوارات النقاد . . . وجدتُ لنفسي كرسياً مهترئاً . . أترددُ بعضَ الوقت ، وأجلسُ منحشراً قربَ دمي المتوجّس ، أرنو لوجوههمُ ملتذاً . . أتذكرُ أني أبصرتُ ملامحَ بعضهم تتصدرُ أعمدةَ الصحف اليومية ، والكتبَ الزاهيةَ الألوان . . . سعلتُ قليلاً من بردِ الطرقاتَ ، وأقبيةَ الأعوامِ الرطْبة ، والريحِ! . . . خشيتُ بأني سأعكّرُ صفوَ تأملهم بشحوبي وسعالي . . .

حاولتُ بأن أتلهى بتصفحِ ما بين يدي من صحف المقهى . . .

كانتْ نفسُ الأوجهِ تبرزُ من خللِ الأسطرِ ، تحدجني ببرودٍ لمْ أفهمْهُ! . . .

جاءَ النادلُ . . . لمْ «يتواضعْ» أحدٌ أنْ يطلبَ لي شاياً!

فطلبتُ من النادل . . . أن يأتيني بالبحر ، وزقزقة الغابات المنسية في كراسات طفولتنا ، ورسائلِ حبي الأولى تحت وسادة بنت الجيران ، ونوحِ نواعيرِ أغانينا فوق ضفاف الكوفة ، والقمر الحالم ، والدفلى ، وأراجيح العيد ، وركضِ الصبية تحت رذاذ المطرِ العذبِ ، وأشعارِ الحبِّ المخبوءة في قمصان التلميذات ، ورائحة البردي.....!

هزَّ النادلُ كتفيه ذهولاً ، ومضى يضحكُ من أحلامي المجنونة . .

- لا بأسَ! . . . سأطلبُ شاياً!

كان المقهى يغرقُ في ثرثرةِ الروّاد ، وغيمِ سجائرهم ، . .

وأنا وحدي أغرقُ في غيمِ دمي الماطر فوق الأوراق ، وأرصفةَ العالمِ ، . . منشغلاً بقصيدةِ حبٍّ بائسةٍ بدأتْ تنقرُ نافذةَ القلبِ –

بكلٍّ هدوء - وأحسُّ خطاها تتسلّلُ عبرَ دمي والأدغال المصفرّةِ . .
قلتُ لَعلَّ الفاتنةَ الدلِّ تشاركني طاولتي ، والغربةَ! . .
في خجلٍ . . أخرجتُ - من المعطفِ - أوراقي البيضاءَ كقلبي . . .
حدجتني الأعينُ! . . وابتدأتْ همساتُ النقادِ ، الشعراء ، تحاصرني . . .
لمْ أتمالكْ نفسي . .! لملمتُ بقايا أوراقي ، وخرجتُ إلى الشارعِ - مندفعاً - تحت نثيث الأمطارِ وريحِ الغربةِ والكلماتِ المجنونةِ . . أبحثُ عن طاولة هادئة في هَذا العالَمِ . . .
تكفيَ لقصيَدة حبٍّ بائسةٍ ،
وأغاني رجلٍ جَائعْ»[1]

. . . .

لكنني وفي أول أمسية لي أيضاً في اتحاد الأدباء (١٩٨٤/١١/٧) سأقرأ هذه القصيدة .
وكان المثير بالنسبة لي أن البعض من هؤلاء الأدباء سألني : من تقصد؟
ولم أكن أقصد أحداً حقاً!
(خذ كاميرا ، أرادت أن تقول لي / وصور حياتك / أن تفقدها ذات يوم / ستبقى لك على الأقل نسخة - الشاعر روني سوميك)

. . . .

وذات يوم وأنا متمدد على يطغي الزنخ في ذلك الاسطبل (الذي

---

(١) من قصيدة «في المقهى» مؤرخة بتاريخ ١٩٨٤/٢/٧ بغداد - ديوان «أغنيات على جسر الكوفة» - بغداد ١٩٨٦ .

صار عالمي وسجني) جاء أحد الجنود هارعاً وهو يمسك بجريدة متسخة وجدها في حاوية الأوساخ : أهذا أنت يا رجل؟

نظرت إلى الجريدة ، كانت صورتي وسط مقالة طويلة كتبها الناقد المعروف عبد الجبار داوود البصري عن مجموعتي تلك «انتظريني تحت نصب الحرية» . .

ياه . . طرت من الفرح ، ثم اصطدمت بسقف الصفيح الوطيء . كانت هي أول مقالة أقرأها في حياتي عن أول ديوان لي . . .

لكن أين أنا الآن؟ . . .

ودون أن أدري اتكأت على كوة الاسطبل وانهمرت ببكاء مرٍّ . .

السنوات تمضي ببؤسها الطويل وأفراحها البسيطة المقتطعة عنوة من لحم السنوات المر ، ويصدر ديواني الثاني «أغنيات على جسر الكوفة» مكللاً بمقدمة للشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ، ثم ديواني الثالث «العصافير لا تحب الرصاص» ، لأجد نفسي في عام ١٩٨٦ جندياً منقولاً إلى جريدة القادسية ثم إلى مجلة حراس الوطن ، لأعدَّ للقسم الثقافي أبواباً لم تكن مالوفة في مجلة عسكرية ، وأجري سلسلة من حوارات ثقافية شهرية جريئة في طرح أسئلتها ، لعدد من المبدعين أذكر منهم : عبد الرحمن طهمازي ، محمد خضير ، د .علي عباس علوان ، فؤاد التكرلي ، عيسى الياسري ، مدني صالح ، د .علي جواد الطاهر ، سامي مهدي ، عبد الرزاق عبد الواحد (قطع محتداً ، غاضباً ، ثم عاد إليه) ، حميد المطبعي ، ديزي الأمير ، عريان السيد خلف ، فاضل ثامر ، ياسين النصير ، رشدي العامل والذي فاز حواري معه بالجائزة الأولى عام ١٩٨٨ في مسابقة نقابة الصحفيين . . قبل أن يسيطر أبن الطاغية ، الأهوج ، عدي صدام حسين على شؤون الثقافة والفنون والصحافة حيث ستصفه إحدى الاستفتاءات التي أجراها زبانيته وصحيفته ، نهاية التسعينات بأنه «أهم صحفيي القرن

العشرين»!! . . .

(4)

كيف تسنى لي أن أخرج من تلك الأوحال والأسلاك والحروب، بحلم غير معطوب، وقلم غير مسلوب، إلى آخر تلاوين السجع، وما يحملهُ من إيقاع كأنه الأنين ، وقد عشت المشهد برمته، فاتحاً عيني على اتساعهما، لأرى كل شيء آخذاً باستشراف الرائي الأول كلكامش، أبي الأول «الذي رأى كل شيء . . وخبرِ البلاد»، وبهوس ابن المقفع الذي كان يرى أن رؤية الأسد «تُجرّؤكَ» عليه، قبل أن ينتبه الرقيب العربي الأول إلى سحر التورية وفعلها الجريء في خطاب «كليلة ودمنة»، فيلقي به في تنور مسجور . .

آخذاً باندفاعة المتنبي وشطحات النفري وعربدة أبي نؤاس وخشبة دعبل . .

باشراقات رامبو، بزيتون لوركا، بعبث سافو، بسونيتات شكسبير، بعشب والت وايتمن، بتموجات سان جون بيرس، بتلويحات كافافي . .

منساقاً، عنوة، للسير في حقول الألغام، تلك التي تعلمتُ منها الكثير في الحياة والكتابة على وجه الخصوص رغم ما خسرته من مكابدات وليال ممضة تقلبتها على جمرات الأرق والقلق . .

واليوم أجدنّي استرجع تلك المسالك المهولة التي أخذت الكثير من أصدقائي :

من أعتزل، أو أُغتيل، أو تشرّد، أو سقط . .

سائراً مع القلة الذين واصلوا بالشظف والمكابدة ذلك الطريق الأبهى، ماسكين بالجمرة أو الشعلة إلى النهاية، كأنني أتنهد تلك

المقولة : «آه ، من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق»[١] . .

ثم أستَدير إلى قبر علي الرماحي[٢] وأغص بدمعي وأقول له : كيف اختصرت المسافة بين القصيدة والشهادة بهذه العجالة . . وظل دمك لوحده بيننا يكتب ويضيء . .

أستدير إلى قبر حميد الزيدي[٣] ، وضرغام هاشم[٤] ، وعبد الصاحب البرقعاوي[٥] ، ومحمد عباس الدراجي[٦] ، وعزيز السيد

---

(١) روي عن ضرار بن ضمرة الكناني في وصف علي بن أبي طالب : «إني رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، واقفاً في المحراب ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ويقول : . . أه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق» .

(٢) علي الرماحي : صديق الصبا والشعر ، وشاعر عذب ، اشتهرت بقصائده المحرضة في نهاية السبعينات ، أعدمه النظام العراقي عام ١٩٧٩ .

(٣) حميد الزيدي : كاتب ومناضل أعدمه النظام منتصف الثمانينات .

(٤) ضرغام هاشم : صحفي أعدمه النظام بداية التسعينات لكتابة رد على مقال في جريدة الثورة قيل أنه لصدام حسين .

(٥) عبد الصاحب البرقعاوي : شاعر مرهف ومجدد ، مات مهموماً ومعدماً منتصف التسعينات .

(٦) محمد عباس الدراجي : شاعر وكاتب مات في حادثة سير غامضة قبل سقوط النظام بأشهر .

جاسم[١]، ومحمد حسن الطريحي[٢]، وحاكم محمد حسين[٣]، حسن مطلك[٤] . .

وقائمة الذبح والأنين تطول . .

وأراني، في تلك الأيام المنقبضة هناك، وحيداً ومنكمشاً «في العراءِ المسجّى على وجههِ»[٥]، أقلّب مرتجفاً، «بريد

---

(١) عزيز السيد جاسم: مفكر معروف أعدم بداية التسعينات .

(٢) محمد حسن الطريحي: شاعر شاب أعدم بداية الثمانينات .

(٣) حاكم محمد حسين: قاص أعدم لهروبه من الجيش أثناء الحرب العراقية الايرانية .

(٤) حسن مطلك: روائي صاحب رواية «دابادا» أعدم نهاية الثمانينات . .

(٥) [«ارتبكتُ أمام الرصاصةِ / كنّا معاً في العراءِ المسجّى على وجههِ / خائفين من الموتِ / جمّعتُ عمري في جعبتي / ..ثم قسّمتهُ: بين طفلي . . / ومكتبتي . . / والخنادق / (للطفولة، يتمي . . / ولامرأتي، الشعرُ والفقرُ . . / للحربِ ,هذا النـزيفُ الطويلُ . . . / وللذكرياتِ . . الرمادْ) / وماذا تبقى لكَ الآن من عمرٍ / كنتَ تحملهُ - قلقاً - وتهرولُ بين الملاجيءِ والأمنياتِ / تخافُ عليه شظايا الزمانِ / قالَ العريفُ: هو الموتُ لا يقبلُ الطرحَ والجمعَ / فاخترْ لرأسكَ ثقباً بحجمِ أمانيكَ / هذا زمانُ الثقوبْ . . ./ أو . . . / فأهربِ الآنَ . . / من موتكَ المستحيلْ / (- لا مهربٌ . . . / هي الأرضُ أضيقُ مما تصورتُ / . . . أضيقُ من كفُّ كهلٍ بخيلٍ . . . / فمَنْ ذا يدلُّ اليتيمَ على موضعٍ آمنٍ / وقد أظلمَ الأفقُ . . / وأسّودَ وجهُ الصباحْ»] مقطع من قصيدة «سماء في خوذة» من ديوان «سماء في خوذة» ط١ - دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ١٩٨٨/ ط٢ مكتبة الأسرة - القاهرة ١٩٩٦ .

القنابل»[1] ، وأعجب كيف «خرجتُ من الحرب سهواً»[2]

. . . .

---

(١) [«أنتِ لا تفهمين إذنْ / رجلٌ في كتابْ / سوف يعبرُ مبنى الجريدةِ ، شَعرُكِ هذا الصباح / فيشغلني عن دوارِ القصيدةْ / أتأملُ فوضاكِ من فتحةٍ في القميصِ / وفوضاي في الورقةْ / سيمرُّ بي العطرُ / يأخذني لتفاصيلِ جسمكِ / أو لتفاصيلِ حزني / مَنْ سيرتّبُ هذا الصباحَ القَلِقْ!؟ / الفناجينُ باردةٌ كالصداقاتِ / والحربُ تعلكُ أيامنا / وأنا في انتظارِ الندمْ / اقلبي الصفحةَ الآنَ / برجُكِ تشغلهُ الوفياتُ / وبرجيَ تملؤهُ الطائراتُ»] مقطع من قصيدة «بريد القنابل» من السابق .

(٢) [«أنا خارجٌ من زمانِ الخياناتِ / نحوَ البكاءِ النبيلِ على «وطنٍ» أخضرٍ / حرثتهُ الخنازيرُ والسرفاتُ / أنا داخلٌ في مدارِ القصيدةِ / نصفَ طليقٍ / ونصفَ مصفّدْ / فهذا الزمانُ يعلّمنا / أن نصفّقَ للقاتلين / حينما يعبرون الرصيفَ إلى دمنا / وهذا الزمانُ يعلّمنا / أن نقصّرَ قاماتنا / . . . . كي تمرَّ الرياحُ على رسلها / أن نماشي القطيعَ إلى الكلأ الموسميِّ / ولكنني . . . . / من خلال الحطامِ الذي خلّفتهُ المدافعُ / أرفعُ كفي معفّرةً بالترابِ المدمّى . . . . . / أمامَ عيونِ الزمانِ / أعلّمهُ كيفَ نحفرُ أسماءَنا بالأظافرِ / كي تتوهجَ : لا» . . . . «على شفتي شجرٌ ذابلٌ ، والفراتُ الذي مرَّ لمْ يروني . ورائي نباحُ الحروبِ العقيمةِ يطلقها الجنرالُ على لحمنا ، فنراوغُ أسنانها والشظايا التي مشّطتْ شَعْرَ أطفالنا قبلَ أنْ يذهبوا للمدارسِ والوردِ . أركضُ ، أركضُ ، في غابةِ الموتِ ، أجمعُ أحطابَ مَنْ رحلوا في خريفِ المعاركِ ، مرتقباً مثل نجمٍ حزينٍ ، وقد خلّفوني وحيداً هنا ، لاقماً طرفَ دشداشتي وأراوغُ موتي بين القنابلِ والشهداءِ»] مقاطع من قصيدة «خرجتُ من الحرب سهواً» من ديوان «غيمة الصمغ» ط١ - بغداد ١٩٩٣ ، ط٢ - اتحاد الكتاب والأدباء العرب - دمشق ١٩٩٤ .

كيف تسنى لي أنا أبن الكوفة الغافية بظمئها الطويل على ضفاف الفرات أن أخرج من مخاوفي وأصرخ - ذات يوم من عام ١٩٩٣ على مسرح الرشيد في بغداد - على لسان عبود ، بطل مسرحيتي «الذي ظل في هذيانه يقظاً» :

«شققني عطشي في بلاد المياه»[١] . .

ثم أنسل بين الجمهور المحتشد تاركاً زفراتي الأخيرة :

«وداعاً بلاد المجاعات والنفط»[٢]

قبل أن أغادر القاعة أو الوطن بشهور قليلة .

كأني أستعيد حكاية عود الفارابي الذي أضحك الملك وحاشيته وأبكاهم ثم أنامهم جميعاً وأنسل من البلاط . .

هل يملك الشعر هذه القدرة الساحرة ، على تنويم رقيبه أيضاً؟

. . . .

في بواكيري الأولى عام ١٩٧٦ سأذوق لوعة الفصل من الدراسة بسبب قصيدة كتبتها وتناقلها الطلاب ، ويموت أبي - المعلول بالسل والديون والطيبة - على سريره في مستشفى الكوفة ، متأثراً بالحادثة . . لأذوق بعدها مرارة التشرد والخوف والحرمان . .

وفي عام ١٩٧٩ سأذوق مرارة الفقد ، بعد اعدام صديقي المدهش علي الرماحي بسبب قصائده التي تناقلتها ألسنة المنابر والناس . .

هذه الصور ، وغيرها ، المحفورة بالألم والخوف حملتها معي لسنوات طويلة في دوامات الرعب . . كانت تتقافز أمامي ، ومعها

(١-٢) مقاطع من مسرحية «الذي ظل في هذيانه يقضاً» التي أعدها الفنان احسان التلال عن قصيدتي« هذيانات داخل جمجمة زرقاء لا علاقة لعدنان الصائغ بها»- «نشيد أوروك» ، وأخرجها الفنان غانم حميد على مسرح الرشيد في بغداد ١٩٩٣ .

روحي اللائبة لأقل هزة وأقل «طرقة ليل» . وما أكثرها في وطني . .

«أقلّ قرعة باب
أخفي قصائديً - مرتبكاً - في الأدراج
لكن كثيراً ما يكون القرع
صدىً لدوريات الشرطة التي تدورُ في شوارعِ رأسي
ورغم هذا فأنا أَعرفُ بالتَأكيد
انهم سيقرعون البابَ ذات يوم
وستمتدُ أصابعهم المدربةُ كالكلابِ البوليسيةِ إلى جواريرِ قلبي
لينتزعوا أوراقي و . . . . . . حياتي
ثم يرحلون بهدوء»[١]

وقد انطبعت تلك الأيام والصور المريرة في ذاكرتي ، لأتعلم منها أول الدروس وأقساها : أن للكلمة مفعولها السحري ، لكن لها أثمانها الباهظة . .

ولأرى أمامي ثلاث طرق أو أربعاً . . (وأياً كنت يا طرقي فكوني نجاةً أو أذاةً أو هلاكاً)[٢] :

- أن أهرب من بلادي (ولأنني لم أكن أملك وقتها وسيلة أو سنداً ، ألغيتها من قاموس رأسي)

- أن أسكت للأبد . .

- أن أقامر برأسي . .

- أن أستعين بفن الخطاب المستتر . . ووجدتُ في هذا الأخير أغراءً في المغامرة والتحدي والإبداع معاً . . خاصة وأن مقص الرقيب

---

(١) قصيدة «هواجس» - ديوان «تأبط منفى» - دار المنفى - السويد ٢٠٠١ .

(٢) ديوان المتنبي .

الحديدي لم يكمن يترك لنا أقل فسحة لنطل برؤوسنا الضاجة خارج ما هو مسموح به . .

كانت الكتابة فيه تحتاج إلى مهارة وبراعة كبيرتين . . وكان الأسلوب التأويلي الذي تعتمده ، مجترحاً من طبيعة اواقع والفن ، شكلاً ومضموناً ، يأخذ من اللغة بهاءها الآسر وسطوعها ، ومن اشكاليات الواقع حذره وشكله وشكه وتمويهاته ، (كما تكون الحياة كذلك يكون المبنى - كوليردج) ووجدته أكثر استيعاباً لقلقي وعصري ، ووجدتني أكثر قدرة على تطويعه لتحميله ما أريد . .

هذا التمويه الفني لجأ إليه بعض شعراء الداخل ، كان عاملاً مهماً لتجاوز الخطوط الحمراء الكثيرة والواقع البوليسي الذي كان يخيم على كل شيء في الوطن ، ليس في مجال الشعر فحسب بل في مختلف الفنون والآداب وشؤون الحياة الأخرى ، فكنا نجد فيه متنفساً تعبيرياً وفنياً وحياتياً . .

لكنه من جانب آخر ، جر علينا ما جر من وشايات المخبرين والأدباء الفاشلين - في الداخل - (كنا نعرف الرقيب ونتحايل عليه ، ولكن الجديد في الكتابة اليوم أننا لم نعد نعرف من يراقب من ، وما هي المقاييس الجديدة في الكتابة - أحلام مستغانمي)(١) ، و - في المنفى - أخذ منه بعض المزايدين ، على عذاباتنا ، سطحه الظاهر ونسوا أعماقه التي تمور بالغضب والوجع والاحتجاج . . (أتركونا أحراراً عندما يتعلق الأمر بالكتابة - ميشيل فوكو) . .

وبين أُولئك وهؤلاء ، (رقباء الداخل) و(تجار الخارج) ، كنا عصيين عليهم ، خارجين على تفسيراتهم وتقسيماتهم الأدبية والايديولوجية ،

---

(١) من أوراق ملتقى عمان للكتاب ١٩٩٨ .

مستوحدين في القصيدة ، ملتصقين بوجع الناس وهموم الوطن . .

«الفاشيون
والشعراء المخصيون
يقفون . .
على طرفي حبلٍ ،
معقود في عنقي
و يشدّونْ»[١]

لكن يمكن القول هناك العديد من الأدباء والفنانين الصادقين والمبدعين كانوا لنا سنداً بهياً ومتيناً ساعدونا على تخطي تلك الأيام الممضة ، ووجدنا في المنفى مثلهم الكثير ، تعذبوا وتشردوا لأنهم كانوا مبدعين وصادقين مع فنهم وأنفسهم وقد وجدنا فيهم المرفأ والواحة . .

(5)

أنا من جيل شعري في العراق سمي «جيل الثمانينات» أو «جيل الحرب» ، أو «جيل الظل»[٢] ، جيل نشأ في بداية الكارثة ، وكبر وشاخ فيها ، عشنا الخراب والدم والقمع والحصار والغربة ، منفيين في الوطن أو شهداء على لائحة الانتظار .

وفي خضم ذلك الواقع البائس واليائس ، كنت أرى في النص الحر الجميل المبدع ، جسراً ضوئياً إلى الإنسان والحرية والحب . . بل

---

(١) قصيدة «عقدة» - ديوان «تأبط منفى» - دار المنفى - السويد ٢٠٠١ .

(٢) هذا المصطلح أطلقه الناقد د . حاتم الصكر في دراسة له في مجلة «أسفار» ع ١٣ في ١٩٩٢ .

وفعلاً ثورياً وجمالياً أكثر مما يفعله بعض السياسيين والأحزاب والتجمعات . .

ومن جانب آخر كنت أرى فيه الرد الحقيقي على الفاشيين والظلاميين أو المزايدين والموهومين أو السماسرة . . (غاية الأدب هي أن لا يطلق الغبار بل الوعي . - وول سوينكا) ، منتبهاً أيضاً لمقولة لوكاش : «قد تخطئ حركات وأحزاب ولكن على المثقف أن يرفع صوته عالياً بوجه هذا الخطأ» . .

لقد عمل جنرالات الحروب وتجار السياسة والعقائد على تغييب الوعي ومن ثم غيبوا الإنسان ثم غيبوا الوطن . . وهذا الغياب المقصود هو الذي أطال بعمر الدكتاتورية وأتمنى أن لا يتكرر هذا الغياب ليطيل من عمر خرابنا واحتلالنا وشتاتنا . .

لقد آن الأوان لنا جميعاً للمراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر - لا من سلطة الرقابة على النصوص وحدها بل - من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في وطننا وعالمنا . .

آن الأوان لإشاعة مفاهيم الحرية والوعي والاختلاف وتفعيل النقاش وتنشيط الأسئلة القلقة حول كل ما مر ويمر بنا ، وكل ما يحيطنا . . حول مشكلاتنا التاريخية والمعاصرة ، حول موروثنا وحداثتنا وإبداعنا . .

إن الإبداع الحر هو الأكثر تعبيراً والتزاماً بالإنسان من مفاهيم الالتزام التي دوخنا بها منظرو الاشتراكية والقومية والرأسمالية . . كما إن النص المبدع يحمل في نسيجه دائماً ديناميت التفجير والتغير . .

وعلى هذا ، لا يمكنني أن انظر إلى المنشورات الإعلامية والقصائد الحماسية الآنية على أنها أدب خالص مهما أخلص كاتبوها لقضاياهم . هناك فاصل دائماً بين أدب الشعارات والإبداع . .

فكثيراً ما تسعى السلطات أياً كانت وخاصة في بلادنا إلى تحويل

الكاتب أو الفنان إلى مجرد بوق أو مهرج أو تابع، عليه أن يكون جاهزاً تحت الطلب ,فحين تتخاصم مع دولة أو فكر تريده أن يشتم تلك الدولة أو ذاك الفكر، قارعاً معها طبول الحرب! وحين تتصالح تريده أن يمتدحها ويمجد السلام.. كذلك تسعى بعض المجتمعات الاستهلاكية لتحويله إلى مجرد سلعة..

انهم يحاولون توظيف الأدب لخدمة ايدولوجياتهم السياسية أو السلعية. وهنا نتلمس بوضوح خطورة الشاعر - أي شاعر - حين يتحول إلى ببغاء للشعارات والبيانات التي تُملى عليه.. ويطالب الآخرين أن يحذوا حذوه وإلا فأنهم عملاء أو خونة..

إن بعضهم يتعذب، يثور، ثم تروضه المؤسسة وينظم إلى قطيعها..

وبعضهم يخدرهم الخوف أو الوظيفة أو الشهرة، فلا يكاد يرى في مرآة ذاته أبعد من ذاته..

لكن الشاعر الحقيقي المتجذر بوجع الأرض والإنسان، حين يكون بركاناً لا يهدأ، فأن أي شيء لا يستطيع إيقافه.. أنهم يستطيعون أن يقتلوا الشاعر جسدياً أنهم يستطيعوا تشويهه أو سلب حياته،.. لكن نشيده لن يتوقف أبداً.. وأمثلة التاريخ أكثر من أن تعد: من الحلاج إلى لوركا، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً..

إن علينا أن نحرر الأدب من الدكتاتوريات المتوارثة عليه وإطلاق سراحه ليعيش حراً كما كان..

وعلينا أن نقف ضد القمع والظلم أينما وجد وليس في بلادنا فقط ,مثلما يغض البعض طرفهم عن الدكتاتوريات التي يعيشون في كنفها في البلاد الأخرى وينقدون دكتاتوريات بلدانهم أو بالعكس. الظلم لا يتجزأ...

وعلينا أن نقف ضد كل عملية استغفال للجمهور وضد كل من

يسعى إلى دفعه إلى مطحنة الحروب باسم الدين والوطن والثورية .

الثقافة العربية مهددة من الداخل والخارج معاً ، وهي معركة مستمرة ومتعددة تتنوع بين الاستبداد وحرية الفكر والتعبير والتعددية وسلطات التجهيل السائدة التي هي سلاح من أسلحة الأنظمة الحاكمة ، وهكذا دواليك . .

إن واجب الكاتب الثوري الأصيل أن يدافع عن استلاب العقل وغياب الحريات ، فاذا لم تتكاتف معه كل القوى الشريفة والمتنورة التي تؤمن بقيم الجمال والحرية والحق لمواجهة ثقافة الظلام التي تشيعها الأنظمة الدكتاتورية وأتباعها من القوى الظلامية ، فأن أجيالاً قادمة ستنهار وتنتكس وتعاني ، وسيكون حكم التاريخ علينا جميعاً بأننا قد تخلينا عن مسؤوليتنا .

(6)

. . في يوم من أيام مهرجان الشعر العالمي في هولندا (١٩٩٧) ، كنت أتمشى تحت نثيث الندى الخفيف في تلك الشوارع الهادئة من روتردام وأنا عائد من إلقاء قصيدتي . جلت أمام طاولة ووضعت العاملة ما طلبت من طعام . سرحت بعيداً إلى أيام الخنادق وجبهات الرصاص . جاء عصفوران جميلان وبدءا ينقران بهدوء من طعامي ويتناغيان ويتعانقان بأمان . تركتهما يفعلان ذلك رغم جوعي وبدأت أرقبهما وأنا أسترجع مناقير الشظايا التي كانت تنقر طعامنا وأرواحنا وأصدقاءنا . فجأة أخرجت ورقتي ووجدتني أكتب :

«العراق الذي يبتعد
كلما اتسعت في المنافي خطاه
والعراقُ الذي يتئدْ

كلما انفتحتْ نصفُ نافذة . . قلتُ : آهْ
والعراقُ الذي يرتعدْ
كلما مرَّ ظلٌّ
تخيلّتُ فوّهةً تترصدني ، أو متاهْ
والعراقُ الذي نفتقدْ
نصفُ تاريخه أغانٍ وكحلٌ . .
ونصفٌ طغاهْ»[1]

. . . . . .

مندهشاً وملتاعاً - الآن - في الوقت نفسه . .
كيف تسنى لهذا الوطن أن يعيش :
بين ملحمة كلكامش وصدام حسين
بين زقورات بابل وسجون الرضوانية
بين «أحنه مشينا للحرب» و«حييتُ سفحك عن بعد فحييني»
بين «نصب الحرية» لجواد سليم ، و«صور من المعركة»
بين أغاني ناظم الغزالي ، وسياط علي حسن المجيد
بين قصائد حسين مردان ، و«زبيبة والملك»

. . . .

أصدقائي في السويد لا يستطيعون أن يتفهموا بسهولة كيف تسنى لهذا الشاعر أن يخرج من بين تلك الشظايا والأوحال والأسلاك ويواصل الحياة والكتابة بتلك الاندفاعة المجنونة عن الحب والحياة «هل خطأٌ أن نحبَّ الحياة؟» . .

مثلما لا أستطيع أنا أن أستوعب كيف لم تمر في سماء هذا البلد قذيفة مدفع منذ أكثر من مائتي عام ، وكيف يمكن لشرطي المرور أن

---

(١) قصيدة «العراق» من ديوان «تأبط منفى» - دار المنفى - السويد ٢٠٠١ .

يوقف ملك السويد Gustav XVI Adolf ويغرمه لأنه ساق سيارته أكثر من الحد المسموح به في الطريق العام ، كما نشرت ذلك الصحف السويدية قبل فترة ، ولا أعرف كيف يكرس شاعر اسكندنافي مثل بو كرين ينسن Bo Green Jensen حياته وشاعريته لكتابة ١٤ ديواناً شعرياً عن زهرة واحدة ، هي وردة الجوري Rosen .

في لقاءاتنا على هامش أمسية شعرية ، أو حوار أو مصادفة في مقهى أجد أن ليس اللغة أو لون البشرة هو ما نختلف به عنهم ، ثمة شيء أكبر : الحرية في كل شيء ، الإحساس التام بالاطمئنان ، الثقة بالغد ، طريقة التفكير وأسلوب الحوار والتعامل مع المرأة والدين والحكومة والقطط ، والخ

سألتقي الشاعر السويدي الكبير توماس ترانسترومر في مهرجان جمعنا في قاعة المرايا لأسترجع قصيدته :

«جئتُ لألتقي ذلك الذي يرفع فانوسه لكي يرى نفسه فيَّ . .»

كأني أرى في المرايا وجوه الأدباء الشاحبة في مقهى حسن عجمي حيث الدخان وأخبار الحرب والنقاشات الحداثوية وبعض آذان لفئران تسترق السمع . . . .

كأني أرى ذلك الآخر - في النصف الآخر من العالم - يردد معي :

«وتقول لنفسك : سوف أرحل
لا أمكنة أخرى هناك
آه ألا ترى أنك يوم دمرت حياتك في هذا المكان
فقد دمرت حياتك في كل مكان على وجه الأرض»(١)

---

(١) الشاعر اليوناني قسطنطين كافافي .

كأني أرى ذلك الآخر ، - في النصف الآخر من التاريخ - حاملاً خشبته في دروب بغداد وهو ينشد :

«سأقضي ببيت يحمد الناس أمره
ويكثُر من أهل الرواية حامله
يموت رديء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى وأن مات قائله»[١]

كأني أرى حيوات أصدقائي تضيء في ذلك الليل البهيم ، مشيرة إلى وميض نجمة في البعيد . .

لكن أين أجدهم الآن : حسين حيدر الفحام[٢] ، علي عبد الحسين[٣] ، كاظم الخطيب[٤] ، مضر علوة[٥] ، حميد الزيدي ، عبد الحي النفاخ[٦] ، و . . و . . .

]على أريكة معزولة في فندق القدس في عمان ، أواخر أيام الروائي والكاتب جبرا ابراهيم جبرا ، جلسنا معاً ورويت له حكاية مرعبة بطلتها روايته «البحث عن وليد مسعود» التي أستعارها حميد الزيدي من صديق أعدم ثم استعارها منه عبد الحي النفاخ قبل إعدام الزيدي واستعرتها من النفاخ قبل أن يجن وقد تركتها قبل سفري عند

---

(١) الشاعر العباسي دعبل بن علي الخزاعي .

(٢) حسين حيدر الفحام : صديق صبا ، رسام .

(٣) علي عبد الحسين : كاتب وصحفي .

(٤) كاظم الخطيب : شاعر وكاتب وفنان مسرحي ، مات مبكراً .

(٥) مضر علوة : من شهداء الانتفاضة ١٩٩١ .

(٦) عبد الحي النفاخ : صديق كاتب أصيب بالجنون في السجن .

أحد الأصدقاء فارتجف جبرا رعباً»[1] (الأصعب ليس أن يموت المرء ، بل أن يموت الذين حوله - كلهم - ويبقى هو حياً - تولستوي- من رواية «الحرب والسلم»)]

. . . . . .

في تلك الأيام المرة ، من سنوات الحرب الطويلة ، أجد قلمي يتسلل في صحبة الاصدقاء ، : الشاعران ، عبد الرزاق الربيعي وفضل خلف جبر ، والقاص اسماعيل عيسى بكر ، والفنان التشكيلي كريم العامري ، وأنا أدعوهم بهوس إلى جولة ليلية تسكعية بين حانات بغداد الصاخبة وملاهيها وفنادقها الفخمة ، للقيام بعملية تحفيز للمخيلة وتمرين في الكتابة عن تلك الأجواء الخرافية التي كانت تتردد في أسماعنا معجونة بالمثير والكثير بالنسبة لنا - نحن الأدباء الصعاليك والجنود الذين لم نكن نرى أبعد من كراج النهضة أو العلاوي - (أمضيت حياتي في كتابة الشعر ، أو الأصح في تعلم كتابة الشعر الشاعرة أميلي دنكسن - من حديث لها عن تجربتها في كتابة الشعر . .) ، ننطلق بالمصعد الزجاجي إلى أعلى طابق في الشيراتون لنرى بغداد كأننا سوف لن نراها أبداً . . ثم فجأة صرخت بهستريا : اغمضوا عيونكم . . لننطلق إلى كراج النهضة ، نفتحها على مشهد الجنود يتدافعون إلى الباصات باتجاه جبهات الموت ، وحيث

---

(١) من دراسة بعنوان «البرق والغابة - قراءة في المشهد الشعري الجديد - الثمانينات والتسعينات - النجف نموذجاً» قدمتها في الندوة العلمية التي أقامها مركز كربلاء في لندن ، تحت عنوان (النجف الأشرف وإسهاماتها في الحضارة الإنسانية) للفترة ١٧-١٨ تموز (يوليو) ١٩٩٩ وصدرت مع بحوث المشاركين في مجلدين عن منشورات Book Ex-tra في بريطانيا عام ٢٠٠٠ .

وداع الأباء ودموع الأمهات والزوجات . وأمام باب مفرزة الانضباطية العسكرية ثمة توابيت ممتدة إلى مسافة ليست بالقصيرة ، ومغطاة بأعلام عراقية تنتظر من يحملها إلى ذويها المساكين . .

ثم لنكمل المشهد ، في اليوم التالي . . . . . . لا لن أستمر بالسرد . . . سأترك لصديقنا القاص اسماعيل عيسى بكر أن يسرد عليكم نهايتها الفنتازية المجنونة التي صورها في قصته : «ليلتان أو خمسة أصابع مالحة» ، عام ١٩٨٦ والتي أرسلها إلى أكثر من صحيفة ومجلة ،لكنهم امتنعوا عن نشرها :

«حين خرجنا من الملهى ,لم يكن لدينا ما نفعله سوى الحزن الذي راح كل منا يرسم خارطته كيفما يشاء بخطوط مختلفة ,وألوان متناقضة ,في القلب . . على الورق . . بالأصابع . . بالعيون . . في وطأة الرأس المخمور . . بالكلمات والدموع والقصائد . عندها رسم عدنان ببوله المخمور وطناً واسعاً على شكل دائرة مغلقة فأخذنا نرقص داخلها مهووسين بقصاصاتنا السرية رقصة أفريقية ماجنة على إيقاع مهتاج بألم ممض سحيق ,نلهث أحلامنا المحمومة ونتبادل النظر في الوجوه مثل غرباء حوصروا فجأة وسط متاهة لا تفضي إلى أي مكان سوى الجحيم ,كنا تماماً نرقص داخلِ جحيمنا . «يا أنتَ يا سيء . . يا من هناك . . يا متخلف . . وأنتَ تمهّل . . «فالعمر قصير كفستان مراهقة» . . يصرخ عدنان ,وأصيح أنا «كوني عاقر يا أم الشهداء» وتصاحنا جميعاً «تغيرت الآن بغداد يا أولاد الكلاب . .» وحين نشف بول عدنان في ذلك الليل البارد غادرنا الوطن» . . .

والآن أين هم أصدقائي :

اسماعيل عيسى بكر ، قاص ، ظل في العراق لكن الموت لم يمهله فتوفي مبكراً بداء السكري في سنوات الحصار ، وهو في عز توهجه الإبداعي .

فضل خلف جبر ، هاجر مبكراً بعد انتهاء حرب الخليج الثانية إلى صنعاء ومنها إلى امريكا ليواصل حفرياته الشعرية وليتزوج هناك . .

عبد الرزاق الربيعي ، حمل حقيبته التي لا تحتوي على أكثر من فرشة أسنان وشرشف ومخطوطات لمقالات وقصائد شعر ، ليعمل في الصحافة في عمان بربع راتب ثم يتجه إلى صنعاء ، ويمكث لسنوات مدرساً ، ثم يرحل إلى مسقط ليتزوج هناك ويستقر .

كريم العامري ، فنان تشكيلي ، انقطعت أخباره تماماً . .

وأنا هنا ، في هذا المنتأى البعيد ، استرجع ما مرّ بي بفم فاغر وعينين مغرورقتين بالمواويل والدموع ، محاطاً بهذه الثلوج التي لم تكن تخطر لي على بال . . (لندع الأفكار تنمو كأغصان الشجر ، ولكن ماذا لو غطاها الثلج - الشاعر التشيكي أنطونين بارتوتشيل)

وأستذكر ريلكة في إحدى رسائله التي كتبها لشاعر شاب : «لا شيء فقير أمام المبدع ، كما ليس ثمة أماكن فقيرة ، لا دلالة لها ، فحتى لو كنت في سجن تخنق جدرانه كل ضجيج العالم ، أفلا تبقى لك دائماً طفولتك ، هذه الثمينة ، هذا الغنى الملكي ، هذا الكنز من الذكريات والإنطباعات التي سالت على حوافها» . .

(7)

. . . .

« استودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته ، وبودي لو يودعني
صفو الحياة وأني لا أودعه

بيتان من قصيدة لابن زريق البغدادي
ومساء آخر من ليل المنفى
وعلى الطاولة ورق وأغنية لم أعد أتذكر بقيتها تقول :
«مالي صحت يمة أحا جا وين اهلنه»
وتبدأ القصيدة . . .

براعمها تتفتح في روحي بكسل عذب تحت هذه الشمس الناعمة . تكبر ، تستطيل أغصانها لتغدو غابة ، أتذكر لحية الجندي القتيل على الساتر القريب ذات ظهيرة من سنوات الحرب ، وأنا أراه من بعيد ، من موضعي تحت الشمس اللاهبة ، وقد أخذت لحيته الكثة تنمو وتنمو وتكبر حتى لتغدو غابة . . .

كنتُ قد نسيت تلك الصورة ، في زحمة السنوات اللاهثة ، ثم وجدتها تنبثق فجأة أمامي في سنوات حريتي الأولى في عمان (١٩٩٣/٩/٢٨) ، أمام رجل عراقي يتوسد حقيبته ولحيته الكثة في الساحة الهاشمية ، مستسلماً لنوم عميق ، تماماً كأنه ذلك الجندي القتيل المسجى على الساتر . . ووجدتني أجلس في مقهى على مبعدة من المشهد أسطر تلك القصيدة بتلقائية عجيبة . . وأنهض بعد أقل من ساعة . .

«الجندي ، الذي نسي أن يحلقَ ذقنَهُ ، ذلكَ الصباح
فعاقبهُ العريف
الجندي القتيلُ ، الذي نسوه في غبارِ الميدان
الجندي الحالمُ ، بلحيته الكثّة
التي أخذتْ تنمَو ، شيئاً ، فشيئاً
حتى أصبحتْ ـ بعد عشرِ سنوات ـ
غابةً متشابكةَ الأغصانْ
تصدحُ فيها البلابلْ

ويلهو في أراجيحها الصبيانْ
ويتعانقُ تحت أفيائها العشاقْ

. . . . . .

الجندي . . الذي غدا متنـزهاً للمدينة
ماذا لو كان قد حلقَ ذقنَهُ ، ذلك الصباح»[١]

وعلى العكس من هذه القصيدة ، التي سميتها «في حديقة الجندي المجهول» ، ظلت قصيدة «في الأرض الحرام» معي مدونة على الورقة بتخطيطاتها الأولية دون إكمالها لأكثر من ست سنوات (رغم قصرها) وهي تتحدث عن جندي قتيل ، وجده جنود الرصد بعد انبلاج الفجر ، أمام سواترهم المتقابلة والمتقاتلة ، وهو مسجى في الأرض الحرام ، وقد تناثرت ثيابه وحاجياته وبضعة ألعاب أشتراها لأطفاله . كان يبدو أنه ذاهب في اجازته الدورية . . . ولم يكن أحد من الطرفين يعرف لمن هذا القتيل؟

وقد نشرتها بعد خروجي من الوطن في ديواني «تحت سماء غريبة» عام ١٩٩٤ . .

. . . .

طول العمل أو قصره ومثله زمن الكتابة ، لا يعني الكثير بقدر ما يعني النص نفسه .

لقد وضعني المناخ الذي عشته في ذلك الاسطبل الغرائبي عام ١٩٨٤ في جو قصيدة بدأتها ولم أكن أشأ أو أتوقع - حين أنهيتها في بيروت عام ١٩٩٦ - بأنها ستكون بهذا الطول ، أنا الميال غالباً إلى

---

(١) قصيدة «في حديقة الجندي المجهول» من ديوان «سماء في خوذة ط١- بغداد ١٩٨٨ ط٢ القاهرة ١٩٩٦ .

قصر القصيدة وتكثيفها إلى أقصى حد . . لكنني بعد هذه القصيدة ، «نشيد أوروك»[1] ، وجدتني في الكثير من دواويني : «تكوينات» و«تأبط منفى» ، أعود إلى قصيدة الومضة من جديد .

إن المناخ العام والخاص للشاعر هو الذي يفرض موضوعة القصيدة وإيقاعها وطولها وشكلها . فتأخذ القصيدة غالباً مدياتها من هواجس الشاعر الداخلية والمناخ العام الذي يعيشه : سياسياً وثقافياً واجتماعياً والخ . وهذا كله - بالاضافة إلى المكونات والقراءات - هو ما يتحكم بنتاج الشاعر سواء قصد ذلك أم لم يقصد . .

إن الحياة المبعثرة التي عشتها هناك ، وبعضاً منها هنا ، تسرب الكثير منها إلى سطوري ، وحاولت أن ألتقط منها في قصيدتي تلك ، «نشيد أوروك» ، فالحياة نفسها قد تصلح مادة ثرة لعمل أدبي إذا أجاد الكاتب تسخيرها في نصوصه بفنية عالية ، لهذا سماها ماركيز بالواقعية السحرية ، فالواقعية في الفن - وفي الشعر تحديداً - ليست كاميرا فوتوغرافية تنقل الأشياء والتفاصيل بحياد بارد . . بل لا بد من إضفاء المسحة الشعرية عليها ، لكي تبتعد عن اللغة التقريرية المباشرة التي استهلكها بعض الكتاب في روسيا وغيرها من بلدان المعسكر الاشتراكي بل وبعض كتاب المعسكر الغربي . .

بعد «نشيد أوروك» ، وفي أواخر أيامي في بيروت وأول أيام منفاي في جنوب القطب الشمالي ، بدأتُ أشتغل على نص جديد مفتوح سميته (نرد النص) ، ربما يُعد استكمالاً له ، لكن بطريقة تناول جديدة ومختلفة .

. . . .

---

(١) ديوان «نشيد أوروك» دار أمواج - بيروت ١٩٩٦ .

في الصيف الأول من وجودي في مدينة مالمو السويدية ، دُعيتُ لإلقاء مجموعة من قصائدي في مهرجان أيام الشعر العالمية في مالمو ، وكم دُهشت حين استحسن الجمهور قصيدة «في حديقة الجندي المجهول» التي كنتُ متردداً في قراءتها ، . . وسبب ترددي إنني كنت أتخيل أنها قضية محلية محددة بواقع الحروب التي عشناها في بلادنا هناك ، قد لا يفهمها السويديون الذين لم يعرفوا الحرب منذ أكثر من ٢٠٠ عام . .

الكثيرون لم يكونوا يعرفون أسمي ، كنت أقرأ للمرة الأولى عندهم . . وكم دُهشتُ في اليوم التالي حين اطلعتُ على استفتاء لصحيفة HelsingborgsDagblad أجرته الكاتبة ياسيكا يورانسون قالت فيه : «كثيرون احبوا الشاعر العراقي لان صوره الشعرية جميلة جداً . قالت ماركيب اهلين ـ زائرة من المهرجان ـ لقد كان يتكلم حيوية وشعره يعبر بصدق عن الرجل الذي أصبحت لحيته حديقة»[(١)] . .

ما أردتُ أن أقوله واستخلصه هنا أن المحلية في النص ، التي قد يراها البعض أمراً محلياً عابراً أو عادياً ، يمكنها التأثير أكثر بكثير من النصوص التي تحاول دغدغة العالمية وتقليدها . . كما أخلص أيضاً إلى أن الترجمة ليست عائقاً أبداً ، لا أمام الشاعر ولا القاريء لوصول الفكرة أو الدهشة . . .

. . . .

في أمسية شعرية في هولندا هذا العام ، عام ٢٠٠٣ جمعتني مع الشعراء : سركون بولص ، عبد الكريم كاصد ، عدنان محسن ، صادق الصائغ هاتف الجنابي (الذين ألتقيهم وأقرأ معهم لأول مرة . كم شاب الزمن في مفارقهم ، وكم عانوا ، وظلت روحهم خضراء) . . . أوقفتني

---

(١) الصحيفة السويدية Helsing borgs Dagblad في ١٩٩٧/٩/١١ .

سيدة عراقية لتريني قصاصة من نصوصي «مرايا» - التي كنتُ أنشرها وقتذاك في العراق - كانت قد حملتها معها في رحلاتها الطويلة إلى هنا ، كأنها تقول لي : «أنني احتفظت بهذا النص لأنه يمثلني» . . بقيتُ واقفاً مذهولاً أمامها غير مصدق ما أرى . . قلبتها بين يدي باصفرارها وكأني أقلب طفلي . . أردتُ أن أقفز إليها لأقبلها امتناناً واحتراماً وسعادة أو أقبل قصاصتها- قصاصتي في الأقل . .

. . . .

هذا القارئ الذي وصفه بودلير قائلاً : «أيها القارىء الخبيث ، يا أخي ، يا شبيهي» . هذا القارئ الذي انشدّ إلى نصي ، بقيت مخلصاً إليه ، . . لم أخدعه بلغة خزعبلية وأقول له أنها الحداثة ، أو بالخطب الشعائرية وأقول له أنها الوطنية والثورية . . . وفي ذلك كان سبب اختلافي وخصوماتي الأدبية مع بعض شعراء جيلي وغيرهم ، الذين هرعوا إلى التعقيد والترميز ، وراحوا يتشدقون بالحداثة والشعرية دون أن يفقهوا منها شيئاً ، ودون أن يتمكنوا من أدواتهم الفنية أولاً . . وانساق قسم منهم إلى التقريرية والمباشرة ، تحت أضواء الشعارات الخطابية ، لتغطية شحوب مواهبهم ، أو استجابة لتوصيات أحزابهم .

(8)

كيف يمكن أن تغير ذاكرتك التي تحمل أربعين عاماً من شواء الشمس والرمل والحروب والمكابدات والقهر ، لتتكيّف مع هذا الصقيع الذي يلفك من جهاتك الأربع في هذه المدينة الثلجية النائية النائمة على كتف القطب الشمالي . .

هذه الهواجس كانت تعيش معي قبل أن أصل مدينة لوليو في شمال أصقاع السويد هارباً من ذلك الجحيم الذي جرّ بلدي والمنطقة

الى سلسلة من الكوارث ، وأنا لا أصدّق أنني سأتأقلم مع هذا المناخ الثلجي الذي تصل برودته الى ٣٢ تحت الصفر ، والذي تصبح فيه حرية الفرد أعلى قيمة في الوجود كتابةً وحياةً وسلوكاً وتعبيراً ونظاماً والخ ، والخ . . أنا القادم من وطن يمكن لأقل كلمة لا تعجب الحاكم أن تأخذك فوراً الى حبل المشنقةً ، وتغيبك عن الوجود في رمشة عين .

كيف يمكن إذن للكتابة أن تتكيف لهذا المناخ المفاجيء وتستوعبه : من أعلى درجات القمع ، الى أعلى درجات الحرية .

من درجة حرارة تصل إلى ٥٠ مئوية ، إلى درجة برودة تصل الـ ٣٢ تحت الصفر . . .

فإذا كان المنفى - أي منفى - يحمل بين طياته مناخاً جديداً لتجربة جديدة لكنها من جانب آخر تشكل امتداداً أو تغييراً طفيفاً على مستوى المناخ الذي يعيش فيه الكاتب بحيث لا يتعدى إلا بضع درجات في الحرارة أو . . . الحرية . . .

غير أن هذه التجربة المغايرة كلياً قلبت معادلتي رأساً على عقب ، في الأقل ، على المستويين : المكاني والزماني ، وما يتفرع منهما من وصف وحداثة ومنظومة كتابية ، وحرية تعبير ، وأحلام وذكريات ، ومخيلة . . أنني ما أن أمسك قلمي للكتابة عن غابات أشجار اليولكران العملاقة المغطاة بالثلوج مثلاً حتى تهجم علي كوابيس الحروب والأقبية وتنتزع كل جمال وروح من السطور .

ماذا يمكنني أن أفعل لهذه الذاكرة الأسفنجية المليئة بالدم والرمل والرماد . . كيف تستوعب ما حولها من ينابيع وبحيرات وهي مشبعة بأرث من المستنقعات . .

فالنتاج الرملي الذي أمتليء به سيصطدم لا محالة بهذه الجدران الثلجية لنص المدينة الجديد ، ويتفتتان معاً على الورقة دون أن

أستطيع مسك شيء . .

وبين هاتين القوتين اللتين تشدانني ، كنت أتساءل بهلع : هل سأبقى متأرجحاً بينهما؟ وإلى متى؟

وإذا ما ملتُ إلى طرف ، فعلى أيهما سأقع؟

وخلال تلك اللحظات أو الأيام المتأرجحة ماذا يمكنني أن أفعل أو أفكر أو أكتب؟

بمعنى آخر هل ستصبح الكتابة خلاصاً إزاء محنتي الكونية والوجودية ، كما كانت خلل سنوات الحرب الماضية ملاذاً ، أم ستكون هي اليوتوبيا الأبدية التي رأى فيها المفكر الفرنسي هنري ميشو عزاءً ما «إذا كان الوهم يفتقر إلى موقع فعلي فأنه يتفتح في فضاء رائع ومصقول يكشف عن مدن كبيرة وجوانب فسيحة وحدائق متقنة ويؤدي إلى بلدان بسيطة وسهلة حتى ولو كان بلوغها مستحيلاً . .» وإذا كان يمكن تحقيق ذلك بفعل الكلمات وتأسيس عالمٍ آخر يقوم على أنقاض الماضي من خلال إقامة علاقات طقسية معً مفردات الحياة (النص) الجديدة ، فأن ذلك الواقع سرعان ما يتلبس أصابع الكاتب وهو يمضي في مسارات لم تألفها ذاكرته من قبل لتصبح هي - أي الذاكرة - الشرط الضروري للمخيلة والإبداع كما يراها الشاعر السريالي ماكس جاكوب ، أو يصح عليها وصف جوزف سكالي «إنها مثل أبن آوى المتعطش للدم يستعيد في بحثه بين اشلاء الجيف ذكرى اللحم الطازج الحي» حيث يجنح المبدع بالمخيلة أو يتوغل فيها إلى آفاق مفتوحة على المعرفة كنص وعلى الدهشة كحياة وعلى المتغيرات كطبيعة . .

من جانب آخر يصبح التأريخ شبيه بقراءة كتاب كما يذهب إلى ذلك بورخس وهو يرى أن الكون عبارة عن مكتبة ضخمة . .

فتصبح المدن إذن - استكمالاً لمخيلته وكما نراها نحن - مجموعة

متنوعة من الكتب ، كل كتاب تقلّبه بين يديك ستجد فيه سطوراً ضاجةً بالحياة ، وأخرى بالحروب ، وأخرى مبقعة بالاوبئة وأخرى يغطيها الثلج ، والخ ، والخ . . . حيث سيتلاشى الزمن رويداً رويداً ليتحول إلى فارزة أو نقطة أو حرف يمنحنا - نحن الكتاب بشكل خاص - ديمومة علاقاتنا بالوجود . . .

الساعة الآن تمام الثالثة ظهراً . .

بدأت الشمس الآن تميل إلى الغروب ، ليلفني بعد قليل ظلام ليل طويل ، أطول ليل في العالم . .

أنظر إلى عقارب ساعتي ولا أدري أيهما أصدق : زمني (زمن الكتابة) أم (زمن المدينة) . . لكن كرة الظلام التي أخذت تلفّ خيوطها حولي وتسحبني من أجفاني إلى الليل ، لم تترك لي مجالاً للمقايسة أو التساؤل . .

ها أنا أضع يدي على زر المصباح وأبدأ طقساً جديداً في الكتابة : الكتابة النهارية في الليل ، أو الكتابة الليلية في النهار المتخيل - في الطرف الآخر من الكرة الأرضية - ، أو الكتابة تحت أطول ليل في العالم واقعاً ومجازياً . .

فأذا كان أبو علي القالي في أماليه[١] يذكر أبياتٍ في طول الليل منها :

ألا هل على الليل الطويل معينُ
إذا نزحت دارٌ وحنّ حزينُ
أكابدُ هذا الليل حتى كأنما
على نجمه ألا يغورُ يمينُ

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي .

أو يقرأ على أبي بكر لحنج بن حندج :

في ليلِ صول[1] تناهى العرضُ والطولُ
كأنما ليله بالليلِ موصولُ
لا فارق الصبحُ كفي أن ظفرتُ به
وأن بدت غزة منه وتحجيلُ
ليلٌ تحيرَ ما ينحطُ في جهة
كأنه فوق متن الأرضِ مشكول

فأن هذا الليل مجازيٌ وليس واقعاً أملتهُ دواعي البلاغة العربية في المبالغة وفي وصف ليل العاشق الطويل وهو يقلب طرفيه فيه شوقاً وأرقاً وترقباً . .

لكن ليل «لوليو» الذي أنا فيه ، واقعي لا مجال للمبالغة فيه أملته الطبيعة الجغرافية لهذه المدينة التي تقع على رأس الكرة الأرضية فاستطال ليلها حقيقيةً عيانية وليست مجازية كالتي يذكرها الفرزدق في وصف علة طول الليل :

يقولون طال الليل والليل لم يطل
ولكن من يبكي من الشوق يسهرُ

ولقد أحسن علي بن بسام في هذا المعنى منشداً :

لا اظلم الليل ولا أدعي
أن نجوم الليل ليست تغورْ
ليلي كما شاءت فان لمْ تَجُدْ
طال وأن جادتْ فليلي قصيرْ

والخ ، والخ من وصف معاني طول الليل التي لم يتركها شاعرٌ إلا وفاض واستفاض بها واستطرد وأحدث . . وصولاً إلى قول أدونيس

---

(١) صول : أسم مدينة .

«ليس للشمس بيتٌ سوى ضوئها» ، فأن بعدها وتزاحم الغيوم الثلجية ضلها عن بيتنا هنا فلم تعد تذهب إليه لا في النهار ولا في الليل ، وهذه المفارقة يمكن أن تعطينا بعداً آخر في حداثة المعنى المغاير غير المعنى المجازي السالف الذكر ، أي أنني بحاجة إلى مفردات ومخيلة غير ما ذكره أمرؤ القيس في «فيالك من ليل كأن نجومه»[1] لأدلك على طول ليلي ، ومن هنا ، من هذا الواقع المُغاير تتأسس حداثة الشاعر المعاصر في النص ، ذلك أن الحداثة ليست مذهباً أو مدرسةً ثابتة المعالم والأوصاف والحدود بل هي سيرورة حياة نماشيها في حركتها وتغيراتها الدائمة كما أنها لا تتوقف على زمن معين دون سواه أو جماعة دون آخرين «فحينما يطرأ تغيير على الحياة التي نحياها فتتبدل نظرتنا إلى الأشياء يسارع الشعر إلى التعبير عن ذلك بطرائق خارجة على السلفي والمألوف ، فالمضامين والأشكال تمشي جنباً إلى جنب لا في الشعر وحده بل في مختلف حقول النشاط الإنساني أيضاً» على حد قول يوسف الخال ، ومن هنا تصبح لمفردة الليل مدلولات أخرى غير الطول والأرق الذي أشتكى منه العشاق والشعراء العرب وغيرهم على امتداد تأريخهم النصي بل يكون زمناً طبيعياً ممتداً للنهار على ظهر هذا القطب الذي سكنته ، حياةً ونصاً ومنفىً وعلاقات وأحلاماً ، وبالتالي لا اختلاف فيه إلا بدرجة ما أحمله أنا من مدلولٍ ماضويٍّ آخذٍ بالتآكل شيئاً فشيئاً . .[2]

---

(١) ديوان أمريء القيس .

(٢) نشرت في صحيفة «القبس» الكويتية ١٩٩٦/١١/٢٢ ، من كتاب «في حديقة النص – مدارات التجربة الشعرية» تحت الطبع .

(9)

في أصقاع المنفى البارد ، أفتح نافذتي وأتحسس أوراق شجر البيورك bjérk الذي يغطي الحديقة التي أمامي ، كأنها أيامي التي تورق وتتساقط هنا ، بتعاقب الفصول والأحلام والأحزان . . (الحروف العاليات هي الشؤون الذاتية الكائنة في غيب الغيبوبة كالشجرة في النواة - أبن عربي)

أتتبع العروق والأنساغ وصولاً إلى أبعد الغصون في تلك الشجرة الشاهقة بخضرتها ، كأني أتتبع دورة الحبر في حياتي . . وما بينهما من تشابك وعويل ، كأن العالم شجرة صور «كما يرى اندريه بريتون أو هو » إذاً ، غابة من رموز كما يذهب بودلير . .

هذه الخميرة التي تصنع الورقة ، وهذا النسغ الذي يغذيها كي تصنع الوردة . .

هذه الخميرة التي تصنع الشاعر ، وهذا النسغ الذي يرفده كي يخلق ويبدع القصيدة . . (إن لكل كاتب أصيل نبعاً واحداً يغذيه طوال حياته - البير كامو)

. . . .

في أحد أيام الربيع ، أدخل غابة الكتاب bokskogen في أحشاء الغابة السويدية الحالمة على رأس الكرة الأرضية ، أتتبع دورة الحياة (إنسان ـ تراب ـ شجرة) . . (شجرة ـ عجينة في معمل ـ ورقة) للكتابة (فكر - إنسان) . . ومن ثم (تراب - شجر) وهكذا دواليك . .

دائراً مع نسغ الورقة وكأني أرى دورة حياة الكاتب نفسه .

«أتمشى وحيداً في غابة الكتاب

لم يكن في جيوبي

قلم ولا ورق ولا بطاقة انتساب

كأني حرف
والعصافير نقاط
والغصون سطور
والشجر المهسهس في الريح أوراقٌ
والغابة الكتاب . .»

وفكرت هل يمكن أن تكون هذه الورقة التي أكتب عليها هي من أشجار هذه الغابة .

تقترب مني أحد الزواحف ، أتذكر القلقشندي وهو يقول في صبح الأعشى نقلاً عن معن بن زائدة «إذا لم تكتب اليد فهي رجل» . . ترى ماذا لو تحولت يداي إلى قدمين أخريين وأصبحتُ أدب على الأرض بأقدامي الأربع كأني أحد الزواحف . تباً لهذه الأفكار . أحرك يدي أرسم فيها بعض الحروف على التراب . مازالت قادرة على الكتابة . حمداً لله إنها ليست رجلاً . .

أعدّل قامتي وأتمشى والطبيعة وحيدين هنا في هذا المنتآى بعيدين عن كل ما يدور خارج نطاق الغابة . فكرت أن أعقد قراني على شجرة مثلما فعل أبن عربي حين عقد قرانه ذات ليلة صافية على جميع نجوم السماء وحروف الهجاء .

غير أن الأسهم لا تتركني ، كأن قدر الإنسان المعاصر أن يبقى محكوماً بأشغال الفكر الشاقة . ها أنا أمضي مع الأسهم في دورانها الآلي حول حضارات الأمم ، أتتبعها . لأجد كم من السنين استهلكها الفكر ليصل الينا عبر رحلته الطويلة من الحجر إلى الورقة . . غير أن الورقة أخذت تتحول إلى رقائق الكترونية Hardisk

وتعال أيضاً : (حجر ــ ورق ــ ألكترون ــ ثم . . . .
لكن القوس يبقى مفتوحاً .

ألتقط غصن شجرة يابس وأرميه في البركة الصغيرة لقصر Torup

لترسم دوائر مائية سرعان ما تتلاشى ، ولا أثر
كأن كل ما لا يُكتب لا يكون له أثر

أتأمل أفكاري معكوسة على صفحة البحيرة الساكنة ، ترى كم من الأمم والشعوب والفنون والآداب والمثقفين مروا على سطح بحيرة الحياة ولم يتركوا غير دوائر مائية زائلة .

كم من الكتاب اندثروا دون أن نسمع بهم ، ربما لأنهم لم يتركوا لنا أثراً أو سطراً في كتاب . . وليتهم بدلاً من أن يظلوا منفوشين بغصونهم اليابسة أخذوا نصيحة لوركا على محمل الجد وهو يقول : «أيها الحطاب أقطع ظلي ، أنقذني من عذاب أني بلا ثمر» .

أنهم في يباسهم الدائم سيبقون أبداً - رغم تعالي أصوات هسيسهم في الريح مجرد أحطاب . وكما وصفهم غليفيك : «يتركون لنا قصائد كثيرة ولم يجدوا الشعر بعد» . إذ ليس كل من يكتب أو يترك شيئاً يبقى ، وليس كل نقش خالد .

فقد تسهم عوامل الطبيعة والتعرية نفسها وتقلبات الحياة والحضارات والأذواق والمدارس الفنية أحياناً في ضياع الكثير من الآثار ، غير أن لسلطة الابداع أثرها على الزمن والطبيعة والحياة والإنسان حين تنتقل من الحجر أو الورقة إلى الروح والفكر والأنفاس ، وهذا ما يحفظ للمبدع بقاءه إلى الأبد سواء تغيرت الحضارات من الحجر إلى الألكترون أو من الألكترون إلى الحجر أو دارت الطبيعة دوراتها المتعاقبة .

وأذ أتذكر مقولة سارتر بأن الأبداع مشروط بالحرية ، وخيبة أدونيس من أن الكتاب العربي يقرأ خارج لغته ، أسرح بنظري بعيداً في الغابة فلا أرى سياجاً أو حارسا أو شرطياً أو قطعة تشير إلى «ممنوع» أو أخرى تشير إلى «حقل ألغام» كما في بلادي .

غابة طليقة

في فضاء طليق
تستطيع أن تفعل فيها ما شئت . .
كأن الشجر يتشرب الحرية أيضاً من الأرض ويحملها في أنساغه إلى الورقة! [1] . .
الورقة التي هي أمامي
وأمامكم الآن . .!!
. . . .
. . . .

٢٠٠٣/٩/٢٠ مالمو

---

(١) نشرت في صحيفة «القبس» الكويتية ١٩٩٩/٤/١٣ ، الكتاب السابق .

الشاعر عدنان الصائغ

ADNAN AL- SAYEGH

* ولد في مدينة الكوفة - العراق عام ١٩٥٥ .
* عمل في بعض الصحف والمجلات العراقية والعربية .
* عضو اتحاد الادباء العراقيين . عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب .
* عضو نقابة الصحفيين العراقيين . عضو اتحاد الصحفيين العرب .عضو منظمة الصحفيين العالمية .
* عضو اتحاد الأدباء السويديين . عضو نادي القلم الدولي في السويد .
* صدرت له المجاميع الشعرية التالية :

١ . انتظريني تحت نصب الحرية		١٩٨٤	بغداد
٢ . أغنيات على جسر الكوفة		١٩٨٦	بغداد
٣ . العصافير لا تحب الرصاص		١٩٨٦	بغداد
٤ . سماء في خوذة	(طبعة أولى)	١٩٨٨	بغداد
	(طبعة ثانية)	١٩٩١	القاهرة
	(طبعة ثالثة)	١٩٩٦	القاهرة
٥ . مرايا لشعرها الطويل	(طبعة أولى)	١٩٩٢	بغداد
	(طبعة ثانية)	٢٠٠٢	عمان
٦ . غيمة الصمغ	(طبعة أولى)	١٩٩٣	بغداد
	(طبعة ثانية)	١٩٩٤	دمشق
٧ . تحت سماء غريبة	(طبعة أولى)	١٩٩٤	لندن
	(طبعة ثانية)	٢٠٠٢	بيروت
٨ . خرجتُ من الحرب سهواً		١٩٩٤	القاهرة

(مختارات شعرية)

٩ . تكوينات		١٩٩٦	بيروت
١٠ . نشيد أوروك	(طبعة أولى)	١٩٩٦	بيروت
	(طبعة ثانية)	٢٠٠٤	القاهرة
١١ . صراخ بحجم وطن (مختارات شعرية)		١٩٩٨	السويد
١٢ . تأبط منفى	(طبعة أولى)	٢٠٠١	السويد
	(طبعة ثانية)	٢٠٠٤	القاهرة

* غادر العراق صيف ١٩٩٣ اثناء مشاركته في مهرجان جرش في عمان ، وأقام فيها ، ثم أنتقل إلى بيروت عام ١٩٩٦ ، حتى استقراره في السويد ، حيث يقيم حالياً .
* شارك في العديد من المهرجانات الشعرية في السويد ولندن وهولندا وألمانيا والنرويج والدنمارك وبغداد وعمان وبيروت ودمشق والقاهرة وصنعاء وعدن والخرطوم والدوحة .
* تُرجمت بعض قصائده إلى : السويدية والإنجليزية والهولندية والإيرانية والكردية والأسبانية والالمانية والفرنسية والنرويجية والدنماركية . وصدرت له بعض الترجمات في كتب منها :

- مختارات شعرية (بالهولندية) ترجمة ياكو شونهوفن Jaco Schoonhoven 1997 ضمن اصدارات مهرجان الشعر العالمي في روتردام .
- تحت سماء غريبة (بالاسبانية) ترجمة دار ألواح - مدريد ١٩٩٧ .
- الكتابة بالاظافر (بالسويدية) ترجمة ستافان ويسلاندر Staffan Wieslanderومراجعة الشاعرة بوديل جريك Bodil Greek (طبعة خاصة ضمن مهرجان أيام الشعر العالمية في مالمو

١٩٩٨) ، طبعة أولى- ٢٠٠٠ مطبعة روزنغورد-Bokf?rlaget Ro-
seng?rd)

* حصل على جائزة هيلمان هاميت العالمية -HELLMAN HAM-
METT للإبداع وحرية التعبير/ عام ١٩٩٦ في نيويورك .

* حصل على جائزة مهرجان الشعر العالمي -POETRY INTER-
NATIONAL AWARD/ عام ١٩٩٧ في روتردام .

فهرست الأعمال الشعرية

تأبَّطَ منْفى

تكوينات

تحت سماء غريبة

غيمة الصمغ

مرايا لشعرها الطويل

سماء في خوذة

العصافير لا تحب الرصاص

أغنيات على جسر الكوفة

انتظريني تحت نصب الحرية

شعر
الأعمال الشعرية
POETRY COLLECTION

◆ عدنان الصائغ ، شاعر مبدع يواصل مسيرته عبر حرائق الشعر، ويغمس كلماته بدم القلب . رؤيته - كما رأيتها في بعض ما قرأت له - مطر يغسل أوراق الشجر المتربة ، ويعيد للطبيعة المتعبة عذريّتها . يرحل عبر الجزئيّات الصغيرة للحياة العراقيّة في صيرورتها ، ويتوغّل في أبعاد الناس البسطاء بكلمات واضحة بسيطة مثقلة بالبذور والزهور والثمار .

عبد الوهّاب البياتي

◆ نادراً ما التقيت شاعراً مثل عدنان الصائغ تكتبه القصيدة قبل أن يكتبها ، ممتلئاً بالشعر فيّاضاً به ، كلّما رأيته أدركت أنّ الشعر لمّا يزل في بقعة ما من هذا العالم الحديديّ الحجريّ ، ربّما في جزيرة منعزلة هجرتها الطيور ولم تهجرها القصائد بعد ، بل يخيّل لي أنّ الأرض كلّها ، في تصوّر هذا الشاعر ، ليست إلاّ أوراق قصائد تدور .. لا شيء من حوله أو بين يديه إلاّ هذا النغم التائه المسحور ، أو هذه المرأة المتنكّرة الباهرة الضائعة في عالمها الضائع - أي القصيدة .

حسب الشيخ جعفر

◆ بمجموعته « تحت سماء غريبة » يفتتح عدنان الصائغ مشروع حريّته الشعريّ . في القصائد ، الّتي يجمعها تحت عنوان « تكوينات » ، تجلٍّ لخطوة الحريّة المفتتحة ، بالإمكان عقد مقارنات بين هذه القصائد وتلك الّتي سبقتها ، فليس ثمّة قطيعة ، لكنّ هناك تمايزاً أكيداً . ثمّة جرعة أكبر من الحريّة أثّرت في الشكل وفي طبيعة النظر إلى المادّة الخام . أهي النجاة من الكابوس ؟ ربّما . لكنّها استلزمت التحديق فيه طويلاً .. من موقع الحريّة .

سعدي يوسف

◆ إنّ شعر عدنان خلاصة لجوهر الشعر في النصف الثاني من القرن العشرين . هنا البدايات وهنا آخر الشوط . هنا الإحساس العميق بأهميّة ما أنجزته الستّينات والسبعينات ، وهنا الشعور الأعمق بأهميّة أن تكتشف الكتابة الشعريّة الجديدة معناها الأجدّ وإيقاعها الصوتيّ الأكثر إيحاءً واندفاعاً نحو عوالم وسماوات لم تقتحم الكلمة الشعريّة أجواءها المكدّرة بعد .

د. عبد العزيز المقالح

◆ عدنان الصائغ شاعر تنتبه إلى صوته حالَما تسمعه بين مئات الأصوات اللاغطة بالشعر ، فالشعر اليوم كثير جدّاً ، ولكنّ ما يستحقّ أن يُصغى إليه قليل جدّاً ، وشعر عدنان الصائغ من هذا القليل . إنّه شعر شابّ . إنّه ابن اليوم ، اليوم بالذات ، بل لعلّه قادم مع يوم غد ، ولكنّه اختزل الأزمان كلّها بحبّه وقلقه ، واستقرّ بهمّه على هذه الساعة الّتي يعيشها بكلّ هذا الحبّ ، وهذا القلق ، وهذا الهوس برفض الموت .

جبرا إبراهيم جبرا

ISBN 9953-36-595-4

